المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

العلاقات السعودية التونسية

خلال الفترة

١٣٦٥ – ١٤٢٦هـ/ ١٩٤٥– ٢٠٠٦م

بحث مقدم لإكمال متطلبات درجة الماجستير في تاريخ الحديث

إعداد الطالبة

أمل بنت فهمي سقاط

إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف بن علي رابع الثقفي

١٤٣٥– ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى من غرست حب العلم في نفسي...

إلى من علمتني أنّ أمة بلا تاريخ لا حاضر لها...

السيدة الفاضلة

أمي... ليلى إبراهيم بندقجي

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في كتابه الكريم ﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾ [إبراهيم: ٧]، فالحمد لله والشكر والثناء لله عز وجل الذي أعانني ووفقني إلى إكمال البحث، وهيأ لي من الأسباب ما ذلل به الصعاب، فله الحمد والمنة.

كما أتوجه إلى الله تعالى بوافر الدعاء الخالص لوالدي المطوف الشيخ فهمي عربي السقاط، ووالدتي المطوفة السيدة ليلى بندقجي لما قدماه لي من دعم أدبي ومادي في سبيل إتمام البحث، فقد تكفلا بمصاريف إقامتي وإعاشتي بتونس أنا وزوجي ما يقارب شهرًا من الزمن، فجزاهما الله خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لزوجي الحبيب الأستاذ/ علي حسن عتيق لما قدمه لي من جهد مبذول ومشاركتي بالمسؤلية أثناء البحث وسعة صدره لما تحمله من تقصير غير مقصود مني تجاه عائلتي، فله مني عظيم الشكر والعرفان.

ثم أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور يوسف بن علي الثقفي على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة وعلى ما قدمه من توجيهات علمية قيمة، وجهود متواصلة كان لها أكبر الأثر في إخراج هذا البحث بصورة واضحة، فله مني الشكر والتقدير وجزاه الله تعالى خير الجزاء، ووفقه لما يحبه ويرضاه.

كما أتوجه بشكري إلى كل من سعادة الدكتور فهد بن عتيق المالكي، وسعادة الدكتور محمد صالح على ما قدماه لي من مساعدة علمية أفادتني كثيرًا في كتابة الرسالة، فشكرًا جزيلًا.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للمؤسسات العلمية في المملكة العربية السعودية لما قدمته لي من خدمات في استنباط المعلومات والوثائق وهم: دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك

عبد العزيز العامة، ومركز الوثائق والمحفوظات بالرياض، ومكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجده.

ثم أتقدم بوافر الشكر العظيم والتقدير والامتنان للأكاديميين والدبلوماسيين والمؤسسات العلمية بدولة تونس الشقيقة، وعلى رأسهم سعادة البرفسور عبد الجليل التميمي صاحب مؤسسة التميمي للبحث والمعلومات، فله يرجع الفضل بعد الله في اتصالي بالأكاديميين والدبلوماسيين بتونس، كما أعطاني فكره عن تعاون مؤسسته العلمية مع دارة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية، والاستفادة من مكتبته، والتي تعتبر للحقيقة ثروة علمية قيمة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لأكاديمي قسم التاريخ بجامعة منوبه الدكتور عبد اللطيف الحناشي، والدكتور التليلي العجيلي، والدكتور أعليه علاني لما قدماه لي من معلومات وشرح وتوضيحات وبحوث فيما يتعلق بموضوع الرسالة فلهم مني الشكر الجزيل والامتنان العظيم ووفقهم الله لما يحبه ويرضاه.

أيضًا أتوجه بالشكر والتقدير لمعالي السفراء التونسيين على كل ما قدماه لي من معلومات وحقائق سياسيًا وعلى رأسهم معالي السفير الأستاذ قاسم بوسنينه والسفير صلاح الدين الجمالي، والسفير عز الدين قرقني.

كما أتوجه بالشكر والتقدير للمؤسسات العلمية بتونس وهم على النحو التالي: الأرشيف الوطني التونسي، والمكتبة الوطنية، ومركز التوثيق الوطني القومي، وأيضًا المؤسسات الاقتصادية تتمثل في مركز النهوض بالصادرات والواردات بتونس، كما أتوجه بالشكر والتقدير لوزارة الشؤون الاقتصادية ووزارة الشؤون الثقافية لتعاونهما المرن معي وتقديم المعلومات والإحصاءات وكل ما يتعلق بالتعاون الاقتصادي والثقافي مع المملكة العربية السعودية.

وأخيرًا فإنني أتوجه بالشكر والتقدير للجنة المناقشة التي تفضلت مشكورة بقبول الرسالة ومناقشتها، ولكل من أسهم في إخراج هذه الدراسة... ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الباحثة

أمل بنت فهمي سقاط

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما جهلنا وذكرنا بما نسينا، وافتح علينا فتوح العارفين.

وبعد.

إن العلاقات الدولية في مجملها تقوم على المصالح المشتركة، وتبادل المنافع بينهما، ولكن العلاقات السعودية التونسية تسمو على المنفعة الذاتية المحدودة وترتقي إلى درجة الأخوة الصادقة التي تبحر بها في العطاء المتبادل بين البلدين الشقيقين،وذلك ليس بمستغرب حيث يجمع بين الدولتين روابط أخوية وأواصر الدم والنسب ووشائج القربى ومما يدعم هذه الأواصر الروابط الدينية واللغوية والتاريخ المشترك والثقافة والأعراف المتماثلة، هذا عدا المواقف المشتركة بينهما تجاه أغلب القضايا الإسلامية، والإقليمية والدولية، كما أنهما عضوان في محافل إسلامية وعربية ودولية مهمة منها جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وهيئة الأمم المتحدة.

وفي هذا البحث سيلقي الضوء على تاريخ العلاقات السعودية التونسية التي ما نلبث أن نجد في صفحاتها دور المملكة العربية السعودية البارز في تدعيم القضية التونسية بأشكال عديدة وأوجه عدة منها ما هو مادي، ومنها ما هو معنوي.

فعلى سبيل المثال على تلك الجهود السعودية لدعم المسألة التونسية، الدور السياسي والدبلوماسي الذي قام به قادة حكام الدولة السعودية، فقد كان موقف الملك عبد العزيز موقفًا مشرفًا من القضية التونسية، حيث شجع الزعماء التونسيين على الكفاح حتى

حصولهم على حقوقهم بل ووعدهم بالمساندة بكل ما يستطيع، أيضًا زيارة الزعيم التونسي- الحبيب بورقيبة إلى المملكة العربية السعودية في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، والحصول على تأييد للقضية التونسية من الزعماء السعوديين وغيرهم من الزعماء الذين وصلوا إلى المملكة في حج ذلك العام، ومن الهيئات الشعبية، والرأي العام في البلاد العربية.

أيضًا من مظاهر الدعم السعودي للقضية التونسية، هو ما قام به القادة السعوديون باستغلال ذلك التقارب السعودي الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية، خير استغلال في محاولة التأثر على القرار الأمريكي لصالح قضايا التحرير في المغرب العربي، وهذا ما ستتطرق إليه الدراسة، وعدا ذلك من جهود المملكة العربية السعودية نحو المسألة التونسية حيث عملت الأولى على تدويل هذه القضية في جميع المحافل الدولية، والإعلان الصريح بالتزامها بتقديم المساعدات للثورة التونسية حتى تستطيع الأخيرة الحصول على مطالبها واستقلالها.

وعلى أساس جميع ما تقدم يتضح سبب اختياري لموضوع البحث، فالعلاقات بين البلدين تقوم على قاعدة ثابتة، ودعائم ركيزة، ومنهجية قويمة مميزة في معايير وموازين العلاقات الدولية بين الدول، ومما يؤكد على ذلك تلك الزيارات المتبادلة بين ملوك المملكة العربية السعودية وحكام الجمهورية التونسية وما تمخض عن تلك الزيارات من مباحثات أسهمت في تعزيز العلاقات السعودية التونسية، وأثمرت في اتخاذ المواقف الموحدة بين الدولتين تجاه القضايا العربية والدولية.

أما سبب اختياري للمدة الزمنية للبحث من عام ١٣٦٥ـ ١٤٢٦ هـ/ ١٩٤٥ـ ٢٠٠٦م، فقد شهدت هذه الفترة بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م تحولاً مهمًا في الحركات الوطنية ضد الاستعمار وأصبح حق تقرير المصير لجميع شعوب العالم مدرجًا ضمن المبادئ العامة التي يتوقف عليها تحقيق السلام المنشود، وهذا ما أدى بعد

عشر سنوات إلى نجاح حزب الدستور الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة في الحصول على الاستقلال عام ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م، وفي عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م هو ذكرى خمسينية الاستقلال التونسي، وبداية حكم الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود للمملكة العربية السعودية، بذلك فقد شهدت الخمسين عامًا من الاستقلال تطورًا في العلاقات السعودية التونسية على جيمع المستويات سواء السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وبعد أن أجيزت الخطة المقدمة في موضوعي هذا بدأت مرحلة البحث عن المادة التاريخية المتعلقة به والمتوفرة في المصادر والمراجع، واقتضى ذلك مني أن أقوم برحلات علمية لبعض مدن المملكة مثل الرياض وجدة ورحلة علمية إلى دولة تونس الشقيقة.

وكانت بداية جمع المادة من مكة المكرمة من جامعة أم القرى فقد استفدت كثيرًا من مكتبة الملك عبد الله الجامعية التي تذخر بالكتب التاريخية النادرة، وفي جدة توجهت إلى جامعة الملك عبد العزيز حيث زرت المكتبة المركزية واستفدت من العديد من الكتب والدوريات التي تحظى بها المكتبة، ثم توجهت إلى الرياض وزرت العديد من المراكز العلمية مثل: دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومكتبة جامعة الملك سعود، وبعد أن انتهيت من جمع المادة في بلادي انتقلت إلى المرحلة الثانية وهي السفر إلى دولة تونس الشقيقة والتي بدأت من ٢٨/ ٣/ ١٤٣٢هـ إلى ١٦/ ٤/ ١٤٣٢ هـ، تخللها العديد من البحث والزيارات للمراكز العلمية التونسية كان على رأسها الأرشيف الوطني، وجامعة منوبه، ومؤسسة التميمي للبحث والمعلومات، ومركز النهوض بالصادرات والواردات، ومركز التوثيق الوطني القومي، والمكتبة الوطنية، ومتحف الحركة الوطنية، كما قمت بزيارة قسم التعاون الدولي في وزارة الشؤون الاقتصادية، والتعاون الدولي لوزارة الشؤون الثقافية، وقد وجدت في هاتين الوزارتين تعاون جيد ومرن حيث قدما لي نماذج وإحصاءات عن التعاون مع المملكة العربية السعودية.

والحقيقة إن زيارتي لدولة تونس الشقيقة، تشكل أهمية كبيرة بالنسبة للدراسة، فقد وجدت فيها العديد من المعلومات التي كان من الصعب إيجادها في المملكة العربية السعودية، فالمراكز العلمية بتونس تزخر بكتب الحركة الوطنية من كافة جوانبها كجزء رئسي من تاريخ البلاد السياسي، عدا ذلك وقوفي على أرض الواقع لما قرأته عن هذه البلاد وما وجدته من المسؤولين والأكاديميين فيها، ومن شعبها من ترحيب وتعاون يعكس مدى الترابط الوثيق بين الشعبين.

وقد جاء هذا البحث متضمنًا العديد من المصادر والمراجع وهي على النحو التالي:

الوثائق:

- دارة الملك عبد العزيز بالرياض.
- مركز الوثائق والمحفوظات بالرياض.
- وثائق مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض.
- الأرشيف الوطني التونسي تونس.
- مركز التوثيق الوطني التونسي.
- متحف الحركة الوطنية...

المصادر والمراجع:

من أهم الكتب التي استفدت منها، خاصة في الفصل الأول الذي يتحدث عن نضال تونس للحصول على الاستقلال، كتاب الطبيب الحبيب ثامر (هذه تونس)، وكتاب علي البلهوان (تونس الثائرة)، ومذكرات رشيد إدريس (الطريق إلى الجمهورية)، وتكمن أهمية هذه الكتب بأن مؤلفيها كانوا من زعماء النضال في تونس، ووقفوا على أوضاع بلادهم وناضلوا من أجلها حتى الاستماتة، منهم الطبيب الحبيب ثامر الذي لقى مصرعه

في حادثة اصطدام الطائرة التي كانت تقله وهو يجوب البلدان الإسلامية في محاولة لكسب دعمهم لقضية بلاده، ومنهم من ناضل حتى شهد استقلال تونس، مثل السيد الرشيد إدريس الذي اشترك في حكومة الحبيب بورقيبة بعد إعلان الاستقلال وعمل كسفيرًا لعدة دول منها الولايات المتحدة الأمريكية.

وأيضًا من المؤلفات التي أفادت الدراسة كثيرًا، كتاب عبد الرحمن بن موسى الحمودي (الدبلوماسية السعودية والمراسم السعودية تاريخية ـ دبلوماسية ـ تنظيمية)، أيضًا تأتي أهمية هذا الكتاب في أجزائه الثلاثة بأن مؤلفه رافق ملوك المملكة العربية السعودية في العديد من زياراتهم الخارجية ووقف على أهم القضايا السياسية التي شغلت العالم حينها فأوضح في كتابه موقف المملكة العربية السعودية منها، لذلك يعد الكتاب من المصادر الأولية والرسمية للدولة في كل مباحثه، مما جعله ذا توثيق رسمي.

أيضًا من أهم الكتب التي أثرت في الفصل الثاني، كتاب عبد الله القباع (السياسة الخارجية السعودية)، وكتاب عبد العزيز الصويغ (الإسلام في السياسة الخارجية السعودية)، وكتاب محمد عنان (السعودية وهموم العرب)، وكتاب التهامي الهاني (تونس والعرب)، وتكمن أهمية هذه الكتب في توضيح مواقف الدولتين من القضايا السياسية التي شغلت المنطقة العربية والإسلامية.

أيضًا من الكتب التي استفادت منها الباحثة في كتابة هذه الرسالة، كتاب نورة الحامد (الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ١٢٥٦ـ ١٣٢٦هـ/ ١٨٤٠ـ ١٩٠٨م) وترجع أهمية هذا الكتاب أولاً: أنه رسالة علمية بدرجة دكتوراه في جامعة الملك سعود، وثانيًا: أن الكتاب يعكس عن عمق العلاقات بين المنطقتين في فترة سابقة للبحث، في جميع النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

وبالإضافة إلى ذلك يجدر بنا ذكر البحوث التي استفادت الرسالة منها بشكل كبير منها:

بحوث الدكتور التليلي العجيلي التي نشرتها مجلة الدارة وهي:

١ـ موقف السلطات الاستعمارية في تونس من الملك عبد العزيز.

٢ـ صدى مجهودات الملك عبد العزيز في إرساء دواليب الدولة.

أيضًا بحث الدكتور تركي بن عجلان الحارثي (دور المملكة العربية السعودية في دعم استقلال بلدان المغرب العربي) وقد نشرته مجلة جامعة الملك عبد العزيز، وبحث الدكتور أعليه علاني بعنوان (العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا «الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥ـ ١٩٨٢م») وقد نشرته دارة الملك عبد العزيز في الندوة العلمية عن الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله.

كما اعتمدت الدراسة على عدد من الصحف والمجلات السعودية والتونسية في مقدمتها صحيفة أم القرى الرسمية، أيضًا جريدة العمل وجريدة الصباح التونسية، أما عن المجلات فقد استفاد البحث من العديد منها؛ مجلة الدارة ومجلة الدبلوماسي، ومجلة العربي، ومجلة العربي، ومجلة الدراسات الدولية التونسية.

ولما للروايات الشفوية أهمية كمصدر مهم في التاريخ المعاصر، حرصت الباحثة إجراء بعض اللقاءات الشخصية مع عدد من المسؤولين والأكاديميين، وقد أثرت هذه اللقاءات الرسالة العلمية حيث أوردت معلومات لأول مرة تذكر، من أهم هذه اللقاءات:

١ـ مقابلة مع السفير التونسي قاسم بوسنينة في تونس.

٢ـ مقابلة مع السفير التونسي صلاح الدين الجمالي في تونس.

٣ـ مقابلة مع الأستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي صاحب مؤسسة التميمي للبحث والمعلومات في تونس.

٤ـ لقاء مع الدكتور التليلي العجيلي بجامعة منوبة بتونس.

٥ـ لقاء مع الدكتور عبد اللطيف الحناشي في تونس.

٦ـ لقاء مع الدكتور أعليه علاني في تونس.

٧ـ اتصال هاتفي مع الدكتور تركي الحارثي من جامعة الملك عبد العزيز.

٨ـ اتصال هاتفي مع الدكتور محمد صالح من جامعة الملك عبد العزيز.

٩ـ اتصال هاتفي مع السفير التونسي عبد العزيز قرقني.

١٠ ـ اتصال هاتفي مع الأستاذ خالد المنصور مدير الصداقة البرلمانية بمجلس الشورى.

وبعد أن استوفى البحث مادته تمت كتابته، فجاء في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره والتعريف بأهم مصادره.

التمهيد: وفيه استعراض موجز للتطورات السياسية لتاريخ البلدين قبيل فترة البحث.

الفصل الأول: **العلاقات السياسية بين السعودية وتونس**، وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين تندرج نحو كل منها ثلاثة مطالب وهي:

المبحث الأول: استقلال تونس وموقف المملكة العربية السعودية، ويعالج هذا المبحث ثلاثة مواضيع وهي: نضال تونس للحصول على الاستقلال، ودعم المملكة العربية السعودية للحركات الوطنية التونسية، والجهود السعودية السياسية لتأييد استقلال تونس.

والمبحث الثاني وهو: الدبلوماسية والزيارات المتبادلة وآثرها في العلاقات السعودية التونسية، وتندرج من خلالها ثلاث مطالب وهي: التبادل الدبلوماسي بين البلدين، الزيارات المتبادلة بين حكام البلدن وأثرها في تعزيز العلاقات، الاتفاقيات بين السعودية وتونس.

الفصل الثاني: تناول هذا الفصل إبراز موقف ودور كلا البلدين في مختلف القضايا التي طرحت من خلال جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة الأمم المتحدة، خاصة وأن البلدين تعتبران عضوان في جميع تلك المنظمات.

الفصل الثالث: اشتمل هذا الفصل على دراسة في العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ودورها في تعزيز العلاقات بين البلدين.

وختمت الرسالة بخاتمة اشتملت على أهم ما توصلت إليه الدراسة، وكذلك ألحقت بالرسالة قائمة الملاحق وهي عبارة عن خريطة موقع البلدين وملحق للوثائق وملحق للصور، وانتهى البحث بقائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأخيرًا أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إنجاز هذه الرسالة كما يجب، وإن حدث نقص أو نسيان أو خطأ غير مقصود فجَلَّ من لا يسهو، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

الأوضاع السياسية للبلدين قبيل فترة البحث

وفيه:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في المملكة التونسية.

المبحث الأول

الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة العربية

كانت سواحل الجزيرة العربية في مطلع القرن الرابع عشر هجري، أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، عبارة عن منطقة نفوذ بين كل من بريطانيا، والدولة العثمانية، أما داخل الجزيرة العربية فقد كان مقسمًا إلى عدة إمارات حاكمة، آل سعود في الرياض، وآل الرشيد في حائل، وآل عائض في عسير، والأشراف في الحجاز(١) تحت حكم الدولة العثمانية، والأدارسة في المخلاف السليماني(٢).

وبرحيل الإمام عبد الرحمن بن فيصل مع عائلته إلى قطر ومن ثم إلى الكويت، أختتم الفصل الأخير للدولة السعودية الثانية عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م(٣)، وبما أن البلاد السعودية في دورها الثالث حديثة العهد، فلابد لنا أن نتطرق بإيجاز عن انطلاقة هذه الدولة على يد مؤسسها الملك عبد العزيز آل سعود، واتساعها في الجزيرة العربية.

والملك عبد العزيز هو ابن الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود(٤)، آخر حكام الدولة السعودية الثانية، عاش مع والده في الكويت عقد

---

(١) عزة شاهين: العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ما بين عامي ١٩٢٤ـ ١٩٤٥م، رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس ـ القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١١.

(٢) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، (ط٦، د. م، دار مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ٢، ص٢٠٥.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (ط٥، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٣٣٨.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين، المرجع السابق، جـ٢، ص٤٥.

من الزمن، استطاع خلالها أن يلم بالأحداث السياسية والصراعات الدولية في المنطقة(١).

وفي تلك الحقبة التاريخية، تطلع أمير حائل عبد العزيز بن الرشيد(٢) إلى ضم الكويت، مما أثار غضب أميرها مبارك الصباح(٣)، فجهز جيشًا عظيمًا سار به برفقة الإمام عبد الرحمن آل سعود، وابنه عبد العزيز، الذي اتجه بفرقته نحو الرياض، ولكن نتائج معركة الصريف التي انتهت بهزيمة مبارك الصباح أمام قوات عبد العزيز الرشيد، وانسحابه من أرض المعركة، أجبرته على ترك الرياض والعودة إلى الكويت(٤).

وفي العام التالي استطاع الإمام الشاب عبد العزيز بتأليف سرية من آل سعود وأتباعهم، وبمعونة من مبارك الصباح، انطلق من الكويت متجهًا نحو الأحساء ومنها إلى الرياض(٥)، واستطاع اقتحامها في الخامس من شهر شوال ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، وقتل ابن عجلان عامل ابن الرشيد عليها، وبسقوط المصمك نودي بالإمام عبد العزيز أميرًا على الرياض، ثم شرع الأمير السعودي بتحصين المدينة وبناء أسوارها المهدمة(٦).

---

(١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، (ط٣، ب.م، ب.ت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ص٣٤٠.

(٢) عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد (... ــ ١٣٢٤هـ/ ... ــ ١٩٠٦م) من أمراء الرشيد أصحاب حائل وما حولها، وليها بعد وفاة عمه محمد بن عبد الله الرشيد سنة (١٣١٥هـ) كان أشجع العرب في عصره، له وقائع وغارات كثيرة، قتل في روضة مهنا في غارة فاجأه بها ابن سعود. خير الدين زركلي: الأعلام (ط٥، دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م) جـ٤، ص١٥.

(٣) مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله بن صباح (١٢٥٤ــ ١٣٣٤هـ/ ١٨٣٨ــ ١٩١٥م) نشأ في الكويت وكان نفوذ الكلمة فيها لأخويه محمد وجراح، فقتلهما سنة ١٣١٣هـ، واستقام له أمرها، حاولت السلطات العثمانية نفيه عام ١٨٩٨م ، فلجأ إلى الإنجليز الذين أنقذوه من الأتراك ولكنهم أعلنوا الحماية على الكويت من نفس العام، ظل حاكمًا حتى مات فيها بقصره. وقد ساد الأمن وتقدمت الكويت في أيامه. خير الدين الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص١٥٠.

(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٤٦.

(٥) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (د.ط، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت) جـ١، ص٨.

(٦) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث (ط٦، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م) ص١٢٦.

وبعد أن استقر له الوضع في الرياض، قرر الإمام عبد العزيز عدم مجابهة الأمير الرشيدي مباشرة، واتجهت أنظاره نحو جنوب الرياض، فدخلت تحت حكمه الخرج(١)، والأفلاج(٢)، والحريق، وحوطة بني تميم(٣)، وأصبح نفوذه يمتد من الرياض إلى وادي الدواسر(٤)، وتمت إزالة سيطرة آل الرشيد عليها عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م(٥).

ولم يقف ابن الرشيد مكتوف الأيدي أمام التطورات التي استجدت من ضم الرياض فجهز جيشه لمواجهة الإمام عبد العزيز في معركة السلمية(٦) في جنوب الرياض، وكان النصر فيها للإمام عبد العزيز، وقد حدثت عدة مناوشات عسكرية انتهت برحيل ابن الرشيد إلى أطراف العراق مستنجدًا بالعثمانيين للوقوف معه أمام خصمه الجديد ابن سعود(٧).

وقد تابع الإمام انتصاراته في شمال الرياض، حيث نجح في السيطرة على عنيزة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وسيطر على بريدة عاصمة القصيم من نفس العام، وما أن وصل نفوذه إلى القصيم حتى بدأت المواجهة مع الدولة العثمانية التي كان تساند ابن الرشيد

(١) تقع في الجنوب الغربي من العارض في وادي حنيفة، وأشهر بلدانها: الدلم، السلمية، اليمامة. انظر: عمر رضا كحالة: جغرافية جزيرة العرب، (ط٢، د.م، مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ص١٠٥.

(٢) تقع غرب الخرج وشمال الحريق، وهي عبارة عن سهل واسع كثيرة المياه والنخيل، أشهر بلدانها: ليلى، البديع، الروضة. انظر المرجع السابق، ص١٠٧.

(٣) بلدة صغيرة تقع جنوب الحريق، بها كثير من البساتين. انظر المرجع السابق، ص١٠٧.

(٤) من الإمارات التابعة للعارض (نجد) ويتبع له العديد من القرى والبلدان. انظر إلى فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٧٥.

(٥) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود (د.ط، الرياض، د.ن، ١٣٨٠هـ) ص٦٢.

(٦) بلدة صغيرة على مجرى عين فرزان، وهي من بلدان مقاطعة الخرج تبعد عن الرياض ٥٠ ميلاً، انظر: عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص١٠٦.

(٧) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، ص١٣٧.

بمساعدات عسكرية ومالية، وقد أقلقها عودة الدولة السعودية من جديد وسرعة امتداد نفوذها حتى القصيم(١).

وبالفعل سار الأمير عبد العزيز الرشيد من العراق إلى القصيم، ترافقه فرقة عسكرية عثمانية إلى جانب قواته، والتقى الجيشان في موقعة البكيرية التي انتهت بانتصار الإمام عبد العزيز وانسحاب ابن الرشيد إلى الشنانة وذلك في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م(٢).

وقد استمر الإمام في ملاحقة خصمه حيث استقر في الرس، وخصمه في الشنانة، وظلت المناوشات بينهم أربعة أشهر إلى أن اشتبك الفريقان في وقعة كبيرة عرفت بموقعة الشنانة، انتهت بانكسار الجيش العثماني والرشيدي، وكانت النتيجة الأهم بعد هذه المعركة، هو تخلي الحكومة العثمانية عن ابن الرشيد ودخولها في مفاوضات مع الإمام عبد العزيز(٣).

وتتلخص هذه المفاوضات في أن تكون القصيم منطقة محايدة بين ابن سعود وابن الرشيد تابعة للدولة العثمانية، ويكون ابن سعود قائم مقام عليها، ولكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض، مما استوجب عودة العمليات العسكرية من جديد(٤).

فاغتنم ابن الرشيد غياب خصمه الإمام عبد العزيز في قطر لنجدة أميرها قاسم بن ثاني(٥)، لقمع ثورة داخلية(١)، وسار بقواته إلى أن وصل الرس وسيطر عليها، مما أوقع

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص٨٣ـ ٩١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٤٤.

(٤) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، (د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت) جـ٢، ص٣٢.

(٥) قاسم بن محمد الثاني (١٢٣٦ـ ١٣٣١هـ/ ١٨٢١ـ ١٩١٣م) من بني تميم، مؤسس إمارة آل ثاني في قطر على الخليج الفارسي، ولد فيها وكانت زعامتها لأبيه المتوفي ١٢٩٥هـ، وناب =

الذعر في نفوس أهل القصيم الذين أرسلوا الاستغاثات إلى الإمام، حيث وافته الأخبار عن التطورات الجديدة، فقفى عائدًا لمواجهة خصمه في روضة مهنا من شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وانتهت بمصرع ابن الرشيد نفسه، وتسلم زمام إمارة حائل بعده ابنه متعب بن عبد العزيز آل الرشيد[٢] الذي جنح إلى السلم[٣]، حيث اعترف للأمير السعودي بسيطرته على المنطقة النجدية بما فيها القصيم، كما اعترف الأخير للأمير الرشيدي بإمارته على حائل وكافة منطقة شمر، وعلى إثر تلك النتائج استطاع الإمام عبد العزيز إخراج القوات العثمانية نهائيًا من منطقة نجد[٤]، ليلتقي بها من جديد في المنطقة الشرقية؛ فقد تطلع الإمام عبد العزيز لضم منطقة الأحساء التي كانت تابعة لحكم أجداده من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي منفذ بحري ينقذه من حصار العثمانيين والإنجليز، وقد كانت الدولة العثمانية حينها تخوض حربها مع إيطاليا سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، مما اضطرها لسحب قواتها من الهفوف[٥]، فما كان من الإمام أن جعل من هذه

= عن أبيه قبل وفاته فقام بالإصلاح على أثر فتنة استفحت فيها وقدمه أهلها وتولى إمارتهم في قرية الدوحة، أقامت عنده أسرة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، نحو شهرين، عاش طويلاً حتى قيل مات عن ١١٥ عامًا، كان شجاعًا، فارسًا، حنبلي المذهب. انظر إلى: خير الدين زركلي: الأعلام، جـ٦، ص٢٠.

(١) عزة شاهين: العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز، ص٢٧.

(٢) من أمراء آل الرشيد بنجد، هو: متعب بن عبد العزيز بن متعب الرشيد (...ـ ١٣٢٤هـ/ ... ـ ١٩٠٦م) خلف أباه على إمارة حائل وجبل شمر، في أوائل سنة ١٣٢٤هـ، وعقد صلحًا مع ابن سعود نزل له فيها عن حقوقه في القصيم وسائر بلاد نجد، واعترف ابن سعود له على إمارة حائل وأطرافها وجميع شمر، واستمر أقل من سنة، قتله سلطان وسعود وفيصل أبناء حمود من آل عبيد من الرشيد. الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص١٥٤.

(٣) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جـ٢، ص٧٧ـ ٨٠.

(٤) خير الدين زركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ١، ص٦٣ـ ٧٢.

(٥) مديحة درويش: تاريخ المملكة العربية السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين (ط٨، جدة، دار الشروق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص٨٢.

المدينة هدفه الأول في السيطرة على المنطقة، فوصلت طلائع قواته أمام أسوار الهفوف، في جماد الأولى ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، واستطاع السيطرة عليها(١).

وتابع مهمته فأرسل سرية بقيادة عبد الرحمن بن سويلم إلى القطيف، وبذلك دخلت منطقة الأحساء تحت النفوذ السعودي، وقام الإمام عبد العزيز بترحيل الحامية العثمانية إلى القصير ومنها إلى البحرين(٢).

وقد رأت الحكومة العثمانية أن تفاوض الإمام عبد العزيز بعدما اعترفت بأنه قوة لا يستهان بها، فأرادت أن تكسبه في صفها خاصة وأن الأوضاع السياسية تنبئ عن قيام حرب، فأرسلت لمفاوضته واليها العثماني في البصرة طالب النقيب(٣)، حيث عقدت اتفاقية اعترفت بموجبها بالأمير عبد العزيز آل سعود واليًا لنجد ومتصرفًا على الأحساء، وأهدته وسامًا رفيع الشأن مع رتبة وزير(٤).

أما عن ردة فعل الموقف البريطاني، فقد رأت أن سيطرة ابن سعود على منطقة

---

(١) عبد الله الصالح العثيمين: معارك الملك عبد العزيز لتوحيد البلاد (ط٢، د.م، د.ن، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص١٣٦ـ ١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص١٤١.

(٣) طالبن بن رجب بن محمد سعيد الرفاعي النقيب (١٢٧٩ـ ١٣٤٨هـ/ ١٨٦٢ـ ١٩٢٩م) زعيم سياسي عراقي من أعيان البصرة، ولد وتعلم بها، وكان يجيد عدة لغات، العربية، والتركية والفارسية والإنجليزية، عينه السلطان العثماني حاكمًا على الأحساء سنتي ١٣١٩ــ ١٣٢٠هـ، ،كانت حركة ابن سعود في أبانها، سعى النقيب إلى مقابلته للإصلاح ما بينه وما بين الحكومة العثمانية، فاشترط ابن سعود خروج العثمانيين من الأحساء، وطلب النقيب أن يكون العلم عثمانيًا ولما نشبت الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م كان في البصرة، فاحتل البريطانيون العراق ونفوه إلى الهند، ثم أخلي سبيله وعاد إلى العراق وعين وزيرًا للداخلية، وقد حصل خلاف بينه وبين الملك فيصل بن الحسين، فنفاه البريطانيون إلى الهند ثانية ثم سمحوا له بالسفر إلى أوروبا، فذهب إلى ميونخ وأجريت له عملية لم يتحملها ومات متأثرًا بها ونقل جثمانه إلى البصرة، كان جريئًا مناحرًا، رقيق الحديث، سريع الغضب، كريمًا مفرطًا. خير الدين زركلي: الأعلام، جـ٣، ص٣١٥.

(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٥٠.

الأحساء، قد أحدثت تغييرًا في الخارطة السياسية، وأصبح من الضروري الدخول معه في مفاوضات، بعد أن كانت سياستها منذ بداية نفوذها في الخليج تتمركز حول الاهتمام بالمناطق الساحلية، ولا تشغل نفسها بالمناطق الداخلية[(١)].

وبعد السيطرة على الأحساء، بدأت الأوضاع على الساحة الدولية تشهد حربًا عالمية، انساقت إليها الدولة العثمانية مع ألمانيا، وهي كما تُعرف بدول المحور، مما جعلها ندًا بند مع بريطانيا التي انضمت إلى دول الحلفاء (فرنسا وروسيا)، وأخذت كل من القوتين في المنطقة تجذب الإمام إلى صفها، فقد طلبت الدولة العثمانية غداة قيام الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، مساعدة كل من الإمام عبد العزيز آل سعود وابن الرشيد رغم العداء القائم بينهما[(٢)].

أما من جانب بريطانيا فإنها قامت بإرسال مندوبها وليم شكسبير[(٣)]، في زيارة خاصة للإمام عبد العزيز، حيث أمده بوعود بريطانية إذا ما تحالف معهم ضد العثمانيين، فطلب منه الأخير برهة من الوقت لاستشارة والده وكبار المسؤولين، فقام الإمام بإرسال برقيات إلى جيرانه لعقد اجتماع يتباحثون فيه عن موقفهم تجاه الحرب، وتوحيد صفوفهم، وكانت هذه الدعوة لكل من: ابن الرشيد، والشريف حسين، ومبارك الصباح، ولكن دعوته هذه

---

(١) عبد الله العثيمين: معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ص١٢٩.

(٣) Gnovis, Philips, the fife of sin percy cox, London, 1951, p.178.

(٣) وليم شكسبير من مواليد الهند سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، واصل تعليمه العسكري في بريطانيا ثم عاد إلى الهند للعمل في الجيش البريطاني، كان يجيد التحدث بالأوردية والفارسية والعربية في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، رشح قنصلاً لبريطانيا في بندر عباس، ومن ثم مساعدًا للمقيم السياسي البريطاني برسي كوكس في بوشهر، ثم وكيلاً مفوضًا للسياسة البريطانية في الكويت، واثناء الحرب العالمية الأولى قام شكسبير دورًا رئيسيًا في تنمية العلاقات بين الملك عبد العزيز والبريطانيين، فقد كان أول بريطاني يلتقي بالملك عبد العزيز شخصيًا وأعجب بسياسة الملك عبد العزيز حيث حارب معه في موقعة جراب وقتل فيها عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، وقد حزن الملك حزنًا شديدًا على وفاته. تركية حمد جار الله: موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى (ط١، القاهرة، دار القاهرة، ٢٠٠٦م) ص١٠٧، ١٠٨.

لم تلق آذان صاغية[١]، فآثر أن يقف على الحياد، فلم يظهر عداء على الدولة العثمانية برغم ما قامت به من تقديم المساعدات لابن الرشيد والشريف حسين ضده[٢]، مما جعله يظهر ودًا مستترًا تجاه بريطانيا[٣]، فقد كانت هناك مصالح مشتركة بين الجانبين البريطاني والسعودي تدعو إلى توقيع معاهدة، فالإمام عبد العزيز كان في تلك الفترة متخوفًا من نكث ابن الرشيد لعهده معه[٤]، أما بريطانيا فبعد أن نجحت في مفاوضاتها مع الشريف حسين لقيادة ثورة عربية ضد الدولة العثمانية، خشيت أن الإمام عبد العزيز يعرقل تلك التحركات، لما بين الإمام عبد العزيز والشريف حسين من منافسة شديدة[٥].

ووفقًا لهذه الظروف جاءت معاهدة القطيف عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، اعترفت بريطانيا بموجبها باستقلال الإمام في نجد والإحساء، وقد احتفظ الإمام بحياده حتى بعد توقيع المعاهدة، فلم يتعرض للقوة العثمانية في عسير أو في اليمن، ولم يتعرض للشريف حسين في الحجاز لا قبل الثورة ولا بعدها[٦].

وقد علق فيلبي على موقف الإمام عبد العزيز من الحرب العالمية وموقفه تجاه بريطانيا قائلاً: «ولكن ابن سعود لا ينبغي أن يحسب من بين حلفائنا، فهو من الناحية الفعلية محايدًا مهما كان طيبًا معنا»[٧].

---

(١) تركية حمد جار الله، المرجع السابق، ص١٠٩ـ ١١١.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٣٤٤.

(٣) مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ص٨٤.

(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٥٢، ٣٥٣.

(٥) مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ص٨٤، ٨٥.

(٦) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ١، ص٢١٦.

(٧) H.J. Philby. A pilgrim in Arabia. Robert Hale Limited. Lonon, 1964. p.10.

وقد صدق حدس الإمام عبد العزيز تجاه ابن الرشيد، فقد وصلته أنباء من حائل أن ابن الرشيد أعد قواته متجهًا بها نحو الرياض لمواجهته، فما كان من الإمام إلا أن باغته في معركة جراب سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، التي لم تسفر عن انتصار أحد الخصمين وقتل فيها المندوب البريطاني السير شكسبير(١).

أما عن موقف الإمام عبد العزيز من ثورة الشريف حسين فإنه على رغم من أنه لم يتعرض لها بموجب الاتفاقية التي وقعها مع بريطانيا، إلا أنه لم يغفل عن أطماع الشريف حسين سواء الإقليمية ـ وهي توسيع حدود مملكته ـ، أو الزعامة القومية، فعندما وضعت الحرب أوزارها، التي كانت من أهم نتائجها زوال الدولة العثمانية، وقيام الدولة التركية ، وشغور منصب الخلافة الإسلامية فأراد الشريف حسين أن يشغله، وذلك لما يتمتع به من مميزات تعطيه الأحقية دون غيره، إلا أن ردود فعل العالم الإسلامي كانت ضد تطلعاته، فقد عارض الإمام عبد العزيز هذه الخطوة(٢)، كما أنها تمت دون استشارة المسلمين، الذين لهم الحق في مشاركته هذا القرار، عدا ذلك أن الإمام كان لا يرى في الشريف حسين تلك القوة التي تمكنه من تحمل أعباء الخلافة(٣)، وقد شاركته في الرأي عدة دول إسلامية وغير إسلامية، على اختلاف وجهات نظرها ومصالحها، سواء كان ذلك في مصر أو جمعية الخلافة الهندية، ودول الحلفاء «فرنسا وبريطانيا»(٤).

---

(١) خير الدين زركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ١، ص٢٢١.

(٢) أمين سعيد: الدولة السعودية (د.ط، بيروت، د.ن، ١٣٨٥هـ) جـ٢، ص١٤٨.

(٣) حافظ وهبة: خمسون عامًا في جزيرة العرب، (ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠م) ص٥٦.

(٤) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي ١٩١٦ــ ١٩٢٥م (د.ط، د.م، الدار العربية للموسوعات، د.ت) ص٣٧٢ــ ٣٧٤.

ويهمنا في هذا البحث معرفة موقف التونسيين من الشريف حسين وثورته على الدولة العثمانية، فقد ذكر علي الزيدي في كتابه الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية:

«إن إدارة الأمن الاستعمارية قد نسبت للشيخ الثعالبي(١) في شهر أغسطس ١٩٢٣م أنه قال في إحدى رسائله إلى أحمد الصافي أن الشريف حسين عندما أعلن نفسه ملكًا على الحجاز قد خرج على سلطة الخليفة وأن المسلمين جميعًا مستاءون من ذلك ورجا الثعالبي الصافي أن يكلف صحافيي الحزب بشن حملة على الشريف حسين»(٢).

ولم يكن هذا الموقف فردي خاص بالشيخ الثعالبي زعيم الحزب الدستوري التونسي، بل كان موقف التونسيين أنفسهم وبلاد شمال أفريقيا عمومًا(٣)، وذلك نظرًا لشدة ارتباطهم بالدولة العثمانية وإيمانهم الشديد بأنه لا بديل عنها كدولة خلافة، وبذلك نلاحظ بأن توافق الموقف بين كل من موقف الإمام عبد العزيز وموقف الوطنيين التونسيين من الشريف حسين وثورته، أدى إلى تقارب بين الجانبين، خاصة بعدما أعلن

---

(١) عبد العزيز إبراهيم عبد الرحمن الثعالبي (١٢٩١ـ ١٣٦٣هـ/ ١٨٧٤ـ ١٩٤٤م) زعيم تونسي، جزائري الأصل، مولده ووفاته بتونس، أصدر بها جريدة سبيل الرشاد سنة ١٣١٣ـ ١٣١٥هـ، ودخل في حزب تونس الفتاة، جاهر بطلب الحرية لبلاده فسجنه الفرنسيون ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وأطلق سراحه فسافر إلى باريس، وعاد إلى تونس ١٩١٤هم، وقد حل الفرنسيون حزب تونس الفتاة، وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى سافر إلى باريس، وطبع كتابه تونس الشهيدة بالفرنسية واتهم بالتآمر على آمن الدولة فسجن وأخلي سبيله بعد تسعة شهور، فرأس حزب الدستور الذي ألفه أنصاره في غيابه، وتوفي الباي الناصر فغادر الثعالبي البلاد ١٩٢٣م متنقلاً بين مصر وسوريا والعراق والحجاز والهند، وعاد إلى تونس ١٩٣٧ فناوأه بعض رجال حزبه فابتعد عن الشئون العامة إلى أن توفي، له كتابًا عربية (حياة سيدنا محمد) و(تاريخ تونس) و(روح القرآن). خير الدين زركلي: الأعلام، جـ٤، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) علي الزيدي: الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية من ١٩٠٤ إلى ١٩٤٥م (ط١، صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م) ص٢٥٨.

(٣) التليلي العجيلي: صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، (ط١، تونسن دار الجنوب للنشر، ٢٠٠٥م) ص٤٣١.

الإمام عبد العزيز حربه على الشريف وسيطرته على الحجاز، لتبدأ علاقات فعلية وقوية بين البلدين كما سيتضح ذلك من صفحات البحث.

كانت العلاقات بين الإمام عبد العزيز والشريف حسين متوترة، فقد اعترض الإمام بإعلان الشريف حسين نفسه ملكًا على العرب، وطلب منه تحديد الحدود بين الدولتين، مما أغضب ذلك الشريف حسين، وقد عملت بريطانيا على تهدئة الوضع بين البلدين أثناء الحرب(١).

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، أصدر الشريف حسين أوامره لابنه عبد الله(٢) باحتلال تربة والخرمة، وكان ذلك في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، ولكن القوات السعودية استطاعت استعادتها والسيطرة عليها بقيادة سلطان بن بجاد(٣) أمير الغطغط، وقد كانت نتيجة هذه المعركة قاسية على الشريف حسين بل زادت من هوة الخلاف الذي بينهما، كما

---

(١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٢٥٥، ٢٥٦، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٣٤٧.

(٢) عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي (١٢٩٩ــ ١٣٧٠هـ/ ١٨٨١ــ ١٩٥١م) من آل عون أمير شرق الأردن ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية، ولد بمكة وتلقى مبادئ العلوم بالأستانة وعاد مع أبيه إلى الحجاز سنة ١٣٢٦هـ، وعندما استولى الفرنسيون على سوريا أرسله أبوه بقوة صغيرة إلى معان لإنقاذ سوريا، فدخل معان ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١م، والتقى بالمستر تشرشل في القدس وأسسا إمارة شرق الأردن، وتناسى ما جاء من أجله وسمي ملكًا سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، كان مطاع اللسان، على اطلاع بالأدب العربي والتركي، مولعًا بالمناظرة، ميالاً إلى الراحة، انظر: الأمور. خير الدين زركلي: الأعلام، جـ٤، ص٢١١.

(٣) سلطان بن بجاد بن حميد بن عتيبة (... ـ ١٣٥١هـ/ ... ـ ١٩٣٢م) قائد شجاع، من بادية ما بين الحجاز ونجد، صحب ابن سعود في غزواته، قبل أن يتولى الملك، وأقام في هجرة الغطغط، على مقربة من الرياض فكان زعيمها، وأرسله ابن سعود إلى واحة تربة في شعبان ١٣٣٧هـ نجدة لخالد بن لؤي، لصد الشريف عبد الله بن الحسين عن تلك الواحة، فأغار على جيش عبد الله فكاد يفنيه، ولما بدأت حركة التجديد والإصلاح في دولة آل سعود، كان من العسير أن يرتاح إلى أساليب الحضارة الجديدة فقام ينكر على الإمام ما سماه قعودًا عن الجهاد، وتحول بعد الطاعة والإخلاص إلى ثائرًا، التفت حوله جموع من قبيلة عتيبة، ونشبت وقائع بينه وبين ابن سعود، انتهت بالقبض عليه وزجه في سجن الرياض مدة عام ونصف أو ما يقارب ذلك، ومات في سجنه. خير الدين زركلي: الأعلام، جـ

أربكت نتيجة المعركة بريطانيا التي أرسلت مندوبها في جدة إلى الإمام يرجوه فيها عدم التقدم بقواته إلى الطائف(١).

وقد كان الإمام عبد العزيز يعلم أن الصدام بينه وبين الشريف يكاد يكون حتميًا وقريبًا، إلا أنه أراد أولاً تصفية حسابه مع ابن الرشيد، الذي دخل في علاقات سياسية جيدة مع الشريف حسين، فقد كانت نتيجة معركة تربة القاسية عليه جعلته يمد يد العون إلى ابن الرشيد(٢)، إلا أن الأمور سارت بعكس إرادته، فقد قتل ابن الرشيد على يد عبد الله بن طلال، فانتقم له عبيده وقتلوه، وولوا عليهم عبد الله بن متعب بن الرشيد، الذي جنح إلى السلم وطلب المصالحة، ولكن الإمام جعل موافقته على الصلح مشروطة بأن تكون الشؤون الداخلية للشمريين، وأن تكون الشؤون الخارجية تابعة له(٣).

وقد قوبل هذا الشرط بالرفض، مما استدعى إلى تجهيز العدة والعتاد وتسييرها إلى حائل، واسندت قيادتها إلى أخو الإمام، الأمير محمد بن عبد الرحمن(٤)، وابنه سعود بن عبد العزيز، وقد ضربوا حصارًا على حائل، طال أمده أكثر من شهرين، وفي أثناء الحصار عاد محمد بن طلال من الجوف، لمساعدة أمير حائل الذي كان يشك في إخلاصه، وخشي-

---

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جـ٢، ص٢٠٩- ٢١٥.

(٢) خير الدين زركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ٢، ص٣٢٤.

(٣) صلاح الدين المختار، المرجع السابق، جـ٢، ص٢٢٤.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (١٢٩٨- ١٣٦٢هـ/ ١٨٨١- ١٩٤٣م) كان عضد أخيه الملك عبد العزيز في إنشاء المملكة العربية السعودية أيام الملاحم والمناحرات بنجد، مولده ووفاته بالرياض، وهو أحد الذين كانوا مع عبد العزيز ليلة اقتحام الرياض، خاض كثيرًا من المعارك، ولما استقرت الأمور في قلب الجزيرة اختار العزلة وابتعد عن المظاهر إلى أن توفي، كان شجاعًا. الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص٧١.

أن يقتله فاستسلم إلى القوات السعودية التي رفعت الحصار عن المدينة وعادت به[١]، فأنكر الإمام عبد العزيز انسحاب قواته من حائل، فأعد من جديد قوة عسكرية بقيادة فيصل الدويش[٢]، الذي فرض حصار جديد على حائل انتهى باستسلام الأمير محمد بن طلال الرشيد عام ١٣٤هـ/ ١٩٢١م[٣]، وبذلك تم توحيد جبل شمر مع ما سبق من توحيده من أقاليم البلاد.

أما عن ضم إقليم عسير الذي كان خاضعًا للدولة العثمانية، وعندما انهزمت الدولة في الحرب العالمية الأولى انسحبوا منها، فتولى حسن بن عائض الإمارة واستقل بها، ولكنه لم يكن حسن السيرة في قومه، فكتبوا أهل البلاد إلى الإمام عبد العزيز الذي حاول التدخل سلميًا، ولكن الحسن بن عائض رأى في ذلك تدخلاً سافرًا من الإمام في شؤون بلاده وأرسل يهدد قائلاً: «إذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير نمشي- إلى بيشة النحل ونستولي عليها»[٤].

---

(١) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) فيصل بن سلطان بن فيصل بن نايف الدويش (١٢٩٩ــ ١٣٤٩هـ/ ١٨٨٢ــ ١٩٣٠م) آخر شيوخ مطير، ومن كبار أصحاب الثورات في نجد، صحب ابن سعود في صباه وخالفه سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، فقصد أطراف العراق وطاردته السلطات العثمانية فعاد إلى نجد، بعد سنتين، وأنزله ابن سعود في الإرطاوية، وكانت لفيصل مواقف في حصار حائل وطمع بإمارتها وخاب أمله، وحاصر المدينة المنورة ١٩٢٥م فخاف أهلها منه، فأرسلوا إلى ابن سعود يطلبون منه إرسال أحد أبنائه لاستلامها، فأرسل ابنه محمد وكان في الرابعة عشر من عمره، وتزوج فيصل ابنة (سلطان بن بجاد) من شيوخ عتيبة، فازدادت عصبته قوة، وائتمر معه جماعة بالانقضاض على ابن سعود، ونادى بالجهاد متهمًا ابن سعود بالتواني والقعود عن نصرة الدين، وقام ابن سعود بزحف كبير ١٩٢٩م ضرب به جموع الدويش فجرح ولكنه عاد ليستنفر القبائل من جديد، فزحف ابن سعود إلى مكان يسمى الثمامة وما هي إلا مناوشات حتى انفضت الجموع من حول الدويش فهرب إلى الكويت واحتمى ببارجة بريطانية، فطالب ابن سعود بريطانيا بتسليمه، وسجن في الإحساء ومات بعد حبسه بسبعة شهور. انظر: الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٥٨.

(٤) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، ص٣٠٠.

فما كان من الإمام إلا وأن أرسل جيشًا بقيادة عبد العزيز بن مساعد سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، وتواجه الخصمان في حجله، وكانت الهزيمة لابن عائض واستطاع الجيش السعودي دخول أبها، واستسلم أميرها، فأرسل إلى الرياض ورحب به الإمام ترحيب الضيف، وعاد مرة أخرى إلى عسير تحت طاعة الحكم السعودي[١]، ولكن ما لبث ابن عائض أن ثار على الحكم السعودي في عسير بإيعاز من الشريف حسين الذي أمده بالمدافع والرشاشات[٢]، فأرسل الإمام عبد العزيز قوة كبيرة بقيادة ابنه فيصل بن عبد العزيز[٣]، الذي استطاع تشتيت قوات ابن عائض في عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، وبذلك تم ضم منطقة عسير حتى حدود اليمن من الجنوب وحدود الإدريسي من الغرب[٤].

وبعد أن قام سلطان نجد بتوحيد بلاده والقضاء على تلك الإمارات التي كانت تهدد باستقرار بلاده، بدت له الأوضاع وكأن بريطانيا تحيطه بالأعداء من جميع النواحي، فقد كانت من نتائج الحرب العالمية الأولى أن تكونت إمارات وممالك هاشمية جديدة، الشريف حسين في الحجاز، والأمير عبد الله في شرقي الأردن، والملك فيصل في العراق، مما أزعج ذلك السلطان عبد العزيز[٥].

---

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص٢٦١.

(٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ٢، ص٣٢٥.

(٣) ولد في مدينة الرياض في ١٤ صفر ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، شارك في سن مبكر في المعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة، ففي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، ولي عدة مناصب سياسية منها نائب الملك على الحجاز، ووزير الداخلية، ورئيس الوزراء، إلى أن بويع بولاية عهد أخيه سعود ١٣٣هـ/ ١٩٥٣م، ولي العرش بعد أن اجتمع أعيان آل سعود وعلماء الرياض وأصدروا بيانًا سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٦٤م بخلع أخيه سعود وتوليته العرش، لقي مصرعه اغتيالاً صباح يوم الثلاثاء الواقع في ١٣٩٥/٣/١٣هـ الموافق ١٩٧٥/٣/٢٥م على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز. انظر إلى: فؤاد صالح السيد: معجم السياسين المغتالين، (ط١، بيروت، دار المناهل، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ص٤٦٧.

(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٦٢.

(٥) وقد ذكر أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب أن السلطان عبد العزيز أخبره قائلاً: «تراهم

=

وقد حدث في تلك الفترة أن تفاقمت مشكلة على الحدود النجدية العراقية حيث توالت الغارات بين عشائر شمر العراق ومن نزح إليها من شمر حائل على العشائر النجدية، وإذ بالسلطان عبد العزيز يتلقى دعوة حضور مؤتمر في الكويت من الممثل البريطاني الكولونيل نوكسل عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م، يبحث فيها حل لقبائل شمر الملتجئة إلى العراق، والحدود بين نجد وشرق الأردن، وحل المشاكل بين نجد والحجاز[(١)]، واشترط السلطان عبد العزيز على الحضور أن تكون المفاوضات بين ممثلي كل دولة على حده، بينما رفض الشريف حسين دعوة المؤتمر، واشترط للعدول عن موقفه، أن يعيد السلطان عبد العزيز جميع المناطق التي سيطر عليها قبل الحرب العالمية الأولى، ولكن المؤتمر عقد في وقته، وبغياب الممثل الحجازي، إلا أن المؤتمر قدر له الفشل، وكان لفشله إيذانًا لبدء المواجهة بين القوات النجدية والحجازية[(٢)].

وعاد السلطان عبد العزيز إلى الرياض ليعقد اجتماع يبحث فيه مسألة الحجاز والحج، وانتهى بانعقاد العزيمة لتسيير الجيوش السعودية إلى الحجاز، وقد شجعه على اتخاذ هذه الخطوة، أن بريطانيا بدأت تتخلى عن وعودها التي قطعتها للشريف حسين أثناء الحرب العالمية الأولى تدريجيًا[(٣)].

= يدسون الدسائس عليَّ ــ بريطانيا ــ أحاطوني بالأعداء، أقاموا دويلات حولي ونصبوا من أعدائي ملوكًا، وهم يمدونهم دائمًا بالمساعدات المالية والسياسية، الشريف في الحجاز، وابنه عبد الله في شرق الأردن، وابنه فيصل في العراق، ما يقصد من هذه الأعمال؟ وما الداعي إليها؟ أنا ابن سعود صديق الإنجليز وهم في سياستهم الشريفية يعاملوني معاملة العدو». انظر إلى: أمين الريحاني: ملوك العرب، (د.ط، بيروت، دار الجيل، د.ت) جـ١، ص٥٤٢.

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص٢٦٥.

(٢) عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص١٨٨، ١٨٩.

(٣) تركية جار الله: موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى، ص١٩٥.

وصلت تلك القوات إلى تربة ومنها إلى الطائف، بقيادة كل من خالد بن لؤي[(١)] وسلطان بن بجاد عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وقد استطاعت هذه القوات أن تدحر القوات الهاشمية التي يقودها الشريف علي بن الحسين[(٢)]، حيث تراجع بقواته إلى الهدا، واستطاعت القوات السعودية ملاحقته مما اضطره إلى الانسحاب الفوري إلى مكة، حيث أمر بإخلائها من النساء والأطفال بما فيهم عائلة الشريف حسين[(٣)].

وقد ترائى أعيان جدة في الأحداث الخطيرة، وتوصلوا إلى وجوب تخلي الشريف حسين عن العرش لابنه علي بن الحسين، وترك البلاد لتهدئة الأوضاع، وبالفعل ترك

---

(١) خالد بن منصور بن لؤي (...ـ ١٣٥١هـ/ ...ـ ١٩٣٣م) شريف من الأمراء الشجعان، كانت له ولأسلافه إمارة الخرمة، وثار على الأتراك أبان الحرب العالمية الأولى مع الشريف حسين وهو من بني عمومته، وجهه الشريف حسين مع ابنه عبد الله لحصار بقايا الأتراك في الطائف، وقد حدث أنه اعتدى عليه أحد شيوخ عتيبة، فلم ينتصر عبد الله له ففارقه، وكتب للسلطان عبد العزيز يعرض عليه طاعته وولائه، فعلم ذلك الشريف عبد الله وأبوه، فوجهوا له ثلاثة جيوش صغيرة ظفر بها خالد، ووضعت الحرب أوزارها فجهز الشريف حسين ابنه عبد الله للزحف إلى الخرمة ومن ورائها نجد، فأرسل ابن سعود قوة صغيرة بقيادة ابن بجاد لمساعدة خالد بن لؤي الذين أغاروا على عبد الله في وقعة تربة، وعندما اشتد ما بين ابن سعود والشريف حسين، زحف خالد مع رجال ابن سعود إلى الطائف ومنها إلى مكة ودخلوها وتولى الإشراف عليها إلى حين وصول ابن سعود، واشترك خالد في حصار جدة، ثم أقام في مكة مع الملك ابن سعود، إلى أن قامت ثورة الأدارسة في بلاد عسير ١٣٥١هـ، فجهزه ابن سعود إلى مدينة صبيا فمرض في أبها ومات قبل دخوله صبيا. الزركلي: الأعلام، جـ٢، ص٣٤٠.

(٢) الشريف علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الهاشمي (١٢٩٨ـ ١٣٥٣هـ/ ١٨٨١ـ ١٩٣٥م) آخر من سمي ملكًا في الحجاز من الهاشميين، كان أكبر أبناء الملك حسين، ولد بمكة، وأقام زمنًا مع أبيه في استانبول، برز نشاطه في ثورة أبيه على الأتراك (١٩١٦ـ ١٩١٨م) وكان يوم إعلان الثورة نازلاً بالمدينة فحاصرها، إلى أن انتهت الحرب العامة الأولى واستسلم قائد الحامية التركية فيها القائد فخري باشا، وجعله والده رئيسًا لمجلس الوكلاء بمكة وعهد إليه بشؤون القبائل، ولما أغار رجال الملك ابن سعود على طائف سنة ١٩٢٤م، خلع الملك حسين نفسه من الملك في ٣ أكتوبر ١٩٢٤م، انتقل ابنه إلى جدة فنزل عليّ عن العرش ١٧ ديسمبر ١٩٢٥م، وانصرف إلى بغداد فاستقر في ضيافه أخيه فيصل بن الحسين ومن ثم غازي بن فيصل، إلى أن وافته المنية، كان وديعًا، حليمًا، محبًا للخير، طيب القلب. زركلي: الأعلام، جـ٥، ص٩٢.

(٣) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي ١٩١٦ـ ١٩٢٥م، ص٣٧٦ـ ٣٧٨.

الحسين مكة متجهًا إلى جدة، وبقي فيها ستة أيام غادر بعدها إلى العقبة عند ابنه الأمير عبد الله، ونودي بالشريف علي ملكًا على الحجاز، وأقام في مكة أسبوعًا وبعدها اضطر إلى الانسحاب إلى جدة، عندما علم أن القوات السعودية قد وصلت إلى الزيمة[١].

وقد كانت مواقف بعض الدول الإسلامية مؤيدة للسلطان عبد العزيز فقد كانوا يرون الشريف حسين بأنه رجل بريطانيا، التي هي الأخرى كانت تسيطر على تلك الدول الإسلامية، مثل مصر والهند[٢].

دخلت طلائع القوات السعودية مكة ١٧ ربيع الأول من عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وقد أوقف السلطان عبد العزيز تقدم قواته إلى جدة لحين وصوله إلى مكة، حيث وصلها في ٧ جماد الأولى ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وهناك جرت محاولات للصلح بين الطرفين المتحاربين، ولكن لم يقدر لها النجاح[٣].

وقد مكثت القوات السعودية في مكة عدة أشهر، عملت خلالها على وضع يدها على مناطق استراتيجية مثل القنفذه، والليث، ورابغ، وبعدها صدرت الأوامر بالزحف إلى جدة، وفرض الحصار عليها عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م[٤]، كما أرسل السلطان عبد العزيز قوة عسكرية أخرى بقيادة ابنه محمد بن عبد العزيز إلى المدينة المنورة وشدد الحصار عليها، حتى استسلمت بعد حصار دام عشرة أشهر ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م[٥]، وبعد أشهر سلّمت

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر إلى: مواقف الدول الإسلامية والأجنبية من الصراع السعودي الشريفي بالتفصيل إلى: خالد الهميل: العلاقات بين الملك عبد العزيز آل سعود والأشراف وضم الحجاز (ط١، د.م، د.ن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص٢٥٣ـ ٢٦٨.

(٣) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، ص٣٥٠، ٣٥١.

(٤) وهيم طالب محمد، المرجع السابق، ص٤٣٥ز

(٥) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص٤٢٠.

مدينة جدة، وأعلن الملك علي بن الحسين تنازله عن العرش، وخروجه منها مع عائلته، وبذلك تمكن السلطان عبد العزيز من ضم الحجاز إلى نفوذه، وإنهاء حكم الأشراف نهائيًا عنها[١].

وقد تمت البيعة للسلطان عبد العزيز في مكة المكرمة في ٢٥ جماد الآخر ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، وأصبح يحمل لقب ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبعد ذلك تم له السيطرة على مقاطعة تهامة عسير التي كانت تحت حكم الأدارسة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، وأصبح بعدها الإمام يلقب ملك الحجاز ونجد ملحقاتها، وكان ذلك في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م[٢]، وفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م صدر مرسوم ملكي بتحويل اسم (البلاد الحجازية النجدية وملحقاتها) إلى اسم المملكة العربية السعودية[٣]، وبهذا الإعلان الرسمي، تمكن الملك عبد العزيز آل سعود من توحيد البلاد، بعدما كانت عبارة عن كيانات سياسية متفرقة في الجزيرة العربية، والآن انصهرت داخل منظومة واحدة، وهي الدولة السعودية الثالثة.

وبعد ذلك بعدة سنين اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، بين دول محور (إيطاليا وألمانيا) ودول الحلفاء (بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية)، وكان موقف جلالته من الحرب كموقفه السابق من الحرب العالمية الأولى، فقد التزم الحياد ليجنب البلاد من أهوالها[٤].

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص٣٥١.

(٣) بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود (د.ط، الرياض، مطابع الرياض، ١٣٨٠هـ/ ١٩٨١م) ص٢١٧.

(٤) خير الدين زركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ٣، ص٩٦١.

وقد كان هذا الموقف في حد ذاته خدمة لصالح دول الحلفاء فقد ترجم الزركلي رواية للكاتب لبكيتشر عن حقيقة موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية حيث قال:

«إن معونة ابن سعود لنا في كسب الحرب ما زال الكثيرون غير مدركين أنها كانت عظيمة وجوهرية، وهو إن لم يقم بتقديم عون عسكري فقد قام بالمحافظة على الاستقرار في العالم العربي... ولولا يده المهدئة لاضطر الحلفاء إلى استعمال جيوش لحفظ النظام في بلاد العرب تكبدهم من النفقات أكثر بكثير من تلك المعونة التي قدموها إليه، لكي يتغلب بها على ضيق بلاده الاقتصادي»(١).

وعلى الرغم من حياده، إلا أنه كان لا يداخله الشك في أن الغلبة لدول الحلفاء(٢)، وعندما أوشكت الحرب على نهايتها، اقترح الرئيس روزفلت رئيس الجمهورية الأمريكية، على الملك عبد العزيز أن يعلن الحرب على دول المحور حتى يتمكن من الاشتراك في منظمة الأمم المتحدة، خاصة وأن الحرب أوشكت على الانتهاء لصالح الحلفاء، ولن يكون هناك شيء يخسره، وأعجب الملك بالفكرة، وأعلنت حكومته في عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، الحرب على ألمانيا وإيطاليا(٣).

وبعدها في نفس العام أعلنت المحطات الإذاعية العالمية بانتهاء الحرب وتسليم الألمان بدون قيد أو شرط(٤)، وعلى أثره استطاعت الحكومة السعودية المشاركة في منظمة هيئة الأمم المتحدة(٥).

---

(١) خير الدين زركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ٣، ص٩٦١.

(٢) دارة الملك عبد العزيز، وثيقة رقم ٧٧، رسالة من الملك عبد العزيز إلى ملك تونس أحمد باي، سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.

(٣) عزة شاهين: العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ١٩٢٤ـ ١٩٤٥م، ص٦٧.

(٤) خير الدين الزركلي، المرجع السابق، جـ٣، ص٩٦٥.

(٥) عزة شاهين، المرجع السابق، ص٦٧.

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية في المملكة التونسية

قبل عام ١٢٩٩هـ، ١٨٨١م كانت تونس إيالة عثمانية[١]، تقع في الشمال الأفريقي يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب الجزائر، ومن الشرق طرابلس الغرب (ليبيا)، ومن الجنوب الجزائر وطرابلس الغرب[٢]، وتخضع خضوعًا اسميًا للباب العالي، وكان السلاطين العثمانيون يكتفون بإصدار الفرمانات بتعيين رايات، وسك العملة، والدعاء لهم في الخطبة على المنابر، وبذلك فقد كانوا بايات[٣] تونس يتمتعون بإستقلال تام، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وكانت لهم أيضاً الإستقلالية حتى في عقد المعاهدات والاتفاقيات السياسية[٤].

الموقع الجغرافي لتونس يُعتبر موقعًا إستراتيجيًا أثار مطامع الدول الأوربية العظمى (بريطانيا ــ فرنسا ــ إيطاليا) منذ القدم[٥]، وأصبحت كل دولة تتطلع للسيطرة عليها

---

(١) شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، (ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧) ص١٠٨. عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم (ط. بيروت، دار لبنان، ١٩٦٩م) ص٢٧٧.

(٢) آمنة أبو حجر: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، (ط١، عمَّان، دار أسامة للنشر، ٢٠٠١) ص١٧١.

(٣) بايات مفردها (باي) وهي مشتقة من كلمة (بك) الفارسية ومعناها الأمير. انظر إلى: أمين محمد سعيد: ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم (د.ط، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت) ص٣٩٢.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩٧.

(٥) علي المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب: عمر قرقوري وعلي المحجوبي، (د.ط، د.م، سراسل، د.ت) ص٢٦.

معللة في ذلك بعض الأسباب لوضع يدها على تونس، ففرنسا كانت ترى في سيطرتها على تونس نتيجة حتمية بعد سيطرتها على الجزائر فقد صرحت مراراً على ضرورة عدم وجود دولة تناوئها في شرق الجزائر أو غربها[١].

وأما بريطانيا فقد كان ميناء بنزرت[٢] يشكل قاعدة بحرية لها، وكان في نظرها يحمي طريق الهند الذي أصبح يمر بالبحر الأبيض المتوسط منذ فتح قناة السويس[٣] ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م[٤]، أما أهمية تونس بالنسبة لإيطاليا فتتمثل بقرب أراضي الدولتين من بعض[٥]، وبذلك أصبح مسألة احتلالها يشكل أهمية قصوى لتلك الدول.

ولم يكن بايات تونس بغافلين عن تلك الأطماع السياسية ورأوا أن الوسيلة الوحيدة للتصدي لتلك الأطماع هو فتح باب الامتيازات الاقتصادية لتلك الدول لتزكي نيران التنافس فيما بينهم[٦]، فقد منحت امتيازات إنشاء خط حديدي داخل مناطق البلاد لكل

---

(١) علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي (ط٦، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٣م) ص٤١، ٤٢.

(٢) بنزرت ميناء تونس على البحر الأبيض المتوسط اتخذ منها الفرنسيون قاعدة بحرية محصنة وبعد استقلال تونس ١٩٥٦م انسحبت إليها الجيوش الفرنسية من داخل تونس ثم أجلت عنها نهائيًا في أكتوبر ١٩٦٣م. انظر إلى: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة (د.ط، القاهرة، دار الشعب، د.ت) ص٤١١.

(٣) قناة السويس هي قناة بحرية تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر تقع في شرق مصر، وقد نفذ هذا المشروع دي ليسيبس المهندس الفرنسي، واستطاعت بريطانيا السيطرة عليها بشراء أسهمها من الخديوي إسماعيل حتى استطاع جمال عبد الناصر من تأميمها في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م. انظر إلى المرجع السابق، ص١٤٠٠.

(٤) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص٣٢.

(٥) صلاح العقاد: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، (ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م) ص١٧٦.

(٦) أمين محمد سعيد: ملوك المسلمين المعاصرون دولهم، ص٣٩٨.

من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا[١].

وقد ظل هذا التنافس مستمر بوتيرة هادئة حتى استجد على الساحة الدولية أمور سياسية عجلت من احتلال تونس، وذلك أن فرنسا خاضت حربًا ضدّ ألمانيا، كانت نتيجتها أن ألحقت بفرنسا الهزيمة، واستقطاع الألزاس واللورين منها لصالح ألمانيا عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م، وقد كانت الأخيرة على علم بأن فرنسا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام ما حل بها من هزيمة، فعملت على عزلها سياسيًا وعسكريًا، وإيجاد شيء آخر يشغلها ويصرف النظر عنها، ومن هنا استطاع بسمارك الظهور بفكرة احتلال فرنسا لتونس، خاصة وأن بريطانيا قد صرفت النظر عن تونس بعد احتلالها لقبرص[٢] من الدولة العثمانية عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م[٣].

ولذلك دعت ألمانيا الدول الأوروبية لعقد مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م والذي جرت فيه مساومات وتسويات على حساب أراضي الدولة العثمانية انتهت بتشجيع فرنسا على احتلال تونس بدعم ألماني بريطاني، أما إيطاليا التي لم تستطع أن تجد لها دعمًا فعليًا أو موقفًا دوليًا يحقق غاياتها في تونس، فقد اكتفى المؤتمر بإعطائها بعض الترضيات لجالياتها هناك[٤].

وبقي أمام فرنسا إقناع مجلس النواب بهذه الخطوة العسكرية، فقد كان هذا المجلس

---

(١) علي المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، ص٣٢، ٣٣.

(٢) قبرص جزيرة في البحر المتوسط عاصمتها نيقوسيا، معظم سكانها يونانيون وبها أقلية تركية، وقد استولى عليها الأتراك عام ١٥٧١م، وفي عام ١٨٧٨م تنازلت عنها لبريطانيا، وقد نالت قبرص استقلالها ١٦ أغسطس ١٩٦٠م. انظر إلى: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص١٣٦٨.

(٣) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص٣٢.

(٤) علي البلهوان: تونس الثائرة، (د.ط، د.م، لجنة تحرير المغرب العربي، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) ص٣.

بزعامة كلمنصو (Clemenceau) ضد هذه الفكرة التي تصرف أنظارهم عما فقدوه في حربهم مع ألمانيا، وتعويضهم بتونس التي لا تساوي ما يعادل قطعتي الألزاس واللورين[١].

وقد حاول رئيس الحكومة جول فيري (Joul Faire) بإقناع المجلس بأن فرنسا لا تريد استعمار تونس وإنما تريد السيطرة عليها لضمان بقائها في الجزائر، حيث واستند على تلك الغارات الواقعة على الحدود التونسية الجزائرية، فقد قامت قبائل الخمير التونسية بغارات على الحدود الجزائرية[٢]، وعلى أثر تلك الحادثة استطاع جول فيري إقناع مجلس النواب الذي أصدر أوامره بتسيير حملة تأديبية واعتماد المبالغ اللازمة لها[٣]، فدخلت الجيوش الفرنسية تونس متجهة نحو قصر الباي محمد الصادق، وفرضت عليه حصار وتقدم الجنرال بريار بمشروع المعاهدة إلى الباي طالبًا منه توقعيها خلال ساعات وإلا سيقوم بخلعه وتنصيب أخيه الطيب باي الذي اتفق معهم بتوقيع المعاهدة في حالة رفض أخيه لتوقيعها، وأمام هذه الضغوط وافق عليها وصادقها في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م[٤].

وتعتمد فكرة معاهدة الحماية على مبدأ (لا إلحاق ولا إنسحاب)[٥]، ومعنى ذلك أن فرنسا تحكم حكمًا غير مباشر بواسطة إبقاء السلطة التقليدية في وظائفها مع مراقبتها عن كثب بواسطة مراقب فرنسي[٦]، أما فيما يتعلق بالشؤون الخارجية والدفاع فهي من

(١) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٣.

(٢) عبد المجيد قصاب: رحلة إلى تونس (عتبة السلام)، (د.ط، د.م، مطبعة الباني، ١٩٦٥م) ص٢٣٩.

(٣) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص١٨٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٨٩.

(٥) علي البلهوان، المرجع السابق، ص٣.

(٦) محمد الهادي الشريف: ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاويش ومحمد عجينه، (د.ط، د.م، دار سراس، د.ت) ص٩٩.

اختصاصات الدولة المحمية، وقد نصت المعاهدة على أن الاحتلال العسكري سيكون مؤقتًا إلى أن يستتب الأمن[(١)].

ويبدو أن احتلال تونس بدون مقاومة تقريبًا جعل الفرنسيين يظنون أن أمرهم قد استتب فيها، ولكن سرعان ما خاب تقديرهم في ذلك، فقد نشبت ثورة عارمة امتدت في أرجاء البلاد، في القيروان[(٢)]، وصفاقس[(٣)]، وجزيرة جربة[(٤)]، وخليج قابس[(٥)] حتى حدود طرابلس[(٦)]، واستمرت تلك الثورات حتى عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، حتى استطاعت القوات الفرنسية قمعها[(٧)]، وكان ذلك نتيجة طبيعة لعدم تكافؤ بين القوات الفرنسية، وقوة القبائل التونسية.

ونظرًا لذلك عمدت سلطات الحماية إلى توسيع صلاحيتها في تونس بإلحاق معاهدة باردو بإتفاقية أخرى عرفت باتفاقية المرسى عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م لخدمة ذلك الغرض،

---

(١) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص١٩٠.

(٢) القيروان أسسها عقبة بن نافع في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهي تبعد ٣٦ ميل عن البحر المتوسط، و١٠٠ ميل عن تونس. انظر إلى: حسن محمد الوزان الفاسي: وصف أفريقيا، ترجمة محمد الحجي ومحمد الأخضر (ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م) جـ٢، ص٨٧٠.

(٣) صفاقس بنوها الأغالبة في عهد سادس أمرائها (إبراهيم أحمد) وكانت صفاقس عبارة عن سوق قروية، وقد أشرف على بنائها القاضي علي بن حاتم البكري. انظر إلى: حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، (ط٢، تونس، مكتبة المنار، ١٩٧٢م) جـ١، ٢٨٥ـ ٢٨٩.

(٤) جزيرة جربة مجاورة لليابسة وهي كلها منبسطة رملية، يكثر فيها النخيل وزراعة الزيتون، عرف عنها نشاطها التجاري. انظر إلى: حسن محمد الفاسي: وصف أفريقيا، (ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م) ص٩٣ـ ٩٥.

(٥) قابس مدينة كبيرة جدًا بناها الرومان على ساحل البحر الأبيض المتوسط في داخل الخليج، المرجع السابق، ص٩١.

(٦) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص١٩٢، ١٩٣.

(٧) علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية، ص١٦٥.

وعليه دخلت الجاليات الأوروبية تونس، وقد منحتهم الجنسية الفرنسية حتى تزيد عدد رعاياها، ووضعتهم في وظائف مهمة في الدولة ورفعت من أجورهم، تاركة خلفها المنشآت العمرانية والثقافية والصحية(١)، وهكذا دخلت تونس حقبة زمنية جديدة تتلظى فيها بنار الاستعمار وتكتوي بلهيبه.

وفي تلك السنوات شهدت الحركة الوطنية فتورًا بعض الشيء، أرجع بعض المؤرخون السبب في ذلك إلى عدم وجود زعامة سياسية تلتف حولها الجماهير الثائرة التي لم تكن في صورة منظمة ومتحدة(٢)، حتى عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، تأسست جريدة (التونسي) تحت زعامة علي باش حامبة(٣)، حيث تكتل حوله الشباب المثقف وعملوا في بادئ الأمر على المطالبة بالتغيير السلمي والمطالب السياسية في حدود الديمقراطية لدفع بلادهم نحو ركب الحضارة الفرنسية(٤)، وعلى الرغم من أن جماعة هذه الجريدة لم تناهض فكرة الاستعمار، إلا أنها كانت تندد بتعدياته الصارمة وتعمل على مقاومة مشاريعه، والدفاع عن حقوق تونس والتونسيين وقد نجح جماعة جريدة التونسي بإيقاظ الشعور الوطني من جديد في مناسبات عديدة جعلت سلطة الحماية مهددة بالزوال(٥).

---

(١) إسماعيل الياغي، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (ط٣، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) جـ٢، ص١٠٢.

(٢) Leire (Mohmed Salah), L'Evulution du Mouvement National Tunisin de Origines a la deuxieme gurre mondide, vol. I, M.T.E, Tunis, 1974.

(٣) علي باش حامبه ينحدر من أسرة تركية، كان جده رئيسًا لجند الترك، وكان من تلامذة المدرسة الصادقية وكان يثير إعجاب أقرانه وأساتذته على سواء لحدة ذكائه، أنشأ جمعية قدماء المدرسة الصادقية عام ١٩٠٥، وأصدر جريدة التونسي الناطقة بالفرنسية عام ١٩٠٧، وقد قررت الإقامة العامة بنفيه إلى اسطانبول على أثر هيجان الشعب من احتلال طرابلس الغرب، وبقي فيها حتى لقي حتفه عام ١٩١٨م. انظر: صادق الزمرلي: أعلام التونسيون، تعريف حمادي الساحلي، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م) ص١٤١ـ ١٥٧.

(٤) محمد الهادي الشريف: ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، ص١١٣.

(٥) الحبيب ثامر: هذه تونس (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)

=

وقد تعاقب خلال هذه السنوات حوادث زادت من حدة التوتر بين التونسيين والفرنسيين من جهة، والجالية الإيطالية من جهة أخرى، فقد احتلت إيطاليا عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م الأراضي الليبية مما أحدث ردة فعل عنيفة لدى شعور الوطنيين التونسيين[١]، وتزامن هذا الحدث بتعدي سلطات الحماية على مقبرة الجلاز[٢]، فتصاعدت ردود فعل الوطنيين التونسيين الذين دافعوا عن المقبرة بأرواحهم، حيث دارت معارك عنيفة انتهت بتنفيذ قرار الحماية بعدما ذهب العديد من الضحايا والجرحى[٣]، وبسبب تلك الأحداث الدموية أعلنت الإقامة العامة الفرنسية[٤] الأحكام العرفية في البلاد، والقضاء على زعماء الحركة الوطنية ونفيهم خارج البلاد[٥].

وما كان لفرنسا أن ترتاح من الحركة الوطنية حتى داهمتها نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، وقد أثرت هذه الحرب على الأوضاع في البلاد التونسية نظرًا لتبعيتها لفرنسا، فقد انقسم العالم إلى دول محور وهي ألمانيا والدولة العثمانية، ودول الحلفاء وهي فرنسا وبريطانيا، وقد كان موقف الدولة العثمانية في بداية الأمر موقفًا محايدًا، إلا أنها خشيت من أي اعتداء خارجي فأعلنت الحرب على دول الحلفاء، وإلغاء الامتيازات معهم، وبناء على موقفها قامت دول الحلفاء بقطع العلاقات الدبلوماسية معها

=

ص١٣٨.

(١) علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية، ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) وهي مقبرة له من المسلمين في مدينة تونس وقد عمدت السلطات الفرنسية إلى مسح أرض تلك المقبرة وضمها للمتلكات الفرنسية مما ثار سخط المسلمين في تونس.

(٣) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٤١.

(٤) المقصود بها هي السلطات الفرنسية المقيمة على الأراضي التونسية.

(٥) الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص١٤٠.

وإعلان الحرب عليها(١)، وبذلك انساقت الدولة العثمانية إلى حرب عالمية لا قبل لها بها.

وقد كانت السلطات الاستعمارية على دراية بنوعية العلاقة التي تربط الدولة العثمانية في نفوس التونسيين من الناحية السياسية والروحية، التي استمرت حتى بعد فرض الحماية على تونس(٢)، ولذلك عمدت على توسيع حالة الحصار التي كانت قد أعلنتها عقب أحداث مقبرة الجلاز، حيث شملت على تفتيش المنازل وتحجير الاجتماعات، وامتد الحصار إلى الصحف المحلية والأجنبية، في محاولة منها لعزل الأهالي عن الأحداث الخارجية(٣).

وقد عمدت فرنسا بالضغط على موقف محمد الناصر باي وبعض الرموز الدينية(٤) وتمكنت من تجنيد ٦٥ ألف مقاتل، ذهب ضحيتها ٤٥ ألف بين قتلى وجرحى، كما قدمت تونس ٣٠ ألف من أبنائها لمصانع فرنسا الحربية ووضعت مواردها المادية تحت تصرفها(٥).

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وانتصار دول الحلفاء، أعلن الرئيس الأمريكي ويلسن، عن نقاطه الأربع عشرة، التي منح فيها جميع الشعوب حق تقرير المصير، وصلت هذه التصريحات إلى تونس التي ما لبثت أن أعدت عرائضها استعدادًا لتقديمها في مؤتمر فرساي، وقد سافر لهذا الغرض إلى فرنسا الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي قدم عريضة

---

(١) التليلي العجيلي: صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، ص٢٢٤.

(٢) كان من مظاهر قوة هذه الصلات بين تونس والدولة العثمانية أنه بعد عام ١٨٨١م أي بعد فرض الحماية استمر التونسيون يخطبون باسم الخليفة العثماني في الجوامع حتى انتهاء عهد السلطان محمد رشاد ١٩١٨م. انظر إلى: أمين سعيد، ملوك المسلمين المعاصرون لدولهم، ص٣٩٧.

(٣) التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص٢٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص٣٤٠.

(٥) أمين محمد سعيد، المرجع السابق، ص٤٠١.

إلى الرئيس ولسن باسم الشعب التونسي مطالبًا باستقلال بلاده، ولكن ما لبث أن أخفق مؤتمر الصلح في باريس وفقدت الشعوب المستعمرة آمالها في الاستقلال، ثمَّ اتجه الثعالبي إلى الرأي العام، فأصدر كتابه الشهير (تونس الشهيدة)[(١)]، الذي أحرز نجاحًا منقطع النظير، حيث وصف الكتاب وضع البلاد التونسية قبل الحماية وما آلت إليه هذه البلاد بعد فرض الحماية نحو الفقر والبؤس، وختم كتابه بمطالبه الوطنية[(٢)].

وقد أرسل الشيخ الثعالبي إلى رفاقه الوطنيين من باريس يطلعهم على مجريات الأحداث هناك قائلاً لهم:

> «إن حركة ويلسون قد أخفقت وأن الآمال المبنية عليها قد انهارت... ولهذا لزم الاستعداد لكفاح طويل مرير، إنه لم يعد الآن في الإمكان المطالبة بإلغاء نظام الحماية فذلك قول لا يسمح له اليوم أحد، إنما يجب أن نطالب بإعلان الدستور التونسي، وأخذ زمام الحكم بأيدينا، وإدارة بلادنا بأنفسنا وتكتفي فرنسا بالإشراف والحماية الخارجية كما هو منطوق ومفهوم معاهدة ١٨٨١م»[(٣)].

وبالفعل فقد قام أنصار الشيخ في تونس بتأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي، وتقدم أعضائه بعريضة إلى الباي محمد الناصر مطالبين بإعلان الدستور[(٤)]، أما ردود فعل السلطات الفرنسية، فقد عمدت على تحجير كتاب تونس الشهيدة، وإلقاء القبض على كل من تجد لديه نسخة[(٥)]، وقامت بإلقاء القبض على الشيخ الثعالبي وأرسلته من فرنسا إلى

---

(١) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص١٤٢، ١٤٣.

(٢) عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، تعريب حمادي الساحلي ومراجعة محمد العروشي، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت) ص٢٨٠ـ ٢٩٧.

(٣) يوسف مناصرية: الحزب الدستوري الحر التونسي ١٩١٩ـ ١٩٣٤م، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت) ص٥٣.

(٤) الحبيب ثامر، هذه تونس، ص١٤٣.

(٥) علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية، ص٢٩١.

تونس مكبلاً بالقيود[١]، وكان لهذا الإجراء بحق الثعالبي ردود فعل صاخبة، قام بها الشعب التونسي أجبر فيها الحكومة الفرنسية على إطلاق سراحه، ليعود من جديد لقيادة الحرب بنفسه[٢].

وانتشرت حركة الحزب انتشارًا واسعًا في أنحاء القطر التونسي مما دفع الحكومة الفرنسية بتعيين مقيم جديد لمواجهة تلك التطورات الجديدة، فعين مقيمها لوسيان سان (Lucien San)، فقد بدى عهده برفع الحصار الذي فرض من عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وإطلاق بعض الحريات، وتنفيذ بعض الإصلاحات التي لم يقبل بها الشعب التونسي، فعاد التوتر من جديد، خاصة بعد أن صرح رئيس جمهورية فرنسا (أن تونس ستظل مرتبطة بفرنسا إلى الأبد)[٣] من جهة، وما عمد إليه المقيم العام من فتح باب الهجرة إلى تونس للفرنسيين والأوروبيين من جهة أخرى، حتى زاد هيجان الشعب، الذي كان يدعمه موقف الباي محمد الناصر، فقد هدد الحماية بتخليه عن العرش في حالة عدم تنفيذ مطالب الدستوريين، فما كان من المقيم العام إلا وأن حاصر قصره، فقامت مظاهرات صاخبة على أثر ذلك الإجراء، فلجأ المقيم العام إلى المراوغة، ووعد الباي بأنه سيعمل على تحقيق رغبات الوطنيين حالما تنتهي زيارة الرئيس الفرنسي لتونس، وما انتهت الزيارة إلا ونكث لوسيان سان بوعوده، وأصدر أوامره بتعطيل الحريات العامة، والصحف، ومنع الاجتماعات، وبذلك فقدت الحركة الوطنية نشاطها، خاصة بعد وفاة الباي محمد الناصر الذي أحدث فراغًا في نشاط الحركة فقرر الثعالبي الهجرة إلى الشرق عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م[٤].

---

(١) عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص٩.

(٢) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص٧٤.

(٣) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٢٧، ٣٢٨.

(٤) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٤٤، ٤٥.

وهكذا عاش الدستوريون فترة من أحرج فترات تاريخهم ١٣٤١هـ ــ ١٣٥٠هـ/ ١٩٢٢ ـ ١٩٣١م، فقد تولى العرش الباي محمد الحبيب، الذي عرف عنه ولائه للإقامة العامة، فأغلق أبواب قصره في وجه الوطنيين ولم يساندهم حتى في أحرج الظروف(١).

وعلى أثر فترة ركود الحركة الوطنية، تقلد نشاطها مجموعة من الشباب المثقف بعد أن استكملوا دراستهم في أوروبا، وكانوا أصحاب اتجاهات فكرية وأساليب جديدة، فقد التفوا هؤلاء حول صحيفة الصوت التونسي- التي أسسها الشاذلي خير الله(٢) عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وقد توافقت تلك الأحداث مع مستجدات السلطات الفرنسية في تونس، حيث تقرر عقد مؤتمر الإفخارستي فيها، وقد صادقت الحكومة الفرنسية على تنفيذ المشروع بتكلفة مليونين فرنك، وصرح الأسقف بأن المؤتمر عبارة عن حملة صليبية وإن كان ملؤها المحبة والسلام(٣).

كما قررت الإقامة العامة بتنظيم احتفالات عظيمة بمناسبة مرور خمسين عامًا على الحماية عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وبدأت الاحتجاجات والمظاهرات في سائر أرجاء المملكة تندد بالاستفزازات الفرنسية التي تمس بكرامة التونسيين وتمس عقيدتهم، كما عمدت جريدة (الصوت التونسي) الناطقة بالفرنسية بالتشهير في مقالاتها بالاستعمار وفضح مخططاته الأثيمة، وفي استجابة للمقيم العام، دعا صاحب الجريدة الشاذلي خير الله

---

(١) يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري التونسي، ص١٣٥.

(٢) الشاذلي خير الله (١٨٩٨ــ ١٩٧٢م) هو الابن الأكبر للجنرال خير الله بن مصطفى، وقد درس في الكُتَّاب ثم في المدرسة الابتدائية ثم التحق بمعهد كارنو، وأتم دراسته الجامعية وبدأ بكتابات مقالات في صحف الناطقة بالفرنسية، ألف العديد من الكتب التي تهتم بالحركة الوطنية منها (حركة الشباب التونسي) وكتاب (الحركة التطويرية التونسية)، وقد امتاز بثقافة واسعة في معالجة أحداث الساعة. انظر: الصادق الزمرلي: أعلام التونسيون، تعريب: حماوي السامعي، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦) ص٣٤٥ــ ٣٤٨.

(٣) علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص٤١، ٤٢.

المحررين إلى تخفيف لهجتهم، فانفصل عدد منهم وبادروا بتأسيس جريدة جديدة باسم (العمل التونسي) بإدارة المحامي الحبيب بورقيبة[١] الذي بدا نجمه بالبزوغ[٢].

وقد قامت الجريدة بعمل حاسم ضد قانون التجنيس عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، الذي أصدرته الحكومة الفرنسية، وفتحت باب التجنيس بصورة جماعية، فشنت الصحافة الوطنية حملة صادقة قوية، قرر من خلالها الشعب مقاطعة المتجنسين من أبناء البلاد اجتماعيًا واقتصاديًا ودينيًا، ومنعوهم من دخول المساجد، وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين، وقد نجحت المقاطعة في تقليل عدد المتجنسين من ناحية، ومن ناحية أخرى سجلت الحركة الوطنية انتصارًا على سياسة الإندماج الفرنسية[٣].

وعندما رأت اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ما أحرزه هؤلاء الشباب من نجاح قررت ضم هؤلاء إلى الحزب، فعقدت مؤتمرًا وطنيًا في تونس عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م لإعلان هذا القرار وضم كل من حمود الماطري[٤]، والأخوان الحبيب بورقيبة ومحمد بورقيبة[٥]، والبحري قيقة[١]، وما أن علمت الإقامة العامة بذلك حتى أصدر مقيمها

---

(١) الحبيب بورقيبة: ولد في مدينة المنستير في جنوب تونس سنة ١٩٠٣م، وتلقى دراسته الأولى في إحدى المدارس الفرنسية ثم أكمل دراسته في باريس حيث حصل على إجازة الحقوق ودبلوم العلوم السياسية ١٩٢٦م، وبعد عودته إلى تونس عمل في الصحافة والمحاماة، وقد تميز بورقيبه في عمله السياسي بأن نشاطه كان غير محصورًا في أوساط المثقفين بل في عامة الشعب. انظر: صلاح العقاد: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، ص٣٣٣.

(٢) علال الفاسي، المرجع السابق، ص٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص٧٤.

(٤) محمود الماطري (١٨٩٧ـ ١٩٧٢م) من مواليد تونس، درس الابتدائية والثانوية في المدرسة الصادقية ثم التحق بكلية الطب في مدينة ديجون بفرنسا، واستكمل دراسته العليا حتى حصل على الدكتوراه في الطب وبعدها عاد إلى تونس، وقد توطدت علاقته بالحبيب بورقيبة، وقد شرعا في تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد، وعندما قام المنصف باي بتشكيل الوزارة عينه وزيرًا للداخلية، وعندما استقلت البلاد التونسية عينه الرئيس الحبيب بورقيبة وزيرًا للصحة العمومية. انظر: الصادق الزمرلي: أعلام التونسيون، ص٣٥٥ـ ٣٦٠.

(٥) محمد بورقيبة (١٨٨٢ـ ١٩٥٦م) كان والده تركي الأصل يعمل في سلك الجند التركي

=

منصرون (Manceron) قرار بحل الحزب، ومصادرة الصحف الوطنية، فقامت الحكومة الفرنسية بعزله، وتعيين بيرتون (Beyrouton) محله، الذي اتبع سياسة المهادنة وإعطاء بعض الوعود والترضيات[٢].

ولم يدم الوئام بين أعضاء الحزب طويلاً، حيث دب خلاف بين قادة الحزب الأولين، وجماعة العمل التونسي- الذين دعوا إلى عقد مؤتمر ببلدة قصر- هلال للنظر في مسألة الخلاف، ولكن أعضاء اللجنة التنفيذية رفضوا الحضور، فأعلن انفصالهم عن حزب الحر الدستوري الجديد الذي قام بتأسيسه جماعة العمل التونسي- وانتخبوا ديوانًا سياسيًا لإدارة الحزب، وعين الحبيب بورقيبة أمينًا له[٣].

وقد قام الحزب الجديد بدور كبير في نشر مبادئه التي انتشرت في جميع أرجاء البلاد في القرى والبوادي بعدما كانت مقتصرة على المدن، وعمَّ الوعي الوطني بين طبقات الشعب، بعدما كان مقصورًا في طبقات معينة[٤].

وقد أدرك بيرتون خطورة تلك التطورات وأنها تهدد مصالح المستوطنين بشكل مباشر، فتسلط على الحزب، وعطل جريدة العمل، والقبض على زعمائها على رأسهم الحبيب بورقيبة عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م[٥]، وتضامن الشعب التونسي مع تلك الأحداث

= النظامي، ولد في تونس العاصمة، وقد تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم على يد مؤدب، ثم التحق بجامع الزيتونة، ثم اشتغل بعد ذلك في تحرير بعض الصحف، وبعدها امتهن مهنة المحاماة في المحاكم التونسية. انظر إلى المرجع السابق، ص٢٩٥- ٢٩٩.

(١) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، (د.ط، د.م، دار التونسية، ١٩٨٣م) ص١٦٧.

(٢) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٣١.

(٣) الحبيب ثامر: هذه تونس ص١٥١.

(٤) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص ١٥١.

(٥) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٣٥.

فقامت المظاهرات والاحتجاجات واستمرت حتى قررت الحكومة الفرنسية عزل بيرتون، وتعيين مسيو ارمان سيون مقيم عام في أبريل ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، الذي بدأ مهمته باتباع سياسة تحريرية فأطلق سراح الزعماء المعتقلين، وسمح للحبيب بورقيبة ورفاقه بالعودة إلى نشاطهم[١]، وفي ظل هذه الأجواء الديمقراطية تقدم الحزب إلى الحكومة الفرنسية بعريضة مطالب اتسمت بالاعتدال واحترام معاهدة باردو ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م التي تقر بالسيادة الفرنسية[٢]، وطالب المشروع بمنح التونسيين برلمان وحكومة مسئولة أمام الشعب التونسي، سافر الحبيب بورقيبة إلى باريس لتقديم تلك المطالب عام ١٣٥٥ـ ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦ـ ١٩٣٧م، وكانت حصيلة جهده أنه حصل على بعض الوعود من وزير خارجيتها فيانو (Veyanou) الذي أبدى تعاطفًا مع القضية التونسية، فقد صرح في إذاعتها عن وجوب إصلاح الإدارة التونسية، وإشراك التونسيين في إدارة شئون بلادهم، وعلى أثر تلك التصريحات أُقصي فيانو من الوزارة، وبدأت الحكومة الفرنسية من جديد اتباع سياسة القمع وتعطيل الحريات والاجتماعات[٣].

ولم يرضخ الحزب لهذه الاجراءات، بل استمر في عقد الاجتماعات وتنظيم المظاهرات الشعبية، وفي صورة من التضامن العربي قرر الحزب التضامن مع الحركة الوطنية في مراكش والجزائر، فقرروا الإضراب العام سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، مما أسفر عن مصادمات بين الشعب والقوات الفرنسية المسلحة التي قامت بحركة اعتقالات واسعة النطاق في عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م[٤].

---

(١) علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص٧٧.

(٢) علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية، ص٤٤٧.

(٣) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٤٨.

(٤) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص١٥٦، ١٥٧.

بعدها قررت السلطات الفرنسية حل الحزب، والتخلص منه بشتى الوسائل مهما كلف الأمر، وقد آتتها الفرصة عندما قام الطلاب بمظاهرات احتجاجًا على اعتقال أستاذهم علي البلهوان، فأطلقت سلطات الحماية نيرانها على الجماهير وقتلت زهاء خمسمائة نفس، واعتقلت السلطات العسكرية بقية قادة الحركة وفي مقدمتهم الحبيب بورقيبة، وأعلنت الأحكام العرفية وانتشر الجيش الفرنسي في البلاد يمارس سياسة الاضطهاد والتعسف، ودامت هذه الأوضاع خمس سنوات، ذاق فيها الشعب التونسي ويلات الاستعمار(١).

وعلى أثر اعتقال الحبيب بورقيبة انتقلت زعامة الحزب إلى الدكتور الحبيب ثامر، الذي قاد نشاط الحزب بصورة سرية، فعمد على طباعة المنشورات بدلاً من الصحف، وإقامة المظاهرات من حين لآخر، وتعطيل أسلاك التليفون والقيام بتخريب بعض وسائل المواصلات، وغير ذلك من أساليب التهييج(٢).

واستمرت هذه الأوضاع حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية في ١٣٥٨هـ/ سبتمبر ١٩٣٩م، واستسلام فرنسا عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م(٣)، فبلغ الاضطهاد الفرنسي أشده، وعم القمع أرجاء البلاد، فاشتدت حركة المقاومة الوطنية التي دمرت مصالح الفرنسيين، وأعلن الجنود التونسيين الذين أدمجتهم فرنسا في جيوشها حركة عصيان، وامتنعوا عن الدفاع عن الدولة(٤).

وما أن أعلنت الهدنة بين فرنسا ودول المحور حتى تقدم الحزب الدستوري بعريضة

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص٨٤.

(٣) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص١٦٩.

(٤) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٥١، ٥٢.

إلى الباي طالب فيها بإعلان سقوط نظام الحماية وإطلاق سراح زعماء المعتقلين في فرنسا، ولكن السلطات الاستعمارية قامت باعتقال هذا الوفد قبل أن يحظى بمقابلة الباي وعلى رأسهم الدكتور الحبيب ثامر، ورجال المكتب السياسي للحزب[١].

ومع اعتلاء الباي محمد المنصف عرش تونس في عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٢م، ودخول قوات دول المحور لتونس في أواخر العام نفسه غيّر الموقف، حيث قدم الباي الجديد[٢] إلى المقيم العام المطالب التي تقدم بها الحزب الدستوري الجديد وطالب بإطلاق سراح الزعماء المعتقلين[٣]، واستأنف هؤلاء نشاطهم وكفاحهم.

وخلال هذه الفترة تمتع التونسيون والباي والأحزاب الوطنية بحرية فعلية لم يشهد لها سابقة، واستفادوا منها كثيرًا[٤]، فقد أطلقت قوات المحور الزعماء المعتقلين وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة ونقلته إلى روما في محاولة للضغط عليه للوقوف بجانب المحور، ولكن الحبيب بورقيبة رفض ذلك العرض مما أخر قدومه إلى تونس عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م[٥].

وقام الباي محمد المنصف بتشكيل وزارة انتقالية ــ مستفيدًا من تلك الأوضاع ــ برئاسة محمد شنيق، كخطوة أولى لتحقيق رغبات الشعب، إلا أن تطورات الحرب في تونس حالت دون تنفيذ ذلك، فقد دخلت قوات الحلفاء تونس منتصرة في عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م، وعليه دخلت البلاد في موجة من الذعر والخوف، والانتقام من جانب

(١) الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص١٠٦.

(٢) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، جـ٢، ص١١٠، ١١١.

(٣) علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص٨٥.

(٤) محمد الهادي الشريف: ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، ص١٢٦.

(٥) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص١٦٥.

المستعمرين الفرنسيين[١].

وقد صدق حديثهم حيث بدأت فرنسا بعملية تطهير شاملة في تونس، بدأتها بتشفي من الباي محمد المنصف، بإلصاق تهمة التعاون مع المحور، على الرغم من موقفه الحيادي في الحرب، ونفوه إلى مدينة (بو) بفرنسا، وعين محمد الأمين باي خلفًا له[٢].

وانتقلت الحركة الوطنية إلى طور جديد بعد الحرب العالمية الثانية كانت أكثر قوة وإيجابية، مكنتَّها من الوصول إلى الاستقلال التام، كما سنرى في صفحات البحث.

(١) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٢٤٠.

(٢) صلاح العقاد، المرجع السابق، نفس الصفحة.

الفصل الأول

العلاقات السياسية بين السعودية وتونس

وفيه:

المبحث الأول: استقلال تونس وموقف المملكة العربية السعودية.

المبحث الثاني: الدبلوماسية والزيارات المتبادلة وآثرها في العلاقات السعودية التونسية.

المبحث الأول

استقلال تونس وموقف المملكة العربية السعودية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـــــــب الأول: **نضال تونس للحصول على الاستقلال.**

المطلـــب الثـــاني: **دعم المملكة العربية السعودية للحركات الوطنية التونسية.**

المطلـــب الثالـــث: **الجهود السعودية السياسية لتأييد استقلال تونس.**

المطلب الأول

نضال تونس للحصول على الاستقلال

يعتبر عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٥م أي أعقاب الحرب العالمية الثانية عام المتغيرات السياسية سواء كان ذلك ما يتعلق بالأوضاع العالمية بشكل عام، أو ما يخص ذلك بالإقليم التونسي-، فإن الحرب العالمية الثانية قد أرهقت الدول الأمبريالية (بريطانيا ــ فرنسا) وجعلتهم يطلقون وعودًا على أنفسهم فانكسرت شوكتهم بعدما كانوا في مصاف الدول العظمى، وعليه ظهرت لنا دول احتلت المكانة الأولى وهي الولايات المتحدة الأمريكية، كدولة ترمي إلى تحقيق السلام العالمي الذي هو يخالف الواقع في حقيقة الأمر(١).

أما المتغيرات التي طرأت على الإقليم التونسي بعد الحرب فقد كانت واضحة وجلية، سواء كان ذلك على مستوى الخطاب السياسي أو على صعيد الكفاح العملي ضد الاستعمار، فبعد الحرب بدت الحركة الوطنية لا تتمثل فقط في الحزب الدستوري الحر بشقيه ــ القديم والجديد ــ وإنما ظهرت لنا نزعات وطنية أخرى، قوية في حركتها وجهادها، منها الحركة المنصفية(٢) التي تطالب برجوع المنصف باي بعد خلعه إبان دخول قوات الحلفاء تونس(٣)، وتأسيس اتحاد العام للعمال التونسيين الذي قام بدور فعالاً في تسيير الحركة الوطنية في تونس وتوحيد جهوده مع حزب الحر الدستوري الجديد ليصبح

---

(١) حمادي الساحلي: فصول في التاريخ والحضارة، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م) ص١٩٣.

(٢) شارل اندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسيد «القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، مراجعة فريد السوداني، (د.ط، الجزائر، الحركة الوطنية للنشر، د.ت) ص١٩٩.

(٣) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص٣١٢.

أكثر قوة وصمودًا في وجه المستعمر[١].

وقد صاحب تلك المتغيرات السياسية بعد الحرب الشعارات البراقة التي أطلقها دول الحلفاء، وهي حق الشعوب في تقرير مصيرها واختيارها النظام السياسي الصالح لبلدانها، وإن كانت تلك الشعارات لاقت نوعًا من التطبيق في القارة الآسيوية (لبنان وسوريا) إلا أنها بقيت جامدة في القارة الأفريقية ومنها تونس[٢]، فقد عمدت فرنسا على تدعيم نظام الحماية وتمسكت به بشكل جيد وهو ما يسمى (الاتحاد الفرنسي) للمحافظة على إمبراطوريتها المتداعية[٣]، وأخذت تلوح في مفاوضاتها مع الوطنيين التونسيين بالسيادة المشتركة، حرصًا منها على الاحتفاظ بسلطاتها وامتيازاتها في تونس[٤]، واستمرت في سياسة القمع والاضطهاد ضد الوطنيين حتى أنها اعتقلت الحبيب بورقيبة وفرضت عليه إقامة جبرية في العاصمة التونسية[٥].

وفي هذه الأجواء المشحونة بين الفرنسيين والتونسيين، نما إلى مسامع الزعماء الوطنيين قيام الجامعة العربية، في القاهرة عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، فتوجهت أنظارهم إليها وعلقوا عليها الآمال[٦]، فقد أخذت هذه الجامعة على عاتقها الاهتمام بمسائل البلدان العربية ومصالحها، فسمحت للدول العربية غير المنخرطة بالمشاركة في أعمال اللجان، وبذلك احتجت الجامعة العربية كما ذكر شارل أندري جوليان (دولة فوق الدول

(١) شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٢) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٥٩.

(٣) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص١٧٩.

(٤) جلال يحيى: المغرب الكبير (د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١) جـ٤، ص٢٩٣.

(٥) الحبيب ثامر، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٦) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية «مذكرات الرشيد إدريس»، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م) ص١٥١، ١٥٢.

يسيرها مجلس يلتئم مرتين في السنة)[١] وعلى الرغم من الإقامة الجبرية التي فرضتها السلطات الفرنسية على الحبيب بورقيبة إلا أنه استطاع الفرار والخروج إلى القاهرة والتعريف بالقضية التونسية[٢].

وقد قام الحبيب بورقيبة دورًا كبيرًا في تعريف القضية التونسية والدفاع عن استقلالها وتوجيه الأنظار العربية والعالمية إلى الأعمال الوحشية التي تقوم بها دولة الحماية من خلال جولاته في مصر والدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية أثناء رحلته لها عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م[٣].

وقد عمد الحبيب بورقيبة مع بعض الزعماء الوطنيين الذين كانوا يناضلون في أوروبا ووصلوا إلى القاهرة، إلى تأسيس مكتب الحزب الدستوري الحر التونسي عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م[٤]، وبعد عودته من الولايات تكاتفت الجهود المغاربية بزعامة الأمير المغربي المجاهد عبد الكريم الخطابي، وتم تأسيس مكتب المغرب العربي، وقد فطن الأمير عبد الكريم لأهمية الحبيب بورقيبة ونشاطه وحماسه وخاصة في عملية التنظيم السياسي، فعهد إليه أمانة لجنة التحرير المغرب العربي[٥].

أما في تونس فقد قررت سلطات الحماية إدخال بعض الإصلاحات في محاولة لترضية العناصر الوطنية من جهة، وإيهام الرأي العام العالمي ما تقوم به فرنسا من استجابة لرغبات الشعوب الواقعة تحت سيطرتها، فرفعت عدد الأعضاء التونسيين في المجلس

(١) شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص٢٠٣.

(٢) صلاح العقاد: المغرب العربي تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٤١.

(٣) شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص٣٠٤.

(٤) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص١٥٩.

(٥) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٢٩٥.

الاستشاري بحيث أصبحوا متساويين مع عدد الفرنسيين وقررت زيادة عدد الوزراء التونسيين في مجلس الوزراء، أما فيما يتعلق بوضع الميزانية فقد قررت تعيين سبعة أعضاء من الجانبين (الفرنسي والتونسي) يشرفون عليها[١].

وقد رفضت العناصر الوطنية هذه الإصلاحات، التي لم تنظر إلى مطالب الوطنيين الحقيقية وهي الاستقلال التام[٢]، فدعا الحزب الدستوري بزعامة صالح بن يوسف[٣] الذي خلف بورقيبة في أمانة الحزب، إلى مؤتمر وطني عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، اشترك فيه ممثلون عن الحزب الدستوري القديم والجديد، ونقابات العمال، وأساتذة جامعة الزيتونة، واتحاد الموظفين، واتحاد أرباب التجار، وأرباب الصناعات، وجمعية الفلاحين، وجمعية الأطباء والصيادلة، وجمعية المحامين التونسيين، وجمعية المعلمين، وقد كان عدد الحاضرين يفوق السبعمائة عضو[٤]، وبعد أن شرحوا الأوضاع التي آلت إليها بلادهم والحيثيات

(١) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٢٤٣.

(٢) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٢٩٨.

(٣) صالح بن يوسف ولد في ١١ أكتوبر ١٩٠٧م بجزيرة جربة، وهو ينحدر من أسرة عريقة في البلاد التونسية، امتهنت عائلته التجارة، وقد درس صالح بن يوسف في طفولته في الكتاتيب حيث حفظ نصيبًا من القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة فيها، ثم قام أخيه البشير بإرساله إلى العاصمة تونس لاستكمال دراسته الابتدائية في مدرسة خير الدين وأكمل الدراسة الثانوية في معهد كارنو، ثم سافر بن يوسف إلى فرنسا سنة ١٩٣٠ لمواصلة التعليم العالي حيث أحرز الإجازة في الحقوق والعلوم السياسية سنة ١٩٣٣م، وهناك شارك في تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس وعندما عاد إلى تونس انتخب بن يوسف عضوًا في الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد عام ١٩٣٧م، وعندما أعلنت فرنسا استقلال تونس الذاتي اعترض بن يوسف على بنود الاتفاقية ١٩٥٥م، واعتبرها خطوة إلى الخلف في حين اعتبرها بورقيبة خطوة إلى الأمام ومن هنا بدأت شقة الخلاف تتسع بين الزعيمين، وأصدرت الحكومة التونسية عام ١٩٥٦م قرارًا بالقبض على بن يوسف ولكنه استطاع الفرار إلى ليبيا ومنها إلى القاهرة التي منحته حق اللجوء السياسي، وفي عام ١٩٦١م اغتيل صالح بن يوسف في ألمانيا في مدينة فرانكفورت. انظر إلى: الجيلاني بن الحاج يحيى: الزعيم الكبير صالح بن يوسف حياته ونضاله (ط١، تونس، الشركة التونسية للنشر، ٢٠٠٩) ص٧ـ ٣٣.

(٤) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص١٦٥.

القانونية والسياسية التي ذهبت إلى عدم وجود مبررات لاستمرار نظام الحماية، انتهى المؤتمر إلى إعلان سقوط نظام الحماية والمطالبة بالاستقلال التام، كما أكد ضرورة انضمامها إلى جامعة الدول العربية بعد حصولها على استقلالها(١).

وقبل انقضاض المؤتمر تمكنت القوات الفرنسية من إلقاء القبض على خمسين شخصية من المؤتمرين، ولم تتمكن الشرطة من العثور على وثائق، فأعلن الشعب إضراب عام لمدة ثلاثة أيام على هذه الحادثة(٢).

وبعد بضعة أشهر من انفضاض المؤتمر أعلن المقيم العام الفرنسي- ماست (Mast) برنامج إصلاحاته التي كانت عبارة عن إصلاحات شكلية لا تمس جوهر المطالب الوطنية التي تم الاتفاق عليها في المؤتمر وهي إعلان الاستقلال التام، بل بالعكس فهي تؤكد على ازدواجية السيادة على تونس، وقد حاول المقيم العام أن يقنع بعض الزعماء بمشروع دول الاتحاد الفرنسي الذي رفضوه على الدوام متمسكين بحق بلادهم في الاستقلال(٣).

وهذا يدل من جانب فرنسا أنها لم تكن تفهم حقيقة تجذر الشعور الوطني والقومي في نفوس الوطنيين التونسيين واستماتتهم للحصول على حقوقهم ومطالبهم مما زاد من حدة التوتر والاصطدامات كما سنرى ذلك تباعًا.

وفي عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م قررت فرنسا عزل المقيم ماست وتعيين مقيم جديد هو جان مونصر(٤)، وقررت تطبيق الإصلاحات التي قد أعلن عنها ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م(٥)،

(١) صلاح العقاد، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٢) شارل اندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص٢٠٦.

(٣) الحبيب ثامر: هذه تونس، ص١٦٩.

(٤) شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) الحبيب ثامر، مرجع سابق، ص١٧١.

وفي محاولة فاشلة قررت سلطات الحماية تأليف وزارة تونسية برئاسة المحامي مصطفى الكعاك وتعيين مستشار لكل وزير، وقد رفض الزعماء التونسيون هذه الإصلاحات واعتبروها تعدي على حقوقهم وحريتهم، وتأكيدًا على تدعيم السيادة المشتركة التي تسعى لها فرنسا، فانطلقت مظاهرات عارمة ردًا على تلك الإجراءات(١).

وفي عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م انفجع العالم العربي والإسلامي بتقسيم فلسطين، وانهزام العرب ضد إسرائيل، واضطربت الجامعة العربية أمام هذا الأمر، ومن ناحية أخرى فقد دب الخلاف في صفوف المغاربة وأمام هذه الأمور قرر الحبيب بورقيبة العودة إلى أرض الوطن(٢).

وحقيقة الأمر أن الحبيب بورقيبة شعر بأن قضيته بدت تدخل في حيز القضايا الثانوية بالنسبة للقضية الفلسطينية التي كانت تشغل العالم العربي بأسره، كما أنه شعر أن السلطات المصرية لم توله اهتمامًا، فقرر ضرورة الاتصال بالسلطات الفرنسية والدخول معها في مفاوضات، فاتصل بالملحق العسكري الفرنسي بالسفارة الفرنسية بالقاهرة، وعاد إلى تونس حيث نظم له رفيقه في الكفاح صالح بن يوسف استقبالاً حافلاً لم تشهده تونس من قبل، ثم ألقى التحية على الباي في قصره، وبعدها استعد للتفاهم مع الفرنسيين(٣).

وفي عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م توجه الحبيب بورقيبة إلى باريس، وسلم لوكالة الأنباء الفرنسية برنامجه المتضمن سبع نقاط، وهي: بعث السلطة التنفيذية التونسية المؤتمنة على السيادة التونسية، وتكوين حكومة تونسية يرأسها وزير أول يعينه الملك، وإلغاء الكتابة

---

(١) عبد المجيد القصاب: رحلة إلى تونس، (د.ط، د.م، مطبعة الباني، ١٩٦٥م)، ص٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١)، ص١٨٣.

(٣) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٢٩٦، ٢٩٧.

العامة والمراقبين المدنيين، وخروج القوات العسكرية الفرنسية، وإنشاء بلديات منتخبة، ومجلس قومي ينتخب بالاقتراع العام[١]، وبذلك بدأت القضية التونسية تتحرك نحو الاتجاه الطبيعي، فأبدت السلطات الفرنسية قبولاً نوعًا ما لمبدأ التفاوض دون النظر للزعماء الوطنيين حتى تحتفظ بهيبتها ومكانتها، فأعلن روبير شومان (Robir Shouman) وزير الخارجية الفرنسي- بتعيين مقيم جديد وهو لويس بريلي (Louis Barly) الذي سيكون على عاتقه أن يقود البلاد التونسية إلى الاستقلال الذاتي داخل نطاق الوحدة الفرنسية، وشكلت وزارة تفاوضية تونسية برئاسة سيد محمد شنيق، وقد شارك الحزب الدستوري الجديد في هذه الوزارة حيث أُسندت وزارة العدل إلى السيد صالح بن يوسف، وأُعلن بشكل رسمي مهمة هذه الحكومة الجديدة، وهي تفاوض مع سلطات الحماية للسير بتونس نحو الحكم الذاتي والداخلي[٢]، وقد أعلن الحبيب بورقيبة اغتباطه بهذا البيان على الرغم من اعتراض المستوطنين الفرنسيين بتلك التصريحات ورفضها ذلك الاتجاه، مما اضطر الحكومة الفرنسية أن تساير المستوطنين وتعلن إشراك هؤلاء في إدارة تونس بنفس حقوق التونسيين، كما جعلت المقيم العام يرأس المجلس الاستشاري الكبير، ويحتفظ سكرتير الإقامة بالإشراف على الوظائف الحكومية، في الوقت نفسه مُنحت بعض ترضيات للوطنيين فيما يتعلق بالوظائف الحكومية، فبالرغم من أن هذه الشروط تتعارض مع برنامج الحبيب بورقيبة إلا أنه اعتبرها كسبًا مؤقتًا تتلوها مكاسب كبيرة على أساس سياسة خذ وطالب، وبذلك ترك الحبيب بورقيبة باب المفاوضات مع فرنسا مفتوحًا[٣].

وفي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م اتجه وفد من الحكومة التونسية برئاسة الوزير محمد

---

(١) شارل اندري جوليان: إفريقيا الشمالية، ص٢١٤، ٢١٥.

(٢) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص١٩٢.

(٣) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٢٩٧، ٢٩٨.

شنيق إلى باريس لتقديم مذكرة توضح فيها مطالب الوطنين ومطالبة الحكومة الفرنسية بتنفيذ وعودها التي قطعتها على نفسها بالسير بتونس نحو الاستقلال الذاتي(١)، إلا أن الحكومة الفرنسية ردت على هذه المذكرة بشكل رسمي وصريح في المذكرة التي أرسلها وزير الخارجية الفرنسي روبير شومان إلى الوزير شنيق يعلمه فيها عن عزم فرنسا إقامة نظام السيادة المشتركة، مستوحاة من مطالب المستوطنين الفرنسيين(٢).

وقد كان لهذا الرد الفرنسي المخيب للآمال نتائجه الخطيرة على الوضع الداخلي، فقد صرح الحبيب بورقيبة بعد اطلاعه على المذكرة الفرنسية قائلاً:

«إن رد السيد شومان يفتح عهد الاضطهاد والمقاومة عهد الدماء والدموع والأحزان، وإن الحزب الدستوري الجديد يواجه للمرة الثالثة منذ تأسيسه صراعًا يعرض بكيانه وبمصير الأمة للخطر، وستكون المعركة حاسمة هذه المرة، ولكنه مصمم على خوضها بنفس العزيمة ونفس الثبات اللذين أظهرهما في الماضي وضمنا له الانتصار تلو الانتصار»(٣).

وأعلن الشعب التونسي الإضراب العام في كافة البلاد لمدة ثلاثة أيام، وبدأت المقاومة بقوة السلاح وشملت عدة مدن تونسية(٤).

وقد استعدت الحكومة الفرنسية لخوض هذه المعركة ضد الثوار بتعيين مقيم جديد وهو دي هوت كلوك (de Houte Cloque)، مما زاد بتعيينه في تعكيرا العلاقات بين

(١) حمادي الساحلي: فصول في تاريخ الحضارة، ص١٧٨.

(٢) رياض الصمد: العلاقات الدولية في القرن العشرين (د.ط، د.م، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) جـ٢، ص٢٦٤.

(٣) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص١٧٩.

(٤) رياض الصمد، المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٤.

الطرفين[١]، وإقفال باب المفاوضات في وجه الزعماء الوطنيين[٢].

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه المقيم الجديد، غادر وفد من الحكومة التونسية، منهم صالح بن يوسف وزير العدل، ومحمد بدرة وزير الشؤون الاجتماعية إلى باريس لعرض القضية التونسية على هيئة الأمم المتحدة[٣]، التي رفضت الاستماع إلى الوزراء التونسيين على أساس أنها مشكلة داخلية[٤]، كما أنه من الصعب إدراج هذه القضية في جدول أعمال الجمعية العامة أو مجلس الأمن في البلد المضيف فرنسا وهي الخصم[٥]، ولكن عدد من الدول العربية والأفريقية قررت بعرض القضية التونسية على الأمم المتحدة في دورتها التالية، ولم يكن يعني فشل عرض القضية هو فشل الحركة الوطنية بل بالعكس فإن المشكلة تحولت من قضية سياسية إلى عمليات حربية أفزعت مضاجع المستوطنين[٦].

وقد اعتبر المقيم العام الجديد دي هوت كلوك (de Houte Cloque) على ما قام به الوزراء التونسيين من تقديم شكوى على الحكومة الفرنسية في نفس الوقت الذي تسلم فيه منصبه، إساءة شخصية موجهة له تعني تلاشي معاني الاحترام، واعتبرها قضية شخصية، فأرسل إلى الباي رسالة يطلب إقالة وزارة محمد شنيق[٧]، كما عمد المقيم إلى منع انعقاد

---

(١) شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص٢٤٥.

(٢) جعفر عباس حميدي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، (ط١، عمان، دار الفكر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ص٢٠٠.

(٣) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٢٠٣.

(٤) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٣٠١.

(٥) الرشيد إدريس، المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٦) جلال يحيى، المرجع السابق، جـ٤، ص٣٠٤ـ ٣٠٦.

(٧) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص٢٠٧.

مؤتمر الحزب الدستوري الجديد وحظر الاجتماعات العامة، والمظاهرات في الشوارع[(١)].

ولكن المظاهرات قد قامت وبشكل عنيف، جابت فيها المدن التونسية، تونس واريانة وبنزرت، وأسفرت هذه المظاهرات عن سقوط اثني عشر قتيلاً وثلاثين جريحًا من التونسيين، وأُلقي القبض على عدد من الزعماء الوطنيين منهم الحبيب بورقيبة الذي أبعد إلى مدينة طبرقة والوزير الأسبق محمد شنيق وغيرهم من الزعماء[(٢)]، وما أن وصل للجماهير خبر إيقاف بورقيبة حتى تصاعد الموقف ذروته، وأعلن الاتحاد العام للشغل الإضراب العام، فأقفلت الدكاكين، وعقد الحزب مؤتمرًا سنويًا برئاسة الهادي شاكر الذي صادق عليها بإنهاء معاهدة الحماية والاعتراف باستقلال تونس دون قيد أو شرط[(٣)]، وصرحوا للمرة الأولى عن مستقبل المستوطنين، حيث قرروا أن يعَامَلوا معاملة الجاليات الأجنبية في ظل الدولة التونسية المستقلة[(٤)]، فقامت سلطات الحماية بإلقاء القبض على هادي شاكر الذي أبعدته إلى طبرقة وإلقاء القبض على المشتركين في المؤتمر وأودعتهم في سجون[(٥)].

وسرعان ما تصاعدت عمليات الكفاح التونسي- التي تعددت في أشكالها من إلقاء القنابل والقيام ببعض الاغتيالات الفردية، بل إن الثوار أصبحوا يشكلون فرق فدائية مسلحة بشكل منظم حتى أنها «ترتدي لباس الميدان ومسلحة بأسلحة ثقيلة»[(٦)]، وقد

---

(١) حمادي الساحلي: فصول في تاريخ والحضارة، ص١٨٠.

(٢) جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ص٢٠٠.

(٣) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص١٨٠.

(٤) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٤٧.

(٥) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص١٨٠.

(٦) علي البلهوان: تونس الثائرة، ص٤٩٦.

جاءت الأنباء بأنهم جيش التحرير التونسي[١].

واتسعت نطاق العمليات الإرهابية، حيث أمر المقيم العام قواته القيام بعمليات تطهير خاصة في الوطن القبلي والساحلي بمشاركة قوات الشرطة والجيش، ولجأ بعض الفرنسيين المتطرفين إلى أعمال عنف وأنشأوا عصابة سموها (اليد الحمراء) التي اغتالت عدد من الزعماء الوطنيين منهم فرحات حشاد وهادي شاكر[٢].

إيذاء هذه الأوضاع الخطيرة التي آلت إليها البلاد، اقتنعت الحكومة الفرنسية إعفاء المقيم العام دي هوت كلوك (de Houte Cloque) الذي زاد من سخط التونسيين دون أن يرضي المستوطنين[٣]، وتعيين بيار فوازار (Byar Fuazar) مكانه، وقد حاول المقيم العام إدخال إصلاحات جديدة في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، وتمكن من استمالة الباي وإعلان تأليف وزارة جديدة برئاسة مزالي بدلاً من وزارة صلاح الدين البكوش التي ألفت في عهد دي هوت كلوك[٤].

وقد قامت هذه الوزارة ببعض الإصلاحات الجزئية، خيبت من آمال الوطنيين، حيث علق عليها الحبيب بورقيبة قائلاً: «قد اختصت المستوطنين بتمثيل أقوى في هذه المجالس، لأن انتخابهم يتم بطريقة مباشرة، أما التونسيون فينتخبون على درجتين»[٥]، فاجتمع الديوان السياسي للحزب وأصدر بيانًا يرفض هذه الإصلاحات، ومواصلة

(١) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٣٠٣.

(٢) حمادي الساحلي: فصول في تاريخ والحضارة، ص١٨١.

(٣) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٤٩.

(٤) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص١٨٢.

(٥) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص٣٤٩.

الجهاد ضد المستعمرين[١].

وبالفعل استمرت حركة المقاومة المسلحة التي أخذت شكلاً نظاميًا من حيث التنظيم والعمليات، ويبدو أن نمو هذه الحركة كانت نتيجة الدعم الذي تستند عليه من الحزب الدستوري الجديد من ناحية، ومن ناحية أخرى أن من يقود هذه العمليات الحربية هم بعض ممن تدربوا في حرب فلسطين فأصبحوا على مقدرة في تولي قيادة فرق جيش التحرير التونسي[٢].

وعليه اتسعت عمليات المقاومة المسلحة في الأرياف والجبال والمدن إلى أن أفزعت المستوطنين أنفسهم، الذين ما لبثت أصواتهم أن تعالت إلى الحكومة الفرنسية، تطلب منها إنهاء الأزمة التونسية[٣]، فتقدم منديس فرانس (Mandes Frans) في نفس الوقت بخطاب أمام مجلس الأمة بباريس بطلب الثقة بوزارته ووعد بحل الأزمة التونسية[٤].

وبالفعل ما أن وقع منديس فرانس (Mandes Frans) معاهدة السلام حول الفيتنام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، حتى توجه إلى تونس وأعلن بقصر قرطاجه أمام الباي (بأن الحكومة الفرنسية تعترف بالحكم الذاتي التونسي)[٥]، وأطلق سراح الحبيب بورقيبة الذي عبر عن اغتباطه لهذه المبادرة، وتشكل وفد تونسي برئاسة طاهر بن عمار لبدء المفاوضات مع فرنسا التي اشترطت تسليم رجال جيش التحرير أسلحتهم للسلطات الفرنسية[٦]، إلا أن

(١) عبد المجيد القصاب: رحلة إلى تونس، ص٣٠٠.

(٢) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص٣٥١.

(٤) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٣٠٥.

(٥) رياض الصمد: العلاقات الدولية في القرن العشرين، ص٢٦٥.

(٦) جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ص٢٠١.

المقاومين اعتبروها خدعة لا يمكن أن تنطوي عليهم، فاشتدت حركة المقاومة عنفًا[١]، مما يفسر لنا ما أفادته وكالات الأنباء بتاريخ ٥ـ١٢ـ١٣٧٣هـ/ ٤ـ٨ـ ١٩٥٤م بأن الوزير الفرنسي- كرستيان فوشي (Crestyan Foushe) المكلف بالشؤون التونسية، صرح لأعضاء لجنة الخارجية في البرلمان الفرنسي- أن فرنسا ضاعفت قواتها في تونس بسبب الحوادث الدموية من ١,٧٠٠ جندي إلى ٣٠,٠٠٠ جندي في ذلك اليوم، وقد صادفت هذه الأحداث أن انطلقت الثورة الجزائرية في غرة ربيع الأول ١٣٧٤هـ/ نوفمبر ١٩٥٤م، وخشيت الحكومة الفرنسية التنسيق بين المقاومين الجزائريين والتونسيين فتتسع جبهة المقاومة على القوات الفرنسية[٢]، فكان على فرنسا أن تنهي المسألة التونسية وبشكل سريع، فاضطرت لوضع شروط جديدة لإنهاء المقاومة، فأصدرت بلاغًا مشتركًا مع الحكومة التونسية مفاده أن على المقاتلين تسليم أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية أو التونسية، مع ضمان لهم بسلامة أنفسهم[٣].

وقد كان هذا الموقف من جانب الحكومة التونسية وبالتحديد من الحبيب بورقيبة رهان على مستقبل الأوضاع في تونس، فبدلاً من الاحتفاظ بحركة جيش التحرير التونسي- كأداة ضغط على الفرنسيين حتى تجبرهم لتحقيق مطالب الوطنيين، اعطيت ثقة كبيرة للفرنسيين بذلك القرار، وقد كان ذلك أساس الخلاف بين الحبيب بورقيبة ورفيق الجهاد صالح بن يوسف الذي اعتبر هذه العملية إضاعة للجهود وهدرًا للطاقات، دون نتائج مرجوة وإيجابية للبلاد[٤].

---

(١) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٢٠٦.

(٢) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٢٩١.

(٣) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٥٢.

(٤) جلال يحيى، المرجع السابق، جـ٤، ص٣٠٧.

ففي حقيقة الأمر إن الحكم الذاتي الذي أعلنت عنه الحكومة الفرنسية ما هو إلا لتهدئة الأوضاع وخاصة الأمنية وكسبًا للوقت، والدليل على ذلك أن فرنسا احتفظت بحقوقها العسكرية دون أن تتنازل عن حكمها المباشر وعن أعمالها الاستعمارية ففي الوقت الذي تعترف فيه بحق البلاد الاستقلالي تضاعف من قواتها العسكرية، ولم تمنح تونس ما وعدت به إلا بعد سقوط وزارة منديس فرانس.

سقطت وزارة منديس فرانس في ١٣ جماد الآخر ١٣٧٤هـ/ ٥ فبراير ١٩٥٥م، وعين بدلاً منه رجل الدولة الفرنسي ادجافور (Edgar Faure)، وعادت المفاوضات بين البلدين، واعترفت الحكومة الفرنسية باستقلال تونس الداخلي في ١٣ شوال ١٣٧٤هـ/ ٣ يونيو ١٩٥٥م[١]، وقد استكملت هذه المفاوضات في باريس سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، حيث أعلنت فرنسا فيه عن استقلال تونس الكامل وإلغاء معاهدة الحماية ويتبعها بعد ذلك عدة اتفاقيات لرسم العلاقات التونسية ــ الفرنسية، ووضعها في الإطار القانوني، وقد وقع من الجانب الفرنسي- كرستيان بينو (Crestyan Benuo)، وعن تونس أمضى- الطاهر بن عمار[٢].

وبإعلان هذا النبأ دخلت تونس مرحلة جديدة من تاريخها المعاصر، وقدم طاهر بن عمار استقالته، وألف الحبيب بورقيبة وزارته وكان معظم أعضائها من الدستوريين، وعلى الرغم من تصريحات الحبيب بورقيبة أن تونس ستظل ملكية دستورية، إلا أنه سرعان ما تغير موقفه عند استلامه للسلطة، حيث عمد على عزل وتجريد الباي شيئًا فشيئًا عن سلطاته[٣]، حتى أعلن عن قيام الجمهورية وإلغاء الملكية في ٢٨ ذي الحجة

(١) رياض الصمد: العلاقات الدولية في القرن العشرين، ص٢٦٥.

(٢) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٤٩٥، ٤٩٦.

(٣) جلال يحيى: المغرب الكبير، جـ٤، ص٣١٣، ٣١٤.

١٣٧٦هـ/ ٢٥ يوليه ١٩٥٧م[١].

ويبدو أن عملية إلغاء الملكية والإعلان عن قيام نظام جمهوري في دولة بطريقة هادئة ولم تصاحبها اعتراضات شعبية أو حزبية، هذا يعني أن هناك نية مبيتة للوصول إلى ذلك القرار أو على الأقل أن العلاقات بين الأسرة المالكة والتونسيين باتت ضعيفة للغاية، وقد يفسر لنا هذه الحقيقة بتصريحين استندت عليها وهي:

الأولى رسالة من صالح بن يوسف للسيد الرشيد إدريس بتاريخ ٢٩/ ٧/ ١٣٧٣هـ/ ٢/ ٤/ ١٩٥٤م، يقول فيها: «... أما موقفنا من الباي فهو موقف محايد، نعتبره أسيرًا لا زالت فرنسا تفرض عليه سيادتها بمساعدة الخونة من التونسيين...»[٢]، أما التصريح الثاني هو من المقيم العام الفرنسي دي هوت كلوك قال:

> «لاحظت مرارًا عديدة أن وجهات نظر الحزب الدستوري الجديد، ترمي بدون شك طال الزمان أو قصر- إلى حذف ملكية الباي وإقرار الجمهورية، لذا من واجبنا أن نتصدى للحزب الدستوري الجديد حتى في الميدان الدستوري التونسي- إذا ما أراد أن يستعمل قوته أو قوة تهديده للنيل من سلطات الملك»[٣].

وهذه التصريحات تفسر لنا وعي التونسيين بمكانة وإمكانية الباي الضعيفة، وحقهم في اختيار نظام الحكم الذي يتناسب مع تطلعاتهم ومطالبهم الجديدة، وعليه أصبح الحبيب بورقيبة أول رئيس للجمهورية التونسية حتى عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، حيث حل محله في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٨هـ/ السابع من نوفمبر ١٩٨٧م الرئيس زين

---

(١) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٥١٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٥.

(٣) شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص٢٣٤.

العابدين بن علي في انقلاب أبيض، بعدما دام العهد البورقيبي ثلاثين عامًا[١].

(١) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٥٢٣.

المطلب الثاني

دعم المملكة العربية السعودية للحركة الوطنية

ترجع العلاقات بين البلاد السعودية والبلاد التونسية إلى فترة تاريخية متقدمة، فعندما بدأت الدولة السعودية في دورها الأول، قد صحبتها الدعوة الإصلاحية وهي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١)، التي نالت صدى واسعًا في البلاد الإسلامية، خاصة بعد ضم هذه الدولة على الأماكن المقدسة سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م(٢)، فقامت بتطبيق تعاليم هذه الدعوة الدينية التي اصطدمت بمفاهيم وبدع أخرى تشذ عن تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ولكن مع مرور الوقت والأزمنة أصبحت هذه المفاهيم الدخيلة على العقيدة الإسلامية الصحيحة، عقيدة بحد ذاتها في نفوس أصحابها ومعتنقيها مما أحدث مصادمات ومناهضات ضدها، في العديد من البلدان الإسلامية التي وصلتها أخبار الدعوة الإسلامية، من بينها البلاد التونسية(٣).

فمن الإشارات الدالة على وصول تلك الدعوة إلى تونس ما أشار إليه إسماعيل

---

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١١١٥ـ ١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ ــ ١٧٩٢م) زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العينية بنجد ورحل مرتين إلى الحجاز فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض علمائها، وزار الشام ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد إلى نجد، فسكن حريملاء وكان أبوه قاضيها ثم انتقل إلى العينية ناهجًا منهج السلف الصالح داعيًا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، وارتاح أمير العينية عثمان بن معمر إلى دعوته فناصره ثم خذله، فقصد الدرعية فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام وقبل دعوته وآزره كما أزره ابنه عبد العزيز ومن ثم سعود بن عبد العزيز وقاتلوا من خالفه، تأثر بدعوته رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من مصر، وجمال الدين القاسمي من الشام. الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص١٣٧.

(٢) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ الدولة السعودية، جـ١، ص١٤٥.

(٣) التليلي العجيلي: صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣١هـ) ص٦٨ـ ٨١.

التميمي وهو أحد علماء الزيتونة الذين ردوا سلبًا على الدعوة السلفية في كتابه:

«وما زال الأمر في نمو وازدياد... إلى أن أفضى- إلى سعود بن عبد العزيز[١]، (كذا) القائم المذكور، فكبر الأمر في زمنه وتفاقم واشتهر وتعاظم... وأقاموا لها دعاة يدعون إليها، ويستظهرون بالأدلة عليها فوضعوا رسائل تتضمن تقرير تلك المسائل... فاتفق أن ظفرت يدا مولانا (حمودة باشا)[٢] بواحدة تلك الرسالات مقررة للمذهب، ومتضمنة لرد ما يرد عليه من الشبهات»[٣].

وهذا يدل على أن الدعوة وصلت أخبارها إلى البلاد التونسية، بل إن الإمام سعود بن عبد العزيز بعد ضم الأماكن المقدسة إلى حكمه أرسل إلى زعماء العالم الإسلامي رسائل يوضح فيها مبادئ الدعوة الإصلاحية وينفي عنها ما ألحق بها من شبهات، ومن تلك الرسائل التي وجهت لهؤلاء الزعماء، رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز إلى باي تونس حمودة باشا، وقد ناهضت البلاد التونسية كغيرها من البلدان

---

(١) سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٦٣ــ ١٢٢٩هـ/ ١٧٥٠ــ ١٨١٤م) إمام من أمراء نجد يعرف بسعود الكبير، تولاها يوم مقتل أبيه بالدرعية (سنة ١٢١٨هـ) وجند جيشًا كبيرًا أخضع به معظم جزيرة العرب فامتد ملكه من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير إلى شواطئ الفرات وبادية الشام، ومن الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر، وكان موفقًا يقظًا لم تهزم له راية موصوفًا بالذكاء، على جانب من العلم والأدب، مهيب المنظر، فصيح اللسان شجاعًا، مدبرًا كانت إقامته في الدرعية وتولى بنفسه كثيرًا من المغازي، وفي أيامه حشدت الدولة العثمانية جيوشها بقيادة محمد علي باشا لمحاربة آل سعود في نجد وأرسل محمد علي ابنه طوسون فدخل المدينة ومكة سنة ١٢٢٧هـ، مات سعود بن عبد العزيز بمرض السرطان المعوي والحرب النجدية المصرية في بدء نشوبها ونجد في أشد الحاجة إليه. الزركلي: الأعلام، جـ٣، ص١٤٢.

(٢) حمودة باشا: خلف والده علي باي الثاني في الحكم عام ١١٩٦هـ، وقد عني والده بتعليمه وتثقيفه وتدريبه على ولاية العهد من بعده، وقد استطاع أن يستتب له الأمر في الداخل والخارج، فقد قامت في عهده ثورة قام بها الإنكشارية الأتراك الذين يؤلفون الجيش الحقيقي في البلاد ولكنه استطاع أن يخمد ثورتهم، وقد عاشت بلاده في عهده ازدهارًا على المستوى العمراني والصناعي والزراعي، كما عمل على توطيد الصلات مع دول عالمية أخرى مثل فرنسا وأمريكا ودنمارك وأسبانيا، توفي سنة ١٢٢٩هـ، في ليلة عيد الفطر، وتولى بعده أخوه عثمان باي. انظر إلى: عبد المجيد القصاب: رحلة إلى تونسة (عتبة السلام) ص١٩٩، ٢٠٠.

(٣) التليلي العجيلي: صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسية، ص٦٩.

الإسلامية الدعوة السلفية، حيث اصطدمت هذه الدعوة بمظاهر بدعية أخرى قد تغلغلت في المجتمع التونسي وهي الطرق الصوفية والزوايا، فقام علماؤها والمدافعون عنها بمجابهة الدعوة الوهابية ـ على حد زعمهم ـ والرد عليها، وإن كانت ردودًا هزيلة تنم عن عدم الإلمام الصحيح للتعاليم الإسلامية في صفائها الأول(١).

وعلى الرغم من تلك الضجة التي شغلتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسية إلا أنه كانت هناك بعض المواقف الفردية التي اتخذت مواقف إيجابية من الدعوة في تونس إيمانًا منهم بخطورة الوضع الديني الذي آلت إليه البلاد بسبب ما تفشى بها من البدع والمظاهر الشركية، ورغبتهم الأكيدة في إصلاح مجتمعهم من الناحية الدينية، ومن هؤلاء المفتي الحنفي في باردو أحمد البارودي والشيخ أحمد التنبكتاري الذي كان مقيمًا في تونس وجاهر بمناهضته لمظاهر البدع والشرك التي كانت سائدة في تونس وقد قامت هذه الشخصية بأداء فريضة الحج في وقت كانت فيه هذه الدعوة في أوج تطورها، مما يفسر لنا تأثيرهم بتلك الدعوة السلفية(٢).

وعندما دخل الاستعمار الفرنسي إلى تونس وبسط يده وأحكم قبضته عليها، بدأت الحركة الوطنية في الظهور تجابه الاستعمار بكل قوتها، متخذة من العقيدة السلفية أرضًا تنطلق من خلالها في وجه العدو، وهذا ما يفسر لنا تأثر النخبة التونسية بزعماء الإصلاح الديني، الذين تأثروا فكريًا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنهم محمد عبده(٣)

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) التليلي العجيلي: صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسية، ص٧٩.

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني (١٢٦٦ــ ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ــ ١٩٠٥م) مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، نشا في البحيرة وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر، عمل في تعليم وكتب في صحف لاسيما جريدة الوقائع المصرية وقد تولى تحريرها، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم وشارك في الثورة العرابية فسجن ثم نفي إلى =

والأفغاني[(١)] ومحمد رشيد رضا[(٢)]، فأصبحت الحركات الوطنية ذات طابعًا دينيًا استطاعت من خلاله الصمود والمقاومة في وجه الاستعمار الفرنسي[(٣)].

وقد أحالتنا أحد الوثائق عن لزيارة شخصية نجدية إلى تونس وهو إبراهيم بن معمر حيث أنه: (أقام بين علمائها وأدبائها، أشار فيها بالدولة السعودية ــ وكانت لم تصل بعد للحجاز ـ وبين العقيدة السلفية)، وأيضًا زيارة شخصية دينية أخرى وهو (عالم المدينة الشيخ عمر البري المدني فقام بالدعاية للدولة السعودية وبيَّن العقيدة السلفية في المجالس والصحف أعوامًا عديدة فكان خير من عرف الحكومة السعودية وعقيدة السلف التي

=

الشام ثم سافر إلى باريس حيث أسس مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) ثم عاد إلى مصر عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م ثم تولى القضاء ثم الإفتاء حتى توفي القاهرة. الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص١٣١.

(١) محمد بن صفدر الحسيني جمال الدين (١٢٥٤ــ ١٣١٥هـ/ ١٨٣٨ــ ١٨٩٧م) فيلسوف الإسلام في عصره ولد في أسعد آباد في أفغانستان ونشأ بكابل، تلقى العلوم النقلية والعقلية وبرع في الرياضيات، رحل إلى الهند ومصر والأستانة وكان عضو مجلس المعارف ثم نفي منها إلى مصر ١٢٨٨هـ حيث عادت روح النهضة الإصلاحية، تتلمذ على يده محمد عبده نابغة مصر وكثيرون، كتب في جريدة (مصر)، نفته الحكومة المصرية إلى حيدر آباد ثم رحل إلى باريس حيث أسس جريدة العروة الوثقى مع تلميذه محمد عبده، دعاه السلطان عبد الحميد إلى الأستانة فأجاب دعوته وتوفي فيها بعد معاناة مع مرض السرطان. الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص٣٧.

(٢) محمد رشيد رضا بن محمد بن شمس الدين بن محمد بهاء الدين (١٢٨٢ـ ١٣٥٤هـ/ ١٨٦٥ـ ١٩٣٥م) بغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس وتعلم فيها وفي طرابلس رحل إلى مصر ١٣١٥هـ فاتصل بالإمام محمد عبده وتتلمذ به وأصدر مجلة المنار لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، قصد سوريا أيام الملك فيصل بن الحسين وانتخب رئيسًا للمؤتمر السوري وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها ١٩٢٠م فأقام في مصر ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا وعاد فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في سيارة كان راجعًا بها من السويس إلى القاهرة، ودفن بالقاهرة. الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص٣٦١.

(٣) محيي الدين القليبي: العلاقات بين البلاد العربية والسعودية والمغرب العربي، السلطات الفرنسية تحاول قصمها؟ (مجلة العالم العربي، س٢، ع٢٣، شعبان ١٣٦٧هـ/ ١٠ يونيو ١٩٤٨م) ص٤٣، ٤٤.

تحتضنها وأزال عنها وصمات الخصوم)[١].

ومما يدل على تأثير الدعوة الإصلاحية في تونس في فترة الاستعمار تأسيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم والإملاءات القرآنية في عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م بصورة غير قانونية، والأهم من ذلك أنها تأسست على يد الشيخ عبد العزيز الباوندي وهو أحد الأئمة الوعاظ في جامع الزيتونة الذي أقام مدة طويلة في الحجاز محتكًا بعلمائها الحنابلة مما جعل تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واضحًا في نشاط هذه الجمعية الموجه بالتحديد في وجه الاستعمار الفرنسي الذي كان يعمل على فرنسة تونس بكل الطرق[٢].

وقد عبر أحد الشعراء التونسيين عن الوضع الديني في تونس وعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث قال:

إن شـــئت تـــدري الرزايـــا ... فـــاجلس خـــلال الزوايـــا
تـــرى بعينـــك مفيهـــا ... مـــا قـــد حـــوت مـــن بلايـــا
إن شـــئتها ســـوق شرك ... أو منزهًـــا للبغايـــا
أمـــا المواعيـــد فيهـــا ... فللفســـوق مطايـــا
لـــذلك قيـــل فيهـــا ... (كـــم في زوايـــا خبايـــا)
مـــن لي بعاهـــل نجـــد ... يجتـــث هـــذي البقايـــا
حتـــى نـــرى وبـــين طـــه ... كالبـــدر بـــين البرايـــا

وهنا يشيد الشاعر (بعاهل نجد) أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة الإصلاحية كمنقذ للوضع الديني الذي تفشى في تونس أو ما سواها من البلدان

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية، ص٩٨.

الإسلامية[(١)].

ومن ناحية أخرى ما أشارت إليه أحد الصحف الوطنية وهي جريدة الوزير التونسية، تعلن فيه عن وجوب اتحاد سلفي في شكل إعلامي قائلة:

> «يحتم على الصحافة السلفية اتحادها اتحادًا متينًا أمام تيارات الملحدين والزنادقة واللادينيين، وأرباب الزوايا، والطرقيين، وأصحاب الشعوذة والدجالين، وهذا ما يدعو إليه الإصلاح في الحجاز، والفتح في مصر، والوزير في تونس»[(٢)].

وعلى أي حال فإن كل ما ذكرناه من معلومات آنفة فإننا نستنتج منها أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي دعوة إصلاحية سلفية، قد تأثرت بها الحركة الوطنية تأثرًا قويًا، جعلها تصمد في وجه المخططات الفرنسية التي كانت تعمل على تغريبها وإبعادها عن دينها.

وعند وصول القوات السعودية إلى الحجاز وفرض سيطرتها عليها عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وإنهاء الحكم الشريفي فيها[(٣)]، كان هذا التحول والانقلاب السياسي، أن جذب اهتمام العالم بأسره، منهم الفرنسيين والتونسيين مع تباين في ردود الأفعال، ففي الوقت الذي قابلت فيه فرنسا هذه التطورات الجديدة في المنطقة العربية بشيء من البرود والخوف على مصالحها، مما جعلها تمنع وصول المطوفين السعوديين إلى بلاد المغرب العربي ومنهم تونس وتعطيل موارد الأوقاف إلى أهالي البقاع المقدسة[(٤)]، قابلت الصحافة التونسية بكل اهتمام ما جدَّ على تلك الساحة من تطورات شهدتها البلاد وخاصة الأماكن المقدسة، فقد

---

(١) التليلي العجيلي: صدى مجهودات الملك عبد العزيز في إرساء دواليب الدولة، ص٦٥، ٦٦.

(٢) مصطفى بن شعبان: شيء عن الحجاز، جريدة الوزير، عدد ٢٥٧، ١٩٢٨/٩/٢٠م، ص٢.

(٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٦٦.

(٤) التليلي العجيلي: «موقف السلطات الاستعمارية في تونس من الملك عبد العزيز» (مجلة الدارة، س٣٣، ع٤، ١٤٢٨هـ) ص٦١ـ ٦٧.

أشارت الصحف التونسية مبايعة أهالي مكة لسلطان نجد والاحتفالات التي أقيمت لتلك المناسبة، وذكرت نص المبايعة وخطاب الملك عبد العزيز[١]، كما اهتمت الصحافة التونسية فيما عداها من التطورات والأعمال الجليلة التي قام بها الملك عبد العزيز في جميع النواحي سواء كانت الاجتماعية أو الصحية أو التعليمية أو الأمنية، مثال على تلك الصحف، صحيفة الصواب، ولسان الشعب، والوزير[٢].

وقد اهتمت الصحف التونسية بشكل خاص ما يتعلق بمسألة الحالة الأمنية في الحجاز، لما لها اتصال قوي بأمن الحجيج فقد شاع في عهد الشريف حسين انعدام الوضع الأمني، وخروج قطاعين الطرق، مما أفزع وفود الحجيج والتجار[٣]، وقد تحولت هذه الحالة في عهد جلالة الملك عبد العزيز الذي استطاع إخضاع القبائل، حيث ذكرت صحيفة لسان الشعب بأن الملك عبد العزيز «... ضرب من كانوا يعيثون في الأرض فسادًا ضربة هذبت أخلاقهم، وطهرت ذممهم، بعد أن كان بعضهم يسلب بعضًا، وبعد أن كانت القبائل في الحجاز مضرب الأمثال في السلب والنهب وقطع السابلة... والاستهانة بحياة حجاج بيت الله الحرام الذين كانت تراق دماؤهم من أجل دينار واحد...، إن الوصول إلى تلك النتيجة في مثل هذه البرهة القصية، لتستوجب الحمد والشكر لله على النعمة»[٤].

إن المقارنة التي وضعتها الصحف التونسية بخصوص التطورات في الحجاز بين العهد الشريفي وعهد الدولة السعودية، كانت نتيجة طبيعية لمواقف التونسيين من

---

(١) جريدة الصواب، العدد ٤٧٨، ١٩٢٦/٢/٢٠م، «مبايعة نجد أميرًا على مكة»، ص٢.

(٢) التليلي العجيلي: صدى مجهودات الملك عبد العزيز في إرساء دواليب الدولة، ص٤٢ـ ٦٣.

(٣) في الأرشيف الوطني التونسي وثيقة تحكي عن معاناة الحجاج مع قطاعين الطرق بين مكة والمدينة المنورة، وخاصة قبيلة بني عمرو، وجمعها القنصل العام الفرنسي في دمشق إلى وزارة الخارجية الفرنسية.
Decument: Fiel 6276/0003/0004/date1913:1914

(٤) جريدة لسان الشعب، العدد ٢٧١، ١٩٢٧/١٠/١٢م، «الانقلاب في بلدية الحجاز»، ص٢.

الشريف حسين الذي نصب نفسه خليفة على المسلمين دون موافقة جزء كبير منهم، ومنهم تونس، وباعتبار أن الشيخ عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري القديم، وفي وقت من الأوقات كان الشخصية الأولى فيها، فإن التعبير عن موقفه من الشريف ليس تعبيرًا شخصيًا وإنما وطنيًا وشعبيًا، ففي كتابه الرحلة اليمانية يصف الثعالبي الشريف حسين بالطاغية(١)، بل إنه عبر عن موقفه من إعلان الشريف بأهليته للخلافة قائلًا:

«لا يوجد مسلم على وجه الأرض تطمئن نفسه لبيعة الحسين بالخلافة مهما كان سخيف العقل، ضعيف الدين، وذلك لسببين الأول: الخيانة العظمى التي ارتكبها في حق المسلمين وشق عصا الطاعة في وجه الدولة الإسلامية الوحيدة ـ الخلافة العثمانية الإسلامية ـ، وثانيًا: صغر مملكة الحجاز، وعدم قابليتها لتأليف شعب يدرأ الخطر عن الإسلام، وليست في بلاده مصانع ولا موارد طبيعية تساعد على نمو الثروة العمومية، وتكفل حاجات الحكومة...»(٢).

إن هذه المواقف كفيلة أن يكون هناك تقارب بين النخبة التونسية والحكومة الجديدة في الحجاز وهي الدولة السعودية الثالثة، وقد قام الشيخ الثعالبي بزيارة إلى الحجاز سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، والتقى بالملك عبد العزيز في مكة وعلى رغم من عدم وجود معلومات عن حيثيات هذا اللقاء بين العاهل السعودي والشخصية الأولى في الحزب الحزب الدستوري التونسي، سواء كان ذلك في كتاب الرحلة اليمانية نفسها، أو في مصادر أخرى ـ على حد اطلاعنا ـ إلا أنه يمكن الجزم أنها بنت علاقات قوية وودية بينهما جعلت

(١) عبد العزيز الثعالبي: الرحلة اليمانية، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، (ب.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت) ص٣٩.
(٢) عبد العزيز الثعالبي: الرحلة اليمانية، ص٩٢.

الملك عبد العزيز أن يضع ثقته بالشيخ الثعالبي ويصدره في مسألة الخلاف الحدودي بين السعودية والمملكة اليمنية (وهي حدود إمارة الأدارسة) بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى حميد الدين، وقد أرفق في كتابه الرحلة اليمانية نتائج تلك المهمة حيث قال:

«صاحب الجلالة ملك المملكة السعودية الملك المعظم، أيده الله وجمع به كلمة المسلمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأما بعد. فبناء على التعهد الأدبي الذي كتبته على نفسي وأشهدت الله عليه، رغم كل معاكسة ومقاومة لقيتها من ذوي الشأن فقد مضيت في سبيلي، .. سافرت إلى اليمن بعد أن فارقت الحجاز، ولازمت جلالة الإمام ثلاثة عشر يومًا، ولم أزل به حتى وفقني الله إلى إيجاد حل مرضي لمشكلة الحدود التي أثارت اهتمام العالم الإسلامي، وأوفد من أجلها البعوث تلو البعوث للتوفيق بين رغبات العاهلين الكريمين»[(١)].

لم تكن هذه العلاقات بين السعودية وتونس في تلك الفترة ـ فترة الاستعمار الفرنسي للأخيرة ـ مقتصرة على تتبع الصحف التونسية للأوضاع الجديدة في البلاد السعودية، أو زيارة بعض الشخصيات السياسية التونسية لها، إنما حتى على مستوى القيادتين فقد كان هناك تبادل للرسائل والهدايا بين باي تونس أحمد باشا ووزرائه[(٢)]، والملك عبد العزيز مما دعم أواصر الأخوة والمحبة بين الزعماء، كما أوصل جلالة الملك عبد العزيز[(٣)] رسالة شخصية إلى أخيه سمو الباي أحمد باشا عن طريق رئيس بعثة الحج التونسية حسني عبد الوهاب يعلمه فيها عن موقفه الصريح بجانب الحلفاء قائلاً له: «لا أريد أن أخلق

(١) المرجع السابق، ص١٧٩.

(٢) رسالة من الوزير الأكبر الهادي أخوه، إلى جلالة الملك عبد العزيز ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.
Decument: Fiel 0276/Bis2/6/date1936:1938

(٣) رسالة من الملك عبد العزيز إلى باي تونس أحمد باشا ورسالة أخرى إلى وزيره الأكبر الهادي أخوه، حررت في مكة المكرمة، ١٤ ذي الحجة ١٣٥٨هـ.
Decument: Fiel 0032/001/0024/date1946:1947

مشكلة لأصدقائنا الإنكليز ولكنهم إذا لم يجدوا حل يمكنه أن يحفظ مصالح البلدان العربية بعد الحرب فسوف أكون مجبرًا على التدخل مباشرة»[١]، وقد كان ذلك إشارة لدعم المملكة العربية السعودية للقضية التونسية والحركة الوطنية فيها.

وقد عبر الملك عبد العزيز عن موقفه تجاه الدول المستعمرة ومنها تونس في خطبته الموجهة في موسم الحج لوفود الحجيج محرضًا إياهم على مقاومة المستعمرين والدفاع عن دينهم وعروبتهم حتى ينالوا حريتهم، منها خطابه في حج عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م:

> «كل ما ندعو الله هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم، والذي نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام، وأوسطكم في العروبة، إننا ما ننام ليلة إلا وأمر جيمع المسلمين يهمنا.. تهمنا حالتهم ويهمنا أمرهم، ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه ذل أو خذلان لأننا نرى أنهم منا ونحن منهم»[٢].

وفي خطاب حج عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م أشار قائلاً:

> «أتمنى من سائر إخواننا العرب أن يبذل كل منهم جهده فيما ينفع جميع المسلمين وجميع العرب؛ لأنه لابد لنا من الاتفاق بما يحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين، وأن نطلب من الحلفاء أن يؤيدوا استقلال البلاد المستقلة، وأن يساعدوا البلاد التي لم تستقل لنوال استقلالها»[٣].

كان لهذه الخطابات وقعها في نفوس الحجيج الذين يعودون إلى بلدانهم متأثرين بالملك عبد العزيز وخطبه، وتشير بعض الوثائق أن الملك عبد العزيز بعد لقائه بالحجاج

---

(١) وثائق دارة الملك عبد العزيز، رسالة من الملك عبد العزيز إلى باي تونس، رقم الوثيقة ٧٧.

(٢) جميل محمود مرداد: «العلاقات السعودية المغاربية انقطاع جغرافي واتصال تاريخي سياسي» (بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغازي الأول، تونس، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ص١٨٠.

(٣) مرجع سابق، الصفحة نفسها.

التونسيين وزع عليهم هدايا كثيرة[١].

وفي تاريخ ٤ ذي الحجة ١٣٦٢هـ/ ١ ديسمبر ١٩٤٣م، قام الأمير فيصل وأخيه الأمير خالد بزيارة إلى تونس قادمين إليها من الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت تونس في تلك الفترة تدور على أراضيها رحى المعارك بين الحلفاء وقوات المحور، حتى استطاعت الأولى السيطرة على الوضع والمحافظة على تقدمها إلى أن خرجت قوات المحور منها في ٣ جماد الأولى ١٣٦٢هـ/ ٧ مايو ١٩٤٣م، وهذا يعني أن تونس كانت تشهد ظروف حرجة، فبعد دخول قوات الحلفاء عملت فرنسا[٢] على تصفية الحركة الوطنية مبتدئة بعزل ملك البلاد المنصف باي، وتنصيب محمد الأمين باي خلفًا عنه، في هذه الأجواء السياسية المشحونة بالخوف والذعر وحالة الانتقام من قبل فرنسا، كانت زيارة الأميرين فيصل وخالد لتونس، التي مكنتهما من الوقوف على الأوضاع بنفسيها والحالة التي وصلت إليها تونس جراء تعسف الفرنسي، وقد استقبل التونسيون الأميرين السعوديين بحفاوة كبيرة، وهتافات عالية (يحيى الملك الصالح عبد العزيز، تحيا الوحدة العربية)، وقد استقبل الباي محمد الأمين الأميرين في قصره بحمام الأنف، حيث صرح بأنه أول مرّة يستقبل فيها أمير عربي ووزير خارجية دولة عربية، وقد قدم للأمير فيصل (وشاح عهد الأمان) وللأمير خالد (الصنف الأكبر من وسام الافتخار)[٣].

وقد حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية بتونس أن تمنع اتصال الشعب بفئاته بالأميرين، فرافقت سلطات الحماية أثناء إقامة الأميرين بتونس وإحاطتهما بأعوانهما للحيلولة دون الاتصال بالشعب، إلا أن زيارة الأمير فيصل وخالد لجامع الزيتونة، الذي

(١) التليلي العجيلي: موقف السلطات الاستعمارية في تونس من السلطة السعودية، ص١٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٨ـ ٧١.

(٣) المرجع السابق، ص٧٤، ٧٥.

تفاعل معه الطلبة الزيتونيين، وهتفوا بحياتهما وحياة والدهما رغم العراقيل التي وضعتها السلطات الاستعمارية لصد ذلك، استطاع أستاذ الجامع الأعظم وعضو اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي القديم الشيخ عمر الهمامي، تقديم رسالة مختومة لهما قائلاً: (هذه أمانة الله في أيديكما)(١).

وقد أكدت الوثائق البريطانية أن هذه الرسالة قد سلمها الأمير فيصل إلى وزير الدولة البريطاني في القاهرة في طريق عودته إلى جدة، حيث عبر أصحاب العريضة (عن ترحيبهم بالأمير فيصل في تونس وعن تقديرهم لوجهات نظر الأمير تجاه إخوانه العرب، وعن امتنانهم للملك عبد العزيز باعتباره خادمًا للحرمين الشريفين، كما عبروا عن قلقهم بشأن مسجد عمر بن الخطاب، والمقصود بهما المسجد الأقصى، وشكواهم من غلاة الاستعمار من الفرنسيين الذين يؤيدهم البريطانيون والأمريكان...)(٢).

وعندما تسلم الأمير فيصل هذه الرسالة في جامع الزيتونة، حاول محافظ مدينة تونس بطلب من البوليس السياسي أن يطلب من الأمير فيصل تسليم الرسالة، ولكن سموه رفض ذلك بشدة، وهذا يدل على موقفه الصادق تجاه الحركة الوطنية في تونس(٣).

وعند لقاء الأمير فيصل بالوزير البريطاني في القاهرة صرح له: (بأن التونسيين يأملون في أن تبذل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مساعدتهما لكي يتحرروا من الهيمنة الفرنسية ... سائلاً الوزير المذكور عما إذا كانت بلاده ستقف إلى جانب التونسيين متسائلاً عما إذا كانت الهيمنة الفرنسية على تونس ستستمر إلى ما لا نهاية له، خصوصًا وأن

---

(١) محيي الدين القليبي: العلاقات العربية السعودية والمغرب العربي السلطات الفرنسية تحاول فصمها، ص٤٤.

(٢) علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية، ص٥٣٣.

(٣) محيي الدين القليبي: «العلاقات بين البلاد العربية السعودية والمغرب العربي. السلطات الفرنسية تحاول فصمها» ص٤٤.

هيئة الأمم المتحدة أعلنت أن عالم ما بعد الحرب ستكون فيه الشعوب حرة في تقرير مصيرها؟)[١].

وبهذا الدور الذي قام به الأمير فيصل استطاع أن يخرج القضية التونسية من الخناق الضيق الذي فرضته عليها سلطات الحماية، وأضفى عليها صفة دولية هي الأولى من نوعها على مستوى السياسة الخارجية السعودية تجاه تونس.

لقد ظلت المملكة العربية السعودية تناصر القضايا العربية المغاربية ولاسيما القضية التونسية، فقد جسد الملك عبد العزيز ملك البلاد السعودية المستقلة آمال تلك الشعوب المستعمرة بقيادتها التي عولت عليه إمكانية تحقيق الاستقلال والوحدة العربية، فقد كان للملك عبد العزيز دورًا فعلاً في تزويد تلك القيادات بالدعم السياسي والمادي[٢].

من أهم هذه القيادات الزعيم والمجاهد التونسي- الحبيب بورقيبة الذي ما فتئ في تدويل القضية التونسية، وجال بها في بلاد المشرق العربي ومنها المملكة العربية السعودية.

لم يكن الزعيم التونسي الحيب بورقيبة هو الزعيم التونسي الوحيد الذي التقى بجلالة الملك عبد العزيز، بل قدم له أمين حزب الدستوري الحر الجديد صالح بن يوسف والرشيد إدريس في رمضان ١٣٧١هـ/ يونيو ١٩٥٢م، ويحكي السيد إدريس عن هذا اللقاء قائلاً:

> «كنا في وفد لطلب تأييد الملك والمملكة للقضية التونسية أيام كفاح تونس ضد الاستعمار الفرنسي قبل استقلالها، وقد استقبلنا الملك عبد العزيز يرحمه الله استقبالاً حارًا وساعدنا وأيدنا، وكانت المقابلة مؤثرة جدًا لأنه بشخصيته القوية كان مؤثرًا..

---

(١) علي الزيدي، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) عثمان ياسين الرواف: «العروبة والإسلام وموقف المملكة في قضايا التضامن العربي والإسلامي» (بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) جـ١١، ص٦٠٦.

لقد أسس الملك عبد العزيز دولة، ولكل مؤسس دولة اعتباره وقيمته»[١].

وعن دعمه للقضية التونسية تحدث قائلاً:

«وقد فرح بنا الملك عبد العزيز وأنصت إلينا بكل انتباه واهتمام وقدم إلينا دعمًا بعد ما شرح له الأستاذ صالح بن يوسف الذي كان رئيس الوفد، الوضع والأخطار التي كانت محدقة بالأمة الإسلامية... وقد استجاب لنا الملك عبد العزيز وتجاوب معنا... وعبر لنا عن وقوفه إلى جانب تونس وقال: «نحن معكم»»[٢].

لم تكن مواقف الملك عبد العزيز هذه تجاه القضية التونسية قاصرة على وجود الوفود التونسية سواء كانت الرسمية أو وفود الحجيج، بل كانت قضايا المغرب العربي، ومنها تونس حاضرة في ذهن وقلب الملك عبد العزيز، ومما يؤكد لنا ذلك الرواية التي يحكيها معالي الشيخ جميل إبراهيم الحجيلان الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي سابقًا حيث قال:

«ما زال مستقرًا في مكامن الوعي الدائم، على الرغم من مرور ما يقرب من الخمسين عامًا على انقضائه، ذلك الحدث الذي عاشه ابن الأربعة والعشرين عامًا وهو في مجلس الهيبة والوقار والوداعة أيضًا، مجلس الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، كان ذلك في يوم الثلاثاء ٢٨ رجب ١٣٧١هـ/ ٢٢ أبريل ١٩٥٢م، وأنا أقوم بالترجمة بين الملك عبد العزيز، ووفد رسمي كبير يرأسه وزير خارجية أسبانيا السنيور روبرتو خوزيه آرتاخو... كان ذلك الوفد الأسباني الكبير أول وفد يبعث به رئيس الدولة الأسبانية ليقابل ملوك أكبر دولتين مصر، والمملكة العربية السعودية، ... قال الملك عبد العزيز فيما قاله لضيفه الكبير: «إننا أمة كرمها الله بالإسلام أقمنا عليه وجودنا وجعلنا أساسًا للحكم والحياة،... وعلاقتنا بإخواننا العرب المسلمين هي أن نناصرهم إن كانوا

(١) حوار خاص يتحدث فيه المناضل التونسي الرشيد إدريس عن لقاءه بالملك المؤسس (مجلة اليمامة، عدد ١٥٤، السبت ٦ شوال ١٤١٩هـ) ص٣٤.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

مظلومين، ونعينهم بالرجوع إلى الحق إن كانوا مخطئين، نحترم حقوق الجار، ونلتزم بالعهود، ولا نتدخل في شؤون الآخرين كما أننا لا نقبل أن يتدخل أحد في شؤوننا».
ومرت مدة صمت عابرة التفت بعدها رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ضيفه قائلاً: «أرجو أن نتعاون معكم على مساعدة إخواننا في المغرب، وتونس، والجزائر على استقلالهم والخلاص من الحكم الفرنسي، وعليكم مسئولية كبيرة في ذلك لقربكم منهم ومن فرنسا، وما هو حاصل الآن هو ظلم وقهر لتلك الشعوب العربية المسلمة ولا يمكن لهذا الحال أن يدوم...»(١).

وبهذه الكلمات التي ألقاها الملك عبد العزيز على مسامع ضيفه الوزير الأسباني الذي يزور بلاده لأول مرة، يتعين لنا أن جلالته كان ينتهز تلك الفرص الدبلوماسية لطرح قضايا المغرب العربي ومنها القضية التونسية، مما يثبت لنا المشاعر الصادقة في مواقف جلالة الملك عبد العزيز تجاه هذه القضايا، وشعوره العميق بالمأساة التي يعيشها أبناء عروبته في تلك الدول من ذل وقهر، وهو لا يتوانى عن نصرتهم ونصرة الدين والحق.

---

(١) جميل إبراهيم الحجيلان: نظرات في علاقات المملكة العربية السعودية في المحيط العربي (بحوث ودراسات المملكة العربية السعودية في مائة عام، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) جـ١١، ٣١٣، ٣١٤.

المطلب الثالث

الجهود السعودية لاستقلال تونس

اهتمت المملكة العربية السعودية بالقضايا العربية التي ما زالت واقعة تحت كنف الاستعمار، ومنها قضايا المغرب العربي، وبما أن الدولة السعودية هي إحدى الدول التي ساهمت في إنشاء جامعة الدول العربية في ٧ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ/ ٢٢ مارس ١٩٤٥م، وكعضوة فيها وقعت مع سائر دول الأعضاء على ميثاقها والملاحق والمرافقة لها، وقد أكدت الجامعة على تقديم مساعدتها لتلك الدول التي لا زالت واقعة تحت الاستعمار الأوروبي، وقد ورد ذلك في نص التالي:

«... نظرًا لأن الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها ولجانها شئونًا يعود خيرها وأثرها على العالم العربي كله، ولأن أماني البلاد العربية غير المشتركة في المجلس ينبغي له أن يرعاها، وأن يعمل على تحقيقها، فإن الدول الموقعة يعينها بوجه خاص أن توصي مجلس الجامعة عند النظر في إشراك تلك البلاد في اللجان المشار إليها في الميثاق بأن يذهب في التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع، وفيما عدا ذلك بأن لا يدخر جهدًا لتعرف حاجاتها وتفهم أمانيها وآمالها، وبأن يعمل بعد ذلك على إصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل من أسباب...»[(١)].

وفي إحدى دورات الجامعة العربية المنعقدة بتاريخ ٢٣ـ ٦ـ ١٣٦٤هـ/ ٤ـ٦ـ ١٩٤٥م، وفي ٧ـ١ـ١٣٦٥هـ/ ١١ـ١٢ـ١٩٤٥م، قرر دول الأعضاء تأييد وجهة النظر العربية في قضيتي استقلال تونس ومراكش، ومعالجة هذه القضايا في منظمة الأمم المتحدة

(١) جلال يحيى: العالم العربي الحديث والمعاصر (ب.ط، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م) جـ٣، ٢١٥٢.

عن طريق الوفود العربية المشاركة(١).

ففي عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م أقامت سفارة المملكة العربية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية حفل شاي بمناسبة زيارة الأمير فيصل للولايات، وقد دعا لهذا الحفل شخصيات أمريكية رفيعة المستوى، وقد دعا الأمير فيصل الحبيب بورقيبة لحضور هذا الحفل، وفي أثناء ذلك استطاع المجاهد الحبيب بورقيبة بسط القضية التونسية أمام وزير الخارجية الأمريكية دين اتشيسون (Dein Atsheisoun)، وقد تناقلت الصحف العالمية هذه الأخبار والصور، مما أزعج السلطات الفرنسية، وتركت آثارًا إيجابية للوطنيين التونسيين(٢).

وفي عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م اجتمع بورقيبة بجلالة الملك عبد العزيز وعن هذا اللقاء قال:

«كان وجودي بالمملكة العربية السعودية في ذلك العهد لا يعتمد جوازًا شرعيًا صحيحًا ولكنني استطعت بفضل إعانة بعض الإخوان الوصول إلى الأراضي المقدسة وأداء فريضة الحج. لكن ما أتذكره هو أنه في نفس الوقت الذي كنت فيه هنا كان يوجد وفد تونسي أرسلته فرنسا يصحبه عادة ضابط فرنسي- حتى جدة أو بعدها إلى أن يصل الحرم الشريف ويضم شخصًا ثانيًا ينعت أو يلقب بقنصل فرنسا يراقب الوفد حتى في رحاب الحرم، وأتذكر عن تلك الفترة أن وفود البلدان كانت تسعى لمقابلة جلالة الملك فيستقبلها في اجتماع يشملها جميعًا، وتقديرًا منه للجهاد الذي أقوم به أجلسني بالقرب منه أقرب بكثير من الوفد الرسمي فكانت هذه لفتة سامية لطيفة، علّمها الشعب التونسي وقدرها حق قدرها»(٣).

---

(١) غسان سلامة: السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س٨، ع٣٠، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٩٥ـ ٢٠٠.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢٤٧٦، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٤ جماد الأولى ١٣٩٣هـ الموافق ١٥ يونيو ١٩٧٣م) ص٧. وكتاب الدول والإرشاد: الرحلة المظفرة، ص١١٠.

(٣) كتابة الدولة للأخبار والإرشاد: الرحلة المظفرة «٥٠ يومًا عبر الشرق الأوسط وجنوب شرقي آسيا» (د.ط، تونس، د.ن، ١٩٦٦م) ص١١٠.

وفي أثناء الاجتماع أشار الملك عبد العزيز على الحبيب بورقيبة الحلول المرحلية مع الفرنسيين للوصول إلى الاستقلال، وطلب منه عدم المواجهة معهم حتى يتفادى تصعيد الموقف التونسي الذي لا يملك الإمكانيات الكبيرة لمقاومة الاستعمار الفرنسي- الذي كان بدوره يعمل على قمع اضطهاد الشعب التونسي-(١)، ويبدو أن لهذه النصيحة أثر في نفس زعيم بورقيبة الذي عرف عنه مناصرته لسياسة (الاستقلال على مراحل) أو ما يقال سياسة خذ وطالب.

ولم يكن هذا اللقاء هو الوحيد في تاريخ العلاقات بين البلدين قبل استقلال تونس، وإنما تلاها زيارة أخرى في عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، حيث بسط الزعيم بورقيبة القضية التونسية أمام جلالة الملك عبد العزيز موضحًا له التطورات التي شهدتها تونس مع سلطات القمع والاضطهاد، وقد كان موقف جلالته موقفًا مشرفًا تجاه القضية التونسية الذي شجع زعمائها على مواصلة كفاحهم ووعدهم بالمساندة بكل ما يستطيع وقد ورد ذلك بقوله:

> «إن الحرية لا تؤخذ بالكلام وحده بل لابد أن يقترن ذلك بالعمل، وإنني جندٌ معكم، وأساند حريتكم بكل ما أستطيع سرًا أو علنًا، ولا أبالي فأنا عون كل حركة خير يراد منها الخير لأي بلد عربي أو إسلامي»(٢).

وقد روى المصمودي الذي التقى الملك عبد العزيز مع الحبيب بورقيبة عن ذكرياته عن تلك الزيارة، التي أشاد فيها بدعم جلالته لهم ماديًا ومعنويًا، وتقديم بعض النصائح السياسية ودعمًا ماديًا حيث قال:

---

(١) الطاهر بلخوجة: الحبيب بورقيبة «سيرة زعيم شهادة على عصر»، (ب.ط، تونس، د.ن، ١٩٩٩م) ص٥.

(٢) تركي بن عجلان الحارثي: «دور المملكة العربية السعودية في دعم استقلال بلدان المغرب العربي»(مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٢، ١٤٢٢ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ـ ٢٠٠٤م) ص٥٠.

«إن كل ما قبلناه من الزعماء كان يفت عضدنا ويخذلنا تخذيلاً، إلا الملك عبد العزيز رحمه فقد شجعنا وأمدنا بآرائه وتجاربه ودهائه في سياستة والحرب، ودفع لزعيمنا المجاهد الأكبر الحيب بورقيبة عشرة آلاف جنيه ذهبي للحركة الثورية التونسية التي حمل لوائها الرئيس التونسي»(١).

إن أحاديث الزعيم الحبيب بورقيبة عن جلالة الملك عبد العزيز كثيرة نذكر منها ما قاله:

«لن أنسى الأيام التي قضيتها في المملكة العربية السعودية مشمولاً برعاية جلالة الملك عبد العزيز المعظم الذي كان يغدق عليَّ عطفه وبره، فقد كنت مشمولاً برعايته الدائمة حاضرًا وغائبًا، ولا أنسى مساعدته المادية والأدبية وما كان لها أثر في حياتي الشخصية وحياة قضية بلادي تونس حين كنت في أوائل سنوات الجهاد والنضال، وليس لي أي عون من أحد، وبالإضافة إلى ذلك ما كنت أشعر به من تقدير رجال المملكة، أو على الأصح رجال الملك عبد العزيز، الذين كانوا يعملون في مساعدت بوحي ذلك الرجل العظيم، الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ»(٢).

أصدرت الجامعة العربية في دورتها التاسعة عشر بتاريخ ٢٢ـ١٢ـ١٣٧٢هـ/ ١ـ٩ـ١٩٥٣م، بيانًا تستنكر فيه الوقائع التي وقعت في القطر المغازي (تونس والمغرب الأقصى) من جانب السلطات الفرنسية، وأيدت في مجلسها مواصلت تأييد كفاح بلاد المغرب العربي حتى تنال حريتها واستقلال أراضيها(٣).

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، (د.ط، بيروت، د.ن، ١٩٧٢م) جـ١، ص١٠، الحزب الدستوري: الحبيب بورقيبة صفحات من جهاده (د.ط، القاهرة، د.ن، ١٩٥١م) ص١٧.

(٢) فؤاد شاكر: الملك عبد العزيز «سيرة لا تاريخ» (د.ط، د.م، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ص١٤٤.

(٣) قرارات مجلس الجامعة العربية، المجلد الأول، القرارين ٥٨٤، ٥٨٥، الدورة التاسعة عشر بتاريخ ١٩٥٣/٩/٧، ص٤٣١، ٤٣٢.

وقامت وزارة الخارجية السعودية بتقديم مذكرة لجامعة الدول العربية بتاريخ ٧ـ ٢ـ ١٣٧٣هـ/ ١ـ ١ـ ١٩٥٢م، مرفق مع هذه المذكرة خطاب من مكتب لجنة تحرير المغرب العربي، طالبت فيه مناقشة تخصيص ميزانية للجنة، وقد وافق مجلس الجامعة العربية على هذا الاقتراح السعودي وأوصى مجلس الأمانة العامة بتقرير ميزانية للجنة تحرير المغرب العربي تتلائم مع الظروف التي يمر بها(١).

وفي أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية، دعا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت إلى إقامة منظمة الأمم المتحدة تعمل على تحقيق السلام الدولي ومساعدة دول العالم الثالث لتنال حريتها واستقلالها، وقد وقعت خمسين دولة مستقلة على ميثاق هيئة الأمم المتحدة(٢)، ومنها المملكة العربية السعودية التي تعتبر عضوًا مؤسسًا في هذه الهيئة منذ عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م(٣).

وقد عملت المملكة العربية السعودية جاهدة في تدويل القضية التونسية فعندما رفعت تونس قضيتها لهيئة الأمم المتحدة في باريس، تقدمت إحدى عشرة دولة إفريقية وآسيوية من بينها المملكة العربية السعودية في ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م بطلب إلى مجلس الأمن قبول إدراج القضية التونسية على جدول أعمالها لإيجاد حلول فعلية لإنهاء السيطرة الفرنسية على تونس، مما يحقق للشعب التونسي آماله الوطنية، ولكن المندوب الفرنسي زعم أن هناك اتفاقًا قد عقد بين فرنسا وباي تونس عمل بشأنه إلى زوال الخلاف الداخلي، وعليه رفض المجلس إدراج القضية(٤).

---

(١) تركي الحارثي، ص٦٠، ٦١.

(٢) خيري حماد: قضايانا في الأمم المتحدة (ط١، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ١٩٦٢م) ص١٨.

(٣) تركي الحارثي، ص٦٦.

(٤) خيري حماد، المرجع السابق، ص١٠٩.

عندما عقدت هيئة الأمم المتحدة في دورتها الثامنة والتاسعة المنعقدة في مدينة نيويورك، أثارت الوفود العربية والآسيوية القضية التونسية وهي ثلاثة عشر دولة ومنها: أفغانستان، وبرمه، ومصر، والهند، وأندونيسيا، وإيران، والعراق، وباكستان، والفلبين، والمملكة العربية السعودية، واليمن، ولكن مجلس الأمن رفض إدراج القضية بحجة عدم كفاية التصويت لصالح الإدراج(١)، ومن ناحية أخرى فقد قاطعت فرنسا جميع مناقشات القضية في عدة دورات واحتجت أن القضية هي مسألة داخلية تخص شؤون فرنسا ولا يحق للأمم المتحدة التدخل فيها وذلك بعد محاولة تلك الوفود الإصرار والضغط على هيئة الأمم المتحدة مناقشة القضية التونسية، كما تقدمت هذه الدول بمشروع يقضي على أن تعمل الجمعية العامة في هيئة الأمم المتحدة على ضمان حصول تونس على حقها في سيادة الكاملة والاستقلال، وعبرت الجمعية العامة من ناحيتها في الدورة التاسعة أن هناك مفاوضات ستقوم بين الدولتين المعنيتين (فرنسا ـ تونس) وسيعمل الجانبين على إيجاد حل مرضي للقضية في أسرع وقت ممكن(٢).

كما شاركت المملكة العربية السعودية في مؤتمر باندونغ الذي عقد في دولة إندونيسيا عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، والذي كان يهدف إلى تمكين البلدان الأفريقية والآسيوية مناقشة المسائل المشتركة التي تهم القارتين، وقد أكدت دول الأعضاء على البيان المشترك الذي أصدره المؤتمر بأن مشكلة شمال إفريقيا هي حرمان شعبها حريتهم في تقرير مصير بلادهم فإن المؤتمر الآسيوي والأفريقي يؤيد حق كل من الجزائر والمغرب وتونس في تقرير المصير وفي الاستقلال ودعا الحكومة الفرنسية إلى حل القضية حلاً رسميًا بدون تأجيل(٣).

---

(١) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٢٠٦.

(٢) خيري حماد: قضايانا في الأمم المتحدة، ص١١٠.

(٣) الرشيد إدريس: الطريق إلى الجمهورية، ص٣٨٥، ٣٩٦.

ولم تقتصر الجهود السياسية السعودية في المحافل الدولية، بل تعدتها إلى الحوارات الثنائية السياسية، فعندما سافر حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية في المملكة المتحدة عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والتقى بالمسئولين الأمريكيين شدد على موقف السياسة الأمريكية إلى جانب قضية فلسطين وبلاد المغرب العربي، ودعم استقلال بلدانهم، وذكر وهبة للمسؤولين الأمريكيين أن موقفهم السلبي تجاه هذه القضايا التي تهم المملكة العربية السعودية تؤثر سلبًا على العلاقات بين البلدين(١).

وبعد أن نالت تونس استقلالها، سحبت القوات الفرنسية جيوشها إلى مدينة بنزرت الساحلية، وظلت سيادة تونس على أراضيها سيادة ناقصة بسيطرة الفرنسيين على المدينة التونسية بنزرت، ولذلك نادى بورقيبة مرارًا وتكرارًا بضرورة سحب القوات الفرنسية وتحقيق الاستقلال التام، ولكن الحكومة الفرنسية لم تعر لتلك النداءات أي اهتمام، فوجد بورقيبة أنه لابد من إعلان الجهاد وبدأ معركة الجلاء(٢).

وامتازت مدينة بنزرت بأنها ميناء مهم على البحر الأبيض المتوسط في أقصى الشمال الشرقي، يسهل على الدولة المسيطرة عليها مراقبة السفن، كما أنها تشكل بواسطة طبيعتها الجغرافية مأمنًا من الهجمات البحرية، والغزوات الجوية في الوقت التي تستطيع القيام هي بهذا الدور بأمان وفاعلية(٣).

وقد عمد الفرنسيون تطوير هذا الميناء فحفروا قناة وقاعدة بحرية وتوجد في بنزرت

---

(١) تركي الحارثي: دور المملكة العربية السعودية في دعم استقلال بلدان المغرب العربي، ص٦٧.

(٢) محسن حجي ورشيد الذوادي: بنزرت أرض البطولات (د.ط، د.م، د.ن، ١٩٦٤م) ص٧٦ـ ٨٢.

(٣) محسن حجي ورشيد الذوادي: بنزرت أرض البطولات، ص١٤.

مركز قيادة تحت الأرض يقع بالجبل الكبير يحتوي على قاعات للعمليات ومراكز للمخابرات ومكاتب وثكنات للجند(١)، لذلك كان من الصعب على فرنسا أن تجد نفسها تتنازل عن موقع استراتيجي مهم مثل ميناء بنزرت، فما أعلن بورقيبة المعركة الحاسمة حتى زادت من قواتها العسكرية في المنطقة(٢).

ومع الساعات الأولى من بدء المعركة، كانت المملكة العربية السعودية تتابع التطورات على الأراضي التونسية باهتمام بالغ، فقد استدعى الملك سعود بن عبد العزيز السفير التونسي السيد العروسي يبلغه عن موقف المملكة المؤازر لشعب تونس(٣)، وأكد مجلس الشورى السعودي لمجلس الأمة التونسي استعداد المملكة العربية السعودية الكامل في الوقوف إلى جانب الشعب التونسي لرد العدوان الفرنسي، وقد تبرع الملك سعود بمبلغ مليوني ريال لضحايا العدوان الغاشم(٤)، كما أرسل جلالته بعثة طبية إلى تونس للمشاركة في علاج الضحايا والمصابين(٥).

وقد ساندت المملكة العربية السعودية قضية بنزرت التونسية في الأمم المتحدة، مناصرة لها، مطالبة بجلاء القوات الفرنسية عن الأراضي التونسية، كما أبرق الحبيب بورقيبة رسالة شكر عن موقف السعودية في الأمم المتحدة المؤازر لتونس، ورد جلالة الملك سعود على هذه الرسالة قائلاً:

---

(١) لنتعرف على بنزرت، جريدة أم القرى، العدد ١٨٧٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٥ صفر ١٣٨١هـ/ ٢٨ يوليه ١٩٦١م) ص١.

(٢) محسن حجي ورشيد الذوادي: بنزرت أرض البطولات، ص٨١، ٨٢.

(٣) جريدة أم القرى، العدد ١٨٧٩، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٥ صفر ١٣٨١هـ/ ٢٨ يوليه ١٩٦١م) ص١.

(٤) جريدة أم القرى، العدد ١٨٨٠، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٢ صفر ١٣٨١هـ/ ٤ أغسطس ١٩٦١م) ص١.

(٥) جريدة أم القرى، العدد ١٨٨٥، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٨ ربيع الأول ١٣٨١هـ/ ٨ سبتمبر ١٩٦١م) ص١.

«تلقيت برقية فخامة الأخ وسررت كل السرور إذ كان مجهود وفدنا المتواضع في الأمم المتحدة مساعدًا ومؤيدًا لحق تونس الشقيقة، وهذا الموقف أقل ما يتطلبه الواجب منا ونسأل الله أن يعجل بالنتيجة المرجوة من خروج العدو الغاصب لهذا القسم من البلد الإسلامي العربي تونس الشقيقة».

استمرت معركة الجلاء ما يقارب عامان، حتى شهر جماد الأول ١٣٨٣هـ/ أكتوبر ١٩٦٣م، أعلن خروج آخر جندي فرنسي من الأراضي التونسية، واستقبلت المملكة العربية السعودية هذه الأنباء بسعادة بالغة، حيث أبرق جلالة الملك سعود مهنئًا للرئيس التونسي قائلاً:

«تتيح لي مناسبة الجلاء عن قاعدة بنزرت فرصة سعيدة يسرني أن أغتنمها لأعرب لفخامتكم عن أخلص التهاني الطيبة ولأحيي جهودكم الحكيمة الموفقة لتحقيق ما يصبو إليه الشعب التونسي الشقيق من العزة والمجد»(١).

كما أرسل ولي العهد الأمير فيصل رسالة تهنئة للرئيس بورقيبة قائلاً:

«فخامة الرئيس بورقيبة لقد سررنا لمغادرة آخر جندي فرنسي للتراب التونسي وأننا إذ نهنئكم وأنفسنا بهذا النصر المؤزر نسأل الله أن يكلل أعمالكم بالنجاح متمنين لفخامتكم الصحة والتوفيق، وللشعب التونسي الشقيق التقدم والازدهار»(٢).

وقد أشاد الحبيب بورقيبة بوجهود الملك فيصل للقضية التونسية حيث قال:

«الروابط التي تربطني بجلالة الملك فيصل روباط قديمة ومتينة راجع عهدها إلى ما يقارب من ٢٠ سنة حينما هاجرت إلى المشرق بأن هناك عرب في المغرب يكافحون من أجل عروبتهم، حيث كانوا في ظلم ما كانوا يتصوره، كانوا يتعجبوا من أني أتكلم عربي من قرون، فمعرفتي بالملك فيصل في تلك الأيام العصيبة أيام الجهاد، أي الكفاح

(١) جريدة أم القرى، العدد ١٩٩٣، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٧ جماد الثانية ١٣٨٣هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٢م) ص١.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

في الأيام التي ما كنت فيها رئيس جمهورية ولا عندي سلطة لكن والحمد لله كان سمو الأمير فيصل (آنذاك) قد توسم في الخير ولقيت منه كل تفاهم وإعانة مادية وأدبية هذه لن ننساها لأن من طبيعتنا ومن طبيعة العرب أن يذكروا الفضل مهما كان»(١).

إن الزعيم الحبيب بورقيبة لا يتوانى في كل لقاء أخوي بين القيادتين أن يذكر دعم المملكة العربية السعودية للقضية التونسية ويذكر ما ترتب على هذا الدعم من تلاحم وترابط أخوي بين البلدين.

وبهذه المناسبة رد الملك فيصل في إحدى زياراته لدولة تونس الشقيقة ــ أي بعد استقلالها ـ على ما ذكره بورقيبة من دعم المملكة العربية السعودية للقضية التونسية قائلاً:

«يا صاحب الفخامة إن ما تفضلتم به فخامتكم من مساعي المملكة العربية السعودية في تأييدها لكم ولإخواننا في هذا البلد الشقيق فهذا ليس لنا فيه فضل ولا كرم، وإنما الفضل لله سبحانه وتعالى إذ منَّ علينا أن نقوم بما يجب علينا في خدمة ديننا وأمتنا وشعبنا والوقوف بجانب أخوتنا في كل ما يصادفهم من مشاكل ومن أحداث وهذا مما يستوجب منا نحن أن نحمد ربنا على ذلك إذ ما وفقنا له»(٢).

---

(١) جريدة أم القرى، العدد ٢٦٠،(مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٦٥م) ص٣.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢٤٧٦، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٤ جماد الأولى ١٣٩٣هـ، الموافق ١٥ يونيه ١٩٧٣م) ص٧.

المبحث الثاني

الدبلوماسية والزيارات المتبادلة وآثرها في العلاقات السعودية التونسية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـــــــب الأول: التبادل الدبلوماسي بين البلدين.

المطلـــب الثـــاني: الزيـارات المتبادلـة بـين حكـام البلـدين وأثرهـا في تعزيـز العلاقات.

المطلـــب الثالـــث: الاتـفاقيات بين السعودية وتـونس.

المطلب الأول

التبادل الدبلوماسي بين البلدين

تعتبر الدبلوماسية أداة رئيسة في العلاقات الدولية فهي تعمل على إقامة العلاقات الودية وحسن التفاهم بين الدول، وتوثيق هذه العلاقات سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية[١].

بداية التبادل الدبلوماسي بين السعودية وتونس عندما أعلنت الأخيرة خبر استقلال بلادها في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، اغتبطت المملكة العربية السعودية لهذا الخبر العظيم، حيث أذاع راديو مكة المكرمة هذا النبأ ونصه:

«كان لإعلان استقلال القطرين المغربيين العربيين الشقيقين، رنة فرح عظيمة في العالمين العربي والإسلامي، وقد بارك الله في ثمرات جهاد أخواننا التونسيين والمراكشيين وأفاء عليهم بنعمة التحرر والاستقلال وهيأ لهم في طورهم الجديد هذا التمتع بنعمة حكم بلادهم بأنفسهم والانتفاع بخيراتها، كما أتيح لهم لأول مرة منذ عهد بعيد أن يباشروا التعاون مع إخوانهم في الجنس واللغة والدين في العالمين العربي والإسلامي لما فيه خيرهم وخير الناس جميعًا...»[٢].

وقد بعث جلالة الملك سعود برقية إلى جلالة الملك الأميني باي ملك تونس، عبر فيها عن سعادته لاستقلال قطر عربي مسلم شقيق وتخلّصه من الاستعمار الآثم على أراضيها، ونص هذه البرقية:

«حضرة صاحب الجلالة ملك تونس، طالما تاقت نفسي- اليوم الأغر الذي تثمر فيه

---

(١) محمد عمر مدني: تطور العلاقات الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية، (ط٤، الرياض، معهد الدراسات الدبلوماسية، ١٩٩٣م) ص٤٥١.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ١٦١٢ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٣ رمضان ١٣٧٥هـ/ ١٣ إبريل ١٩٥٦م) ص١.

مساعي جلالتكم والشعب التونسي- لتحقيق أهدافه الوطنية ومطالبه القومية فإننا نشارك جلالتكم وشعبكم الفرح والسرور بنجاح جهادكم وشعبكم الأبي في سبيل استعادة حريتكم وإزالة العقبات التي كانت تحجب استقلالكم، أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن رغبتي الصادقة في تأييد العلاقات الإسلامية والعربية مع جلالتكم، وأحب أن تتأكدوا بأني سأكون وبلدي لجلالتكم ولشعبكم الأخ المخلص في التعاون لبلوغ القطر التونسي الشقيق كل ما يصبو إليه من الازدهار واستكمال أسباب العزة والقوة، وإن هذا العهد الجديد سيفتح لدولتكم الشقيقة أسباب زيادة أواصرها مع مجموعة الدول العربية، توثقًا لما فيه مصلحة العرب أجمعهم»(١).

ومن ثم بدأ التبادل الدبلوماسي بشكله المعروف، فأوفدت تونس من نفس العام أول وزير مفوض للمملكة العربية السعودية وهو السيد اليب العنابي الذي تقدم بأوراق اعتماده للملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ في القصر الملكي بجدة، وألقى خلالها خطابه قائلاً:

«مولاي صاحب الجلالة، لقد قررت الحكومة الشعبية إعادة ربط صلات التمثيل الدبلوماسي الخارجي للدولة التونسية بعد أن استعادت تونس استقلالاها الذي اغتصب منها ظلمًا وعدوانًا طيلة خمسة وسبعين عامًا، وأنه لشرف عظيم ينالني بموافقة جلالة ملكي محمد الأمين حامي حمى الوطن والدين، على تعيين أول مبعوث دبلوماسي لتونس في الخارج وأنه أيضًا لمن فخر تونس العربية المسلمة أن ترسل أول مبعوث لها في الخارج اليوم لدولة الجزيرة العربية المقدمة التي فيها انبعث جنسنا وفيها نزل قرآننا وبها ظهر ومنها انتشر ديننا، وفيها ولد وبها دفن نبينا صلوات الله عليه.. فتونس الجديدة الفتية المتوثبة تربط بإيفادي لدى جلالتكم.. لتأكيد تنمية أواصر الملة الإسلامية والأخوة العربية والمواطنة الطبيعية التي تربطنا ببعضنا بعض تأكيدًا وتمتينًا، وتونس الجديدة المتحررة اليوم لم تنس ولا يمكننا أن ننسى مواقفكم النبيلة ومواقف المغفور له والدكم العظيم رحمة الله عليه ومواقف حكومتكم النيرة من القضية التونسية طيلة أيام كفاح تونس.. وفضائل هذا التبادل الدبلوماسي بين دولتكم ودولتنا

(١) المصدر السابق، ص٤.

يا مولاي أكثر من أن تعدو منافعة أوفر من أن تحصى، وفي الميادين الثقافية والسياسية والاقتصادية نحن نأمل أن تقوم علاقاتنا على التفاهم والتعاون المكينين تفاهم الأخ مع أخيه، وتعاون الشقيق مع شقيقه بحماس وإخلاص وحمية، ... هي تلك الغاية التي رسمتها لي حكومة الرئيس الحبيب بورقيبة وأمرني جلالة الملك المطاع بتنفيذها فقبلت الاضطلاع بها بحماس وإيمان رغبة في المساهمة في خدمة جامعتنا الكبرى الإسلام ووطننا الأكبر العروبة»[١].

ومقابل هذا التمثيل الدبلوماسي التونسي لدى المملكة العربية السعودية، قرر جلالة الملك سعود بن عبد العزيز إرسال بعثة دبلوماسية إلى تونس سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، وتعيين الشيخ علي عوض مندوبًا فوق العادة، ووزيرًا مفوضًا من الحكومة السعودية لدى تونس[٢].

وفي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م حدث في تونس تطورات سياسية حيث ألغيت الملكية وحل محلها نظام جمهوري برئاسة الحبيب بورقيبة، ومنذ أن أعلن هذا النبأ التاريخي على العالم، تجاوبت معه الحكومة السعودية تجاوبًا إيجابيًا، حيث أبلغ وزير جلالة الملك سعود المفوض في تونس الشيخ علي عوض وزارة الخارجية التونسية باعتراف الحكومة العربية السعودية بالنظام الجمهوري كما أبلغتها استعداد المملكة العربية السعودية للتعاون مع الحكومة التونسية الجديدة[٣].

ونظرًا لحرص الدولتين الشقيقتين في تأصيل وربط العلاقات بينهما، تم رفع درجة التمثيل الدبلوماسي من مفوضية إلى سفارة، وأصبح أول سفير سعودي في تونس هو

(١) جريدة أم القرى: العدد ١٦٢٤ (مكة المكرمة، المطبعة الحكومية، ٥ ذو الحجة ١٣٧٥هـ/ ١٣ يوليه ١٩٥٦م) ص٥.

(٢) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، وثيقة من ديوان مجلس الوزراء، رقم ١٥٥٦/١/١٨/٢٨، المؤرخ في غرة شعبان سنة ١٣٧٦هـ.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ١٦٨٢ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٨ صفر ١٣٧٧هـ/ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٥٧م) ص٢.

السفير عبد الرحمن البسام، وأول سفير تونسي في المملكة العربية السعودية هو السيد محمد العروسي المطوي، وعلى النحو التالي أسماء السفراء السعوديين[1] الذين شغلوا هذا المنصب بالترتيب في الفترة التي شملهم البحث وهم:

١ـ عبد الرحمن البسام، ١٣٧٧ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٥٨ـ ١٩٧٥م.

٢ـ عبد الرحمن العمران، ١٣٩٥ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٧٥ـ ١٩٨٤م.

٣ـ عباس فائق غزاوي، ١٤٠٤ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٤ـ ١٩٨٦م.

٤ـ إبراهيم سعد البراهيم، ١٤٠٦ـ ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦ـ ١٩٩٦م.

٥ـ بكر عبد الله بن بكر، ١٤١٦ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٦ـ ١٩٩٨م.

٦ـ علي محمد القفيدي، ١٤٢٠ـ ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٩ـ ٢٠٠١م.

٧ـ أحمد علي القحطاني، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

السفراء التونسيين[2]:

١ـ محمد العروسي المطوي، ١٣٧٨ـ ١٣٨١هـ/ ١٩٥٨ـ ١٩٦١م.

٢ـ موسى الرويسي، ١٣٨٢ـ ١٣٩٨هـ/ ١٩٦٢ـ ١٩٧٨م.

٣ـ قاسم بوسنينه، ١٣٩٨ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٧٨ـ ١٩٨٩م.

٤ـ محمد جنيفان، ١٤١٠ـ ١٤١١هـ/ ١٩٨٩ـ ١٩٩٠م.

٥ـ عبد السلام المسدي، ١٤١١ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٠ـ ١٩٩١م.

---

(١) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس: لمحة عن العلاقات السعودية التونسية، (ب.ط، تونس، ب.ن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ص١٢١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢.

٦ـ قاسم بوسنينه (فترة ثانية)، ١٤١٢ـ ١٤١٥هـ/ ١٩٩١ـ ١٩٩٤م.

٧ـ عمر البجاوي، ١٤١٥ـ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٤ـ ١٩٩٧م.

٨ـ صلاح الدين الجمالي، ١٤١٨ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٧ـ ١٩٩٩م.

٩ـ عز الدين قرقني، ١٤٢٠ـ ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٩ـ ٢٠٠٢م.

١٠ـ صلاح الدين صاوي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

وقد أسهمت الدبلوماسية السعودية التونسية بشكل كبير في توطين وتمتين العلاقات الثنائية بين البلدين، ويظهر ذلك من خلال آراء وأقوال سفراء كل من الجانبين في تلك العلاقات، فعلى سبيل المثال قال السفير عبد الرحمن البسام الذي عمل سفيرًا للمملكة بتونس ما يقارب سبعة عشر عامًا لجريدة العمل التونسية عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م عن هذه العلاقات:

«أما العلاقات بين البلدين فإنه لا يمكن أن يتصور الإنسان أن تكون علاقات أقوى مما هي عليه الآن، فمحبة المسئولين والشعبين لبعضهم البعض فوق ما يتصوره العقل، وكل من زار تونس من السعودية أعجب بنهضتها وتقدمها أيما إعجاب... إن هذه العلاقات كانت طيبة منذ البداية، وكما قلت لكم إن الروابط بين جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس بورقيبة قديمة يرجع عهد بدايتها إلى ما قبل الاستقلال فقد زار المجاهد الأكبر المملكة العربية السعودية وعرف رجالاً كثيرين هناك، بحيث كانت الظروف مهيأة من قبل الاستقلال لعلاقات أخوية... والحقيقة أن تونس والسعودية لا تحتاجان إلى اتفاقيات لأن ما بينهما يتجاوز نطاق الاتفاقيات، فهما بلد واحد، وكلما زار سعودي تونس شعر أنه في وطنه، وما زار تونسي السعودية إلا وأحس نفس الشعور»(١).

(١) الجمهورية التونسية، مركز التوثيق القومي: ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس، الملف الخاص بتاريخ ١٩٦٦م.

أما عن جانب التونسي- فقد تحدث السفير التونسي- الأسبق السيد موسى الرويسي- الذي عمل سفيرًا لتونس لدى المملكة العربية السعودية عشرة أعوام عن انطباعاته عن المملكة وعن العلاقات بين البلدين قائلاً:

«السمعة الطيبة والإعجاب الذي اكتسبه جهاد فخامة الرئيس في قلوب السعوديين عمومًا جعل في الحقيقة مهمتنا في المملكة العربية السعودية يضاف إلى ذلك الروابط التاريخية المتينة روحيًا ودينيًا، لغويًا وتاريخيًا التي تربط بين تونس والمملكة العربية السعودية، روابط لا انفصام لها، ولا يتطرقها أي شك، ولم تزدها الأيام والمواقف الإيجابية التي وقفتها تونس إلا رسوخًا ومكانة»(١).

وتحدث السفير قاسم بوسنينه، سفير تونس لدى السعودية على فترتين، الأولى كان زمن الرئيس بورقيبة، والفترة الثانية كانت في عهد الرئيس زين العابدين بن علي، وأوضح عن شكل العلاقات بين البلدين في الفترتين قائلاً:

«العلاقات بين البلدين علاقات ممتازة من قبل الاستقلال وبعده، فقد كانت هذه العلاقات في فترة تولي السفارة في أوجها وخاصة في العهد البورقيبي، أما في عهد بن علي فترت هذه العلاقات نوعًا ما بسبب الأوضاع التي كانت سائدة في المنطقة(٢)... أيضًا العلاقات الاقتصادية والثقافية في عهد البورقيبي كانت أكثر وضوحًا وإزدهارًا من عهد بن علي... إن مزايا المملكة السعودية كبيرة ويصعب حصرها وقد قلت في إحدى مؤتمرات مجلس النواب التونسي- لو نطق الحجر لقال الحقيقة عن مساعدت المملكة لبلدنا في جميع المخططات ومنها الاقتصادية فقد كانت باتصالاتي أنا كسفير مع صندوق السعودي للتنمية وعن البنك الإسلامي ستشهدون مشاريع عديدة من سدود وتنظيم واجبات وموانئ أو مدارس وغيرها من المساعدات التي تقدم وقت

(١) الجمهورية التونسية، مركز التوثيق القومي: ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس، الملف الخاص بتاريخ ١٩٦٦م.

(٢) كان يقصد بها سعادة السفير أزمة حرب الخليج الثانية وموقف الرئيس التونسي المضاد منها، كان ذلك في لقاء أجريته مع سعادة السفير قاسم بوسنينه في مدينة تونس يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ/ ١٤ فبراير ٢٠١٢م في مقر مكتبه (البنك المغاربي).

الأزمات (براكين وزلازل) هذا شيء شاهدته وعشته وموثق في وثائق، إن المملكة العربية السعودية من أوائل بل في مقدمة الدول التي كانت داعمة لتونس واقتصادها»(١).

أيضًا تحدث سيادة السفير صلاح الجمالي السفير التونسي- الذي عمل قنصل عام أولاً ثم سفيرًا في الحقبتين البورقيبية، وحقبة بن علي، عن هذه العلاقات قائلاً:

«تعتبر السعودية بلدي الثاني فقد عشت بها عشر سنوات، عينت في بادئ الأمر قنصل عام في جدة ١٩٨٠ وبقيت هناك ١٩٨٧م، ثم عينت سفيرًا من عام ١٩٩٦م إلى عام ١٩٩٩م، فعاصرت الملك خالد والملك فهد رحمهما الله تعالى... وعن العلاقات بين البلدين قبل الاستقلال كانت السعودية بالنسبة للتونسيين والبلاد العربية بشكل عام رمز ديني إسلامي، نظرًا لخروجهم إلى أداء فريضة الحج وإلى الأماكن المقدسة، وقبل عام ١٩٤٢م، تعرض جلالة الملك عبد العزيز لمحاولة اغتيال في الحرم المكي من قبل رجل يمني، فكتبت الصحافة التونسية عن هذا الحدث وقام أحد الشعراء التونسيين وهو صالح القصار بكتابة قصيدة شعرية يمدح فيها جلالة الملك ويندد بعملية الاغتيال هذه... أما فترة نضال تونس للحصول على الاستقال فقد كانت السعودية من الدول الأوائل التي أوصلت الصوت التونسي- إلى هيئة الأمم المتحدة بجهود كل من جلالة الملك فيصل والسيد عمر السقاف وزير خارجيته.. أما عن بداية العلاقات في إطارها الدبلوماسي تعتبر تونس من الدول التي سارعت في أن يكون لها تمثيل دبلوماس في السعودية حينما أرسلت بعثتها الدبلوماسية بعد ثلاثة أشهر من إعلان الاستقلال، وأقيمت هناك سفارة تونسية بمدينة جدة وكانت مقر هذه السفارة أمام قصر حزام...»(٢).

وتحدث عن العلاقات بين البلدين في فترة مباشرته منصبه قائلاً:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) لقاء أجرته الباحثة مع سعادة السفير صلاح الدين الجمالي في مدينة تونس صباح يوم الأحد الساعة العاشرة والنصف، الموافق ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٣هـ/ ١٢ فبراير ٢٠١٢م في بهو فندق (نزل أفريقيا) في شارع الحبيب بورقيبة.

«علاقات ممتازة وأخوية وكانت المواقف موحدة بين الطرفين، والقرارات السياسية في جامعة الدول العربية متطابقة، وكان هناك حرص من الطرفين في معرفة المواقف السياسة والتشاور فيما بينهما قبل اتخاذها هي بعبارة أخرى بلد واحد في الحقيقة»(١).

وقد كان للحديث شجون مع سعادة السفير؛ فقد حدثنا عن لقاءه بولي العهد السعودي آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م فقال:

«في ذلك العام قام الأمير عبد الله بن عبد العزيز بزيارة رسمية لكل من الجزائر وليبيا، فعندما عاد إلى المملكة قررت أن أزوره وألتقي به، وقلت له: قد تتبعنا زيارة سمو الأمير إلى البلدين الشقيقين ببالغ الأهمية، وكانت زيارة ممتازة وموفقة في تقريب وجهات النظر فجزاكم الله خيرًا على ذلك، فقال سموه لي: فهمت قصدك يا صلاح تريد أن تقول لي أنك زرت الجزائر وليبيا ولم تزر تونس، ولكني سأزور تونس قريبًا، فسعدت بذكل الخبر وقلت له: متى يا سمو الأمير؟ فقال لي حازمًا: وتريد أن تعرف متى؟ فقلت له: طبعًا يا سمو الأمير فإنها لبشرى أريد أن أوصلها لتونس فهناك من يشتاق إليكم، فقال: حسنًا إن شاء الله بعد عودة الملك فهد من رحلته العلاجية في مدينة ماربيا بأسبانيا»(٢).

أيضًا أشاد السفير عمر البجاوي لدى المملكة:

«إن العلاقات بين البلدين ثرية جدًا وتستمد ثراءها من روابط تاريخية ومن ترابط ومصالح مشتركة رعاها مباشرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد والرئيس زين العابدين بن علي في كل الأصعدة وكل ما يعزز ويدعم العلاقة.. إن جمهورية تونس حكومة وشعبًا يذكرون بالعرفان والتقدير مواقف المساندة المشرفة التي وقفته المملكة العربية السعودية الشقيقة بقيادة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله إلى جانب بلادنا خلال معركة التحرير التي خاضها الشعب التونسي ضد الاستعمار»(٣).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجمهورية التونسية، مركز التوثيق القومي الوطني، ملف العلاقات التونسية السعودية، =

ومن الواضح أن الدبلوماسية السعودية التونسية كانت تتصف بالرصانة والحكمة في تعاطي المسائل ذات الاهتمام المشترك ليس فقط على المستوى الثنائي حتى على صعيد الإقليمي الدولي، فلا أدل على ذلك الموقف الذي يعكس عن قوة الدبلوماسية عندما قررت الدول العربية نقل جامعة الدول العربية من مقرها في القاهرة إلى تونس إثر معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، وقد كان الرئيس الحبيب بورقيبة رافضًا في استقبالها على أراضي بلاده غير متحمسًات لها، وقد بعثت المملكة العربية السعودية وكان ذلك في عهد الملك خالد ممثليها الدبلوماسيين لإقناع الحبيب بورقيبة لقبول مقر جامعة الدول العربية في بلاده[(١)]، وقد ذكر لنا سعادة السفير قاسم بوسنينه عن هذه الأحداث قائلاً:

> «أرسلت المملكة في بداية الأمر وكيل وزارة الخارجية للاجتماع بالسيد الرئيس بورقيبة الذي قال له إنها هدية مسمومة ـ الجامعة العربية ـ ولو أنك أردت الخير إلا أننا لا نتحملها لأن الوضع العربي سيئ في علاقاته، فتقدم بعدها وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل إلى تونس، واجتمع بالسيد الرئيس، وبعدها قرر الرئيس بورقيبة في تجمع الديوان السياسي وأعلن قبول مقر الجامعة الجديد وهي تونس»[(٢)].

وهذه دلالة كبيرة على ما للمملكة وممثليها من حظوة وتأثير في نفوس المسؤولين التونسيين، فضلًا على قدرتهم في إقناعهم بوجهة نظرهم في المسائل المتعلقة بالقضايا العربية والإسلامية التي تهم الدولتين.

= تونس، ملف خاص لعام ١٩٩٧.

(١) هذه المعلومة قد حصلت عليها من بحث قيد النشر في دارة الملك عبد العزيز في المؤتمر الذي نظمته عن الملك خالد بن عبد العزيز في الرياض ١١ـ ١٣ مايو ٢٠١٠ والبحث للدكتور أعليه علاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا (الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥ـ ١٩٨٢م) الندرة العلمية للملك خالد بن عبد العزيز، ص٦.

(٢) كانت هذه المعلومات خلال لقاءنا بسعادة السفير في تونس.

المطلب الثاني

الزيارات المتبادلة بين ملوك ورؤساء البلدين

إن دعم العلاقات يتطلب التشاور المستمر والزيارات المكثفة لدعم التعارف الثنائي وتقريب وجهات النظر، وتعزيز الروابط الأخوية على المستويين القيادي والشعبي، وتكمن أيضًا أهمية هذه الزيارات في استعراض الأوضاع السياسية في العالم، وطرح القضايا ذات الشأن المشترك والعمل على تذليل العقبات وتعزيزها في جو سياسي يسوده التفاهم والوفاق والود.

وهذه الأسباب تعكس لنا زيارات ساسة المملكة العربية السعودية ودولة تونس وما تمخض عنها من مباحثات أسهمت في تعزيز العلاقات السعودية التونسية، وقد قسمت الدراسة هذه الزيارات إلى قسمين:

أولاً: زيارة ساسة المملكة العربية السعودية إلى تونس:

الزيارة الأولى:

كانت في عهد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز في يوم الجمعة ٢٢ رجب ١٣٧٦هـ الموافق ١٥ فبراير ١٩٥٧م، وكانت هذه الزيارة الرسمية تلبية لدعوة جلالة باي تونس محمد الأمين(١).

أقام جلالة باي تونس حفلة كبرى على شرف جلالة الملك سعود بن عبد العزيز، وقدم باي تونس خلال الحفل لجلالته وسام الاستقلال التونسي، وهو يعد من أرفع الأوسمة التونسية تكريمًا للزيارة الملكية التي قام بها إلى تونس، كما قدم جلالة الباي

(١) جريدة أم القرى: العدد ١٦٥٤، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٥ رجب ١٣٧٦هـ الموافق ١٥ فبراير ١٩٥٧م) ص٢.

أوسمة رفيعة لحضرة صاحب السمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن، وحضرة صاحب السمو الأمير محمد بن سعود الكبير، وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود نجل جلالة الملك المعظم، وسمو الأمير محمد بن تركي، وحضرات أصحاب السعادة الشيخ عبد الله سعدون، والشيخ محمد بن دغيثر، والشيخ عبد الله بالخير، والشيخ علي جميل، والدكتور أديب العنتبلي[(١)].

كما تقدم رئيس الوزراء الحبيب بورقيبة بإقامة مأدبة غداء في منزله لاستقبال جلالة الملك سعود بن عبد العزيز، ودعا إليها عدد كبير من رجالات الدولة يتقدمهم ملك البلاد التونسية الباي محمد الأمين، وفي تلك الحفلة ألقى كبير الشعراء التونسيين قصيدة شعرية يحيي فيها الملك السعودي ثم أهدى الحبيب بورقيبة هدية رمزية لجلالة الملك وهي عبارة عن سرج موشى بالذهب قال إنه رمز لفروسية المهدى إليه، ومجموعة من نسخ القرآن الكريم لاعتباره خير ما يهدى لحامي الحرمين الشريفين، وأعلن الحبيب بورقيبة في الحفلة عن تبرع جلالة الملك سعود بمبلغ عشرين ألف دولار لصالح الجمعيات الخيرية ومنكوبي الزلازل[(٢)].

وتعتبر هذه الزيارة قصيرة حيث قدم وغادر في نفس يوم الجمعة، كان على رأس المودعين له في مطار تونس جلالة باي تونس، ورئيس الوزراء، وكبار رجال الدولة، وقد ودع جلالة الباي ضيفه وداعًا أخويًا، تحدث جلالة الملك سعود قليلاً إلى جلالة الباي شاكرًا له على هذه الدعوة الكريمة التي أتاحت له الفرصة لزيارته ولزيارة تونس العربية المضيافة، كما شكر جلالة باي تونس الملك السعودي لتلبية دعوته، مشيرًا إلى الروابط الطيبة التي تجمع بين العاهلين، كما أثنى جلالة الباي على الأهداف الوطنية التي يسعى

(١) جريدة أم القرى: العدد ١٦٥٦ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، يوم الجمعة ٢٩ رجب ١٣٧٦هـ الموافق ١ مارس ١٩٥٧م) ص٦.
(٢) المصدر السابق، ص٥.

جلالة الملك سعود في تحقيقها لمصالح الأمة العربية وبعد أن تصافح العاهلان، عزفت الموسيقى السلامين التونسي ثم السعودي[١].

وعلى أثر مغادرة جلالة الملك سعود الأراضي التونسية، بعث برقية إلى جلالة الباي محمد الأمين يقول فيها:

«صاحب الجلالة باي تونس المعظم، لدى مغادرتي لبلادكم الشقيقة يطيب لي أن أبعث جلالتكم خالص الشكر والتقدير على ما قوبلت به من لدن جلالتكم وحكومتكم وشعبكم الكريم من حفاوة، وشعور نبيل كان لهم أحسن الأثر في نفسي- راجيًا لجلاتكم الصحة والهناء ولشعبكم السعادة والرخاء»[٢].

وقد تلقى جلالته الرد على برقيته من جلالة باي تونس:

«صاحب الجلالة الملك سعود المعظم كان لزيارة جلالتكم لبلادنا أطيب الأثر في نفوسنا وأعضاء حكومتنا وشعبنا وإنه يسرنا جدًا أن نعرف لجلاتكم عن شعور الآخاء الصادق الذي يربط بين بلدينا وأبتهل إلى الله أن يطيل حياة جلالتكم ذائدين عن عزة الإسلام وحامين للعروبة المقدسة ومساهمين في إعلاء كلمة الأمة العربية وأرجو لشعب المملكة العربية السعودية كل عز وتقدم في رعاية جلالتكم»[٣].

كما وجه جلالة الملك سعود بن عبد العزيز برقية إلى رئيس الوزراء التونسي- السيد الحبيب بورقيبة:

«صاحب الدولة رئيس مجلس وزراء تونس أبعث لدولتكم بشكري وتقديري لما لاقيته منكم ورجال حكومتكم من حسن استقبال وطيب الضيافة راجيًا لكم ولزملائكم

(١) المصدر السابق، ص٦.
(٢) المصدر السابق، ص٥.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

كل توفيق ونجاح»[١].

وقد تلقى جلالته الرد من رئيس وزراء تونس:

«صاحب الجلالة الملك سعود المعظم تلقيت بمزيد السرور برقية جلالتكم التي عبرتم فيها عن شكركم وتقديركم لتونس ملكًا وحكومة وشعبًا للاستقبال الحار الذي خص به لجلالتكم وإنني باسمي الخاص وباسم الشعب التونسي. أؤكد لكم أن الاستقبال الذي قوبلتكم به ما هو إلا تعبير بسيط عما تكنه تونس من شعور الإجلال والتقدير العظيم لمقام جلالتكم الذي له في قلوب التونسيين جميعًا أسمى مكانة وأرفع شأن، وأسأل الله أن يحفظ جلالتكم ذخرًا للعروبة وأن يطيل حياتكم لعز شعب المملكة العربية السعودية ورفاهيته»[٢].

الزيارة الثانية:

شارك ولي العهد السعودي سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز احتفالات تونس بالذكرى الأولى لاستقلالها فقد توجه بطائرته إلى القاهرة أولاً يوم الاثنين الموافق ١٦ شعبان ١٣٧٦هـ/ ١٩ مارس ١٩٥٧م، وغادرها في اليوم التالي الثلاثاء الموافق ١٧ شعبان ١٣٧٦هـ/ ٢٠ مارس ١٩٥٧م إلى تونس وبصحبته سعادة السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية وذلك للاشتراك في الاحتفال بالعيد الأول لاستقلال تونس[٣].

الزيارة الثالثة:

بدعوة كريمة تلقاها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز من أخيه فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة لزيارة تونس وقد قرر جلالته زيارة عدد من دول إفريقية حيث

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ١٦٥٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٠ شعبان ١٣٧٦هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٥٧) ص٢.

اختتم جدول الزيارات بدولة تونس الشقيقة حيث مكث بها ستة أيام(١).

وصل جلالته إلى تونس يوم الأحد ٣ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٦٦م، في الساعة الثانية عشر ونصف، وكان في استقباله على أرض المطار الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وعند سلم الطائرة تعانق الزعيمان عناقًا أخويًا حارًا يدل على عمق الروابط العربية والإسلامية بين الأشقاء حكومة وشعبًا(٢).

وبعد الانتهاء من مراسم الاستقبال غادر القائدان المطار في عربة مكشوفة سارت بهما في شوارع العاصمة التونسية إلى قصر قرطاجة وهو القصر الذي يقيم فيه جلالته، وقد كانت الشوارع والطرقات مزدحمة بالجماهير التي كانت تهتف وتبارك بزيارة الفيصل لتونس، وتؤيد وتبارك دعوة الفيصل للتضامن الإسلامي(٣).

وأقام فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة في قصر قرطاجة في الساعة الثامنة من مساء يوم الأحد مأدبة عشاء على شرف حضرة جلالة الملك فيصل والوفد المرافق له وفي مقدمتهم سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران(٤).

وألقى الرئيس الحبيب بورقيبة خطابًا رحب فيه بالعاهل السعودي كما رحب فيه ببادرة الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي وقال:

«إن تونس تؤيد كل بادرة من شأنها أن تقوي التعاون الإسلامي وتجعلنا أسرة واحدة».

وقد ألقى العاهل السعودي خطابًا أشاد فيه بكفاح الرئيس بورقيبة وقال: «إن الدعوة

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٦ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٧ جماد الأولى ١٣٨٦هـ الموافق ٢ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٨.
(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٤.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

إلى مؤتمر إسلامي ترمي إلى تحقيق تقارب بين المسلمين وتقوية الصداقة والتعاون بينهم، وأن الدعوة ليست موجهة ضد أحد»، وأضاف جلالة الملك قائلاً: «لقد أثار هذا النداء للتعاون بين المسلمين عدة اعتراضات ولكننا نكرر القول أن هذا المؤتمر يهدف إلى تلاحم المسلمين دون أي اعتبار للتسلط»(١).

وفي الساعة الحادية عشر من صباح يوم الاثنين عقد مجلس الأمة التونسي جلسة استثنائية بمناسبة زيارة جلالة الملك إلى تونس وقد استقبل جلالة الملك فيصل رئيس المجلس الدكتور صادق المقدم، وفي جو من التصفيق الحاد والمتواصل دخل جلالته قاعة المجلس، وقد ألقى رئيس المجلس كلمة ترحيبية بجلالة الملك وأعلن تجاوب وتضامن الحكومة والشعب مع دعوة جلالته إلى التضامن الإسلامي باعتباره المخرج الوحيد من المشاكل العصيبة التي تجتاح عالم اليوم المضطرب، ثم تفضل جلالته بكلمة قال فيها:

«دولة الرئيس، أيها الأخوة الكرام، أحييكم تحية الإسلام، وأتقدم إلى فخامة الرئيس الجليل رئيس الجمهورية التونسية، وإلى دولة رئيس مجلس الأمة بالشكر العظيم حيث أتاحا لي فرصة هذا اللقاء الحبيب إلى قلبي، إنكم أيها الأخوة تمثلون شعبًا مؤمنًا ومسلمًا عربيًا مخلصًا في إسلامه وعروبته وإنني حينما أتذكر رحلاتي الماضية والفرصة التي سمحت لي في زيارة هذا البلد العزيز إلى قلبي، فقد زرت هذا البلد في أيام الاستعمار، وقد زرته في أيام الاستقلال وها أنا أعود إليه مرة ثالثة وإنه يسرني ويملأ نفسي غبطة أن أرى الفرق الشاسع بينما كان عليه هذا البلد الشقيق وبينما هو عليه الآن، وإذا كانت هناك أسباب تعود إلى إيمان هذا الشعب وتفانيه وإخلاصه وإلى حسن القيادة التي يلقاها والتوجيه من قبل قائده العظيم والمسؤولين فيه... أيها الأخوة الكرام، إننا اليوم في عالم مضطرب تتجاذبه الأهواء والأغراض والتيارات من كل جانب، وإن العالم بأسره ينظر يمينًا وشمالاً أن يجد مخرجًا من هذه الحالات ويخرج بسفينته إلى شاطئ السلام ولكننا حسب اعتقادنا ليس هناك سبيل إلى إيجاد استقرار كامل وأمن متكامل وحرية متوفرة إذا

---

(١) كتابة الدولة للأخبار والإرشاد التونسية «دائرة الوثائق»: إذاعة الرباط، أنباء اليوم ١٩٦٦/٩/١٩، الساعة ١٤,١٥.

لم يخلص قادة العالم وشعوبها في تلمس الخير ومحاولة تجنب الشر ونبذ الأطماع والاعتداءات والتدخل في شؤون الغير لمصالح ذاتية ومطامع شخصية، وإننا إذا أردنا أن نرسي قواعد الأمن والسلم والحرية فعلينا أن نتخذ من أسس ديننا، وقواعد شريعتنا أساسًا نبني عليها مستقبلنا ونستنبط منها الاتجاهات التي يجب أن نسير عليها... أيها الأخوة الكرام أرجو الله سبحانه وتعالى أن يديم علينا هذا الترابط وهذا التآخي وهذه المحبة وأن يقودنا جميعًا إلى ما فيه خدمة ديننا وخدمة أمتنا والنهوض بشعوبنا إلى مصاف الأمم التي نطمح بحول الله وقوته لأن نصل إليها وأن نستزيد من ديننا ومن أصولنا ومن تراثنا ما يحفزنا إلى تضاعف الجهد والعمل في سبيل ما نطمح إليه جميعًا من تقدم ورقي وإزدهار وإنني لمغتبط جدًا لأنني أجد نفسي بين أخوة كرام لهم من تاريخهم الماضي والحاضر ما يشهد لهم ويؤكد كفاحهم وجهودهم في سبيل دينهم ووطنهم وأمتهم وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعًا لما فيه نصرة ديننا وخير أمتنا والنهوض بشعوبنا أنه على كل شيء قدير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

وبعد الانتهاء من ذلك قام جلالته بزيارة متحف باردو في مجلس الأمة التونسي حيث شاهد جلالته فيه الوثائق التاريخية والمعالم الأثرية ولوحات من الفيسيفساء، وفي الساعة الثالثة والربع بتوقيت تونس دشن حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل شارعًا جديدًا في تونس يحمل اسم المملكة العربية السعودية[(٢)].

وفي نفس اليوم تفضل جلالته بزيارة الرئيس الحبيب بورقيبة في منزله وبعد استراحة قصيرة أهدى فخامة الرئيس التونسي إلى جلالة الملك فيصل قلادة الاستقلال وقال فخامة الرئيس وهو يقدم هذه الهدية إلى جلالته إن الاستقلال أعز ما يملك الشعب التونسي وأن جلالته كان المساهم فيه[(٣)] كما قدم جلالة الملك فيصل هدية إلى فخامة الرئيس سيفًا

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٣.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ =

مذهبًا[١] قال عنه جلالته إنه سيكون إن شاء الله فاصلاً بين الحق والباطل[٢].

وألقى فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة في الحفل الترحيبي الذي أقيم على شرف جلالة الملك فيصل، خطابًا قال فيه:

«إنه لمن دواعي الغبطة والاعتزاز أن نستقبلكم وأن نعبر لكم باسم تونس حكومة وشعبًا عن عواطف الود والتقدير التي نكنها لجلالتكم ولشعبكم النبيل والتي انعقدت أواصرها منذ عهد بعيد، فنحن نرحب في شخصكم بعاهل بلد شقيق وصديق، قد لمسنا بأنفسنا عند زيارتنا الأخيرة له في السنة الماضية مدى العمل الجدي الذي يقوم به من أجل تطوير الأوضاع وخلق الازدهار وضمان أسباب النهوض، ونحن إذ نحتفي بمقدمكم لا ننسى ما لقينا من المرحوم والدكم زمن الكفاح التحريري من عطف ومساعدة وتأييد كان لكم فيها يا صاحب الجلالة أكبر الأثر بعد أن اجتمعنا في جدة ولمسنا لديكم كل تفهم وتقدير لقضيتنا التي كانت تجوب البلاد العربية للتعريف بها والدعوة إليها، إن كل الشعب التونسي ـ المعتز بعروبته لغة وثقافة المتمسك بالإسلام دينًا وحضارة ليرى في زيارتكم هذه تجديدًا للذكرى وتوثيقًا للروابط وإذكاء لمشاعر تهفو إليها نفس كل تونسي، وتهفو لها بنفس الحنين إلى العهود الأولى...»[٣].

وقد علق فخامة الرئيس في خطابه لفكرة التضامن الإسلامي الذي كان يدعو إليه جلالة الملك فيصل الدول الإسلامية في خطابه قائلاً:

«... يعتقدون أن الدين في جوهره يقدم على تعاليم رجعية، أما نحن فنعتقد يقينًا أن الإسلام قوة يمكن أن تعيد للمسلمين مجدهم إذا صحت العزائم، ونعتقد أن ما ران

=
الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٣.

(١) عبد الله بن سعد الرويشد: أيام في تونس (ب.ط، القاهرة، رابطة الأدب الحديث، ب.ت) ص٢٣٦.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٣.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٣.

على الشعوب الإسلامية من تقهقر وانحطاط إنما مرجعه أسباب تاريخية واجتماعية ليس للدين فيها دخل إطلاقًا، ونحن الذين حاربنا الرجعية وجعلنا مصير أمتنا في طريق التقدم لا تساورنا هذه المخاوف وليس لها إلى أنفسنا من سبيل... لذلك نعتقد أن المؤتمر الإسلامي في أعلى درجات المسئولية أمر حيوي بالنسبة للإسلام وبالنسبة للشعوب المنتسبة إليه بل نعتقد أنه ضروري أن يعقد هذا المؤتمر بمشاركة كافة الدول الإسلامية بدون استثناء... يا صاحب الجلالة حضرة الأخ الكريم بهذه المعاني تحدثنا أنفسنا راجين أن تشمل كافة البلاد الإسلامية متمنين أن يكتب النجاح لهذا الأمر الذي نذرتم له أنفسكم وكرستم له جانبًا من جهودكم... فمرحبًا بكم في وطنكم وبين أهليكم والله ندعو أن يمتعكم بالصحة والعافية وأن يسدد خطاكم من أجل سعادة الشعب السعودي وازدهاره ومن أجل توطيد التقارب والتعاون والتحبب بين المسلمين إنه سميع مجيب»(١).

وقد رد جلالة الملك فيصل في خطابه قائلاً:

«يا فخامة الرئيس إنه لمن نافلة القول أن آتي على ذكر جهادكم المقدس وكفاح هذا البلد المجاهد، هذا الكفاح وهذا الجهاد الذي أصبح في تاريخ كما يقول المثل العربي أشهر من نار على علم، ولذلك فإنني حينما أتذكر الأيام التي مرت على هذا القطر الشقيق في أيام الاستعمار البغيض والأحكام الجائرة وفي نفس الوقت أتذكر جهادكم الباسل وكفاح هذا الشعب بل وكفاح الشعب العربي أجمع في سبيل الحرية والاستقلال فإنما يتراءى لي بأنني أتذكر أيام طوالاً عفى عليها الدهر، وإن كانت لا زالت حية في أفكارنا وأدمغتنا،... أيها الرئيس الجليل والأخوة الكرام إنني بعد فضل فخامة الرئيس ما يتطلبه منا ديننا وعقيدتنا وعروبتنا فإنني أجدني في موقف حجر لأنني لا أجد الكلمة أو الجملة التي يمكنني أن أضيفها إلى ما تفضل به فخامة الرئيس لأنه قال فأجاد، وبين فأوضح، وقصد فهدف، ولذلك فإنني أؤكد لفخامة الرئيس ولإخواننا ولكل من تبلغه هذه الدعوة بأن عملنا متضامنين متكاتفين في سبيل الله، وفي سبيل ديننا، وفي سبل أوطاننا، ليس من وراءه أية غاية أو مقصد ولا مطمع ولا مأرب، وإننا نؤدي واجبًا فرضه الله علينا كما فرضه على كل مسلم، وقال سبحانه وتعالى موصيًا رسوله

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩،(مكة المكرمة، مطبعة الحكومة،٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م)، ص٣.

الكريم ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ونحن في هذا السبيل ندعو إخواننا من المسلمين في جميع أطراف الأرض بالموعظة الحسنة ونقول كما قال تعالى لنبيه: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨] فمن هذا يتبين بأننا لا نهدف من وراء ذلك منصبًا أو مغنمًا أو قيادة أو زعامة وإنما نؤدي فريضة فرضها الله على كل مسلم ليس لنا فيها من الميزة إلا بقدر ما لأي مسلم يقوم بالدعوة لدينه ولنصرة أمته ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يهدي إخوانه إلى سواء السبيل... »(١).

وفي صباح يوم الثلاثاء توجه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بصحبة السيد الباهي الأدغم كاتب الدولة لشؤون الرئاسة إلى مدينة بنزرت، وهناك كانت في استقباله الجماهير المتراصة على جوانب الطريق تهتف باسمه، وباسم الرئيس التونسي وقد زار جلالته معمل تكرير النفط في بنزرت ومصنع الأسمنت حيث أثنى جلالته على الجهود الموفقة التي قام بها الرئيس التونسي في سبيل وضع سياسة اقتصادية سليمة، وبعد الانتهاء توجه جلالته إلى القاعدة العسكرية في بنزرت حيث كان استقباله هناك السيد أحمد المستيري، كاتب الدولة للدفاع الوطني الذي قدم لجلالته اللواء الحبيب الطيب قائد أركان الحرب العام، وبعد أن حيا جلالته العلم استعرض حرس الشرف ثم قام جلالته بزيارة منشآت القاعدة وشاهد نماذج من أسلحة البحرية والطيران التونسي(٢).

وفي صباح يوم الأربعاء توجه صاحب الجلالة الملك فيصل بصحبة السيد الباهي قائد السبسبي كاتب الدولة للداخلية بزيارة جامع الزيتونة في تونس، ولدى وصول الملك إلى جامع كان في استقباله هناك الشيخ محمد الفاضل عاشور مفتي الجمهورية التونسية، والشيخ مصطفى محسن عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، والإمام الأول

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩،(مكة المكرمة، مطبعة الحكومة،٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م)، ص٣.
(٢) مركز التوثيق القومي الوطني: ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، ١٩٦٦، تونس.

لجامع الزيتونة، والسيد محمد كمال التاروزي رئيس مصلحة العشائر بكتابة الدولة للرئاسة والهيئات الدينية والعلمية(١).

وبعد أن أدى صاحب الجلالة ركعتين لتحية الجامع قصد المحراب حيث جلس إلى يساره صاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودي، وبعد أن أنصت صاحب الجلالة بخشوع إلى التلاوة القرآنية، استمع إلى الكلمة التي ألقاها فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور الذي أشار إلى النصيب الذي ساهم فيه هذا الجامع الذي اشتهر في تاريخه بتحرير البلاد والمحافظة على الشخصية الإسلامية والتونسية، كما رحب بالعاهل السعودي معربًا عن خالص شكره على المجهودات التي يقوم بها للمحافظة على الدين وجعله يتماشى مع كل زمان(٢).

ورد جلالة الملك فيصل على هذه الكلمة فشكر الشيخ الفاضل بن عاشور وذكر أن الله تعالى خصص الأمة العربية لتصدع بكلمة الحق فحظاها وميزها عن بقية الأمم إذ أوكل لها مسئولية جبارة وهي بث الدعوة الإسلامية ونصرة الكلمة المحمدية وقال:

> «إننا اليوم في هذا العام المضطرب الذي كثرت فيه الهزات والنكسات وكثر فيه الاعتداء والظلم والطغيان لفي أشد الحاجة إلى أن نراجع تراثنا الكريم سواء من الناحية العقائدية أو التاريخية للأمة العربية والإسلامية مؤكدًا أنه هو سبيل النجاح والطريق الوحيد لننقذ أنفسنا ولنكون أن منَّ الله علينا من منقذي البشرية مما هي فيه من شرور اتجاهات وتيارات لا تعمل لفائدة البشر ولا لخير البشرية وإنما تعمل ضد مصالحها»(٣).

وقد شبه جلالته عبادة الأصنام باعتناق اتجاهات ومبادئ ليس لها أساس ترتكز عليه

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص١.

(٢) مركز التوثيق القومي الوطني: ملف العلاقات التونسية السعودية، ١٩٦٦م، تونس.

(٣) المصدر السابق.

قائلاً:

«فعبادة الأصنام ليست فقط عبادة أصنام معمولة من الحجارة أو من طين أو من أي مادة أخرى، ولا عبادة أشخاص وإنما كذلك عبادات معنوية أن البشر يعبدون اتجاهات أو مذاهب أو عقائد ليس لها في الحقيقة من معنى وليس لها أي أساس ترتكز عليه، وإنما هي نظريات وشعارات ترفع لأغراض أما شخصية أو لأغراض سياسية يراد بها لفت الأنظار ويراد بها تجمع الأنصار حول شعارات لا تستند إلى حقيقة ولا إلى أساس... وبالعكس حينما نرجع إلى عقيدتنا الإسلامية وإلى أصولها وإلى أسسها نجد فيها كل المتانة، ونجد فيها كل الخير، ونجد فيها البناء والتقدم، ونجد فيها في نفس الوقت ضمان الحرية، وضمان العدالة والسماحة التي تعطي لكل صاحب حق حقه...»(١).

وعقب الانتهاء من زيارة جامع الزيتونة سار مشيًا على الأقدام في أسواق مدينة تونس الغاصة بالجماهير التي وقفت تحية بهتاف حاد متواصل(٢).

وفي يوم الخميس زار جلالة الملك فيصل عدة ولايات تونسية وهي ولاية نابل وولاية سوسة، ثم اتجه إلى مدينة المنستير حيث كان في استقباله السيد الحبيب بورقيبة الابن، كاتب الدولة للشؤون الخارجية وكبار المسئولين، وفي شوارع هذه المدينة سار الفيصل والرئيس بورقيبة في عربة مكشوفة تحيط بها الجماهير من كل جانب هاتفه مرحبة إلى أن وصل جلالته قصر المرمر في صفاقس وهنا ودع الرئيس بورقيبة الملك فيصل متمنيًا له إقامة طيبة، وفي مساء اليوم المذكور أقام الرئيس بورقيبة مأدبة عشاء على شرف أخيه الملك فيصل في قصر المرمر في صفاقس(٣).

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٩، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٨ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م) ص١.
(٢) المصدر السابق، ص٨.
(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢١٤٠، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٥ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦م) ص٣.

وفي يوم الجمعة توجه جلالة الملك بصحبة فخامة الرئيس التونسي- من المنستير إلى مدينة القيروان حيث أديا صلاة الجمعة في مسجد عقبة بن نافع الأثري، وقد ألقى سماحة الشيخ محمد الفاضل عاشور مفتي الجمهورية التونسية، وعميد كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، خطبة الجمعة أكد فيها على فكرة التضامن الإسلامي التي تبناها الملك فيصل، وشدد على ضرورة التمسك بمبادئها القديمة، وبعد الانتهاء من الصلاة عاد جلالة الملك فيصل إلى تونس مستقلاً طائرته، وقد جرى له وداع رسمي وشعبي حافل، وكان على رأس المودعين فخامة رئيس تونس الحبيب بورقيبة وكبار المسئولين التونسيين(١).

وقد صدر البيان المشترك عن نتائج لقاء الزعيمين:

«دارت بين جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة محادثات استعرضا خلالها العلاقات الأخوية المتينة التي تربط المملكة العربية السعودية بالجمهورية التونسية، وسجلا بكل ارتياح التفاهم التام الذي يسود علاقات البلدين ببعضها في كافة الميادين وبحث إمكانية توطيد تلك العلاقات وتمتينها، وذلك بتبادل الزيارات بين المسؤولين في الدولتين، وبعقد اتفاقيات تجسم معاهدة الإخاء والتعاون التي أبرمت مؤخرًا بين البلدين. ودرسا عاهلا الدولتين الوضع الراهن في العالم العربي، فأبديا قلقهما للتوتر الذي يسود بعض أجزائه، وأكدا إيمانهما بأن العمل الجدي والتعاون النزيه والاحترام المتبادل بين كافة الدول العربية خير وسيلة لضمان سلامة العالم العربي ومناعته وازدهاره.

وبحثا بكل اهتمام قضية فلسطين وأكدا من جديد مساندتهما المطلقة لحقوق الشعب العربي الفلسطيني في استرجاع وطنه، واسترداد حقوقه المغتصبة ووقوفهما إلى جانبه في كفاحه المشرف ضد الاستعمار الصهيوني.

واستعرض الزعيمان القضايا القائمة في العالم العربي وفي أفريقيا فأكدا تأييدهما التام

---

(١) عبد الله سعد الرويشد: أيام في تونس، ص٢٦٠.

للشعوب المناضلة في سبيل استقلالهما ومساندتهما لحقها في تقرير مصيرها، وعزمهما على إعانتها على مواصلة الكفاح ضد قوى الظلم والطغيان ومناهضتهما لسياسة التمييز العنصري.

وتدارس الزعيمان الوضع في العالم الإسلامي فأكدا من جديد تمسكهما بتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء... وإن في تضامن المسلمين ما يساعد على إقرار السلم والأمن في العالم وإشاعة الطمأنينة في نفوس البشرية التي تنظر بقلق إلى مصيرها في عالم يسوده الاضطراب.

وتدارس الزعيمان الوضع السائد في العالم فأعلنا من جديد تمسكهما بميثاق منظمة الأمم المتحدة وأعربا عن عزمهما على مواصلة الجهود لدعم المنظمة حتى تؤدي رسالتها السامية في إقرار السلم وإشاعة التفاهم والتعاون بين الأمم»(١).

وقد بعث جلالة الملك فيصل برقية شكر لفخامة الرئيس التونسي قائلاً:

«حضرة صاحب الفخامة الأخ الرئيس الحبيب بورقيبة ـ رئيس جمهورية التونسية ــ في اللحظة التي أغادر فيها أرض تونس الحبيبة أبعث لفخامتكم ولأعضاء حكومتكم ولشعبكم النبيل بخالص شكري وعظيم تقديري على الحفاوة البالغة والاستقبال الحار وصنوف التكريم والرعاية التي قوبلت بها في مراحل زيارتي لبلدكم العزيز وإنني لعلى يقين بأن ذكرى هذه الزيارة ستبقى خالدة في نفسي- تبرز أمامي كمثل حي لبناء الوطن بسواعد شعبه ومدى تعلق الشعب بقائده الذي نزر نفسه لخدمته، وأرجو الله أن يمد بعمر فخامتكم ويمتعكم بالصحة لإتمام رسالتكم الرامية لتحقيق السعادة والاستقرار لشعب تونس الشقيق سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يوفقنا وجميع المسلمين لخدمة دينه وإعلاء كلمته والله ولي التوفيق»(٢).

كما بعث جلالته كلمة شكر وثناء إلى الشعب التونسي الشقيق بمناسبة مغادرته للبلاد

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٤٠، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٥ جماد الآخر ١٣٨٦هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦م) ص١.
(٢) المصدر السابق، ص٣.

التونسية قائلاً:

«إخواني.. أبعث إليكم وأنا أغادر الأرض الخضراء العزيزة بتحية قلبية صادرة من الأعماق، وأشكركم على ما لاقيته من حفاوة وإكرام أحطموني بهما أينما سرت وحيثما اتجهت في ربوع هذا البلد العريق المضياق المتمسك بعقيدته الإسلامية الراسخة وتراثه العربي الأصيل. لقد كانت هذه الأرض الطيبة عبر التاريخ منطلقًا لنشر تعاليم الإسلام في القارة الأفريقية وستبقى على مر الأزمان بحول الله وقوفته، وبوعي قادتها الذين يسيرون بوحي رئيسهم القلعة الحصينة التي تتكسر على جنباتها أمواج التيارات التي تسعى للنيل من إسلامها وعروبتها... وإنني إذ أكرر شكري لهذا الشعب وقادته على الحفاوة البالغة والترحيب الحار لأرجو من الله العلي القدير أن يمن على زعيمه الرئيس الحبيب بالصحة والتوفيق ليتمكن من القيام بالأمانة التي حمله الله إياها والهادفة إلى السير بهذا الشعب في مدارج الرقي والتقدم هذا وأبعث إلى شعب تونس الشقيق وقادته الكرام بتحيات إخوانهم في المملكة العربية السعودية متمنيًا لهم الرفعة والازدهار في ظل الزعيم المقدام فخامة الأخ الرئيس الحبيب بورقيبة. والله الموفق»(١).

الزيارة الرابعة:

قام بها سمو الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء بدعوى من فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في الفترة ما بين ٩ رجب ١٣٩٢هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٩٧٢م، إلى ١٣ رجب ١٣٩٢هـ الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٧٢م(٢).

وقد وصل سموه إلى تونس بعد ظهر الجمعة في زيارة رسمية تستغرق ثلاثة أيام، كان في استقباله السيد محمد المصمودي وزير الخارجية التونسي- ووزير العدل والسيد حبيب

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢٤٣٦ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٦ رجب ١٣٩٢هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٩٧٢م) ص١.

شافي مدير مكتب الرئيس التونسي(١).

أجرى سمو الأمير فهد محادثات مع وزير الخارجية محمد المصمودي، تحدثا فيها عن العلاقات الثنائية بين البلدين، وأشاد سموه بالمجهودات المبذولة من الجانبين في سبيل مضاعفة الزيارات بين البلدين.

كما بحث سموه بصورة خاصة مع الجانب التونسي الأوضاع الراهنة في العالم العربي مؤكدين انشغالهما المستمر إزاء تأزم الوضع في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط نتيجة لاستمرار الاحتلال الصهيوني لأراضي الدول العربية الشقيقة ولتمادي إسرائيل في سياسة العدوان والتوطين... أمام هذا الوضع أكدا رئيسا الوفدين تأييد بلديهما التام للجهود المختلفة التي تبذلها الدول العربية لتحرير أراضيها، كما أكدا أن مراعاة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني الشقيق في استرجاع وطنه السليب وتقرير مصيره بنفسه هي ضرورة لأي حل عادل دائم لأزمة الشرق الأوسط(٢).

وفي الساعة الحادية عشر من صباح السبت توجه سموه والوفد المرافق إلى مدينة عين دراهم حيث يقيم فخامة الرئيس التونسي. الذي كان في استقبالهم عقد اجتماع دام حوالي ساعة بعد ذلك دعى الأمير فهد والوفد المرافق له لمأدبة الغداء التي أقيمت على شرفه، وقد أعرب سموه عن اغتباطه للقائه واهتمام سموه بتطوير التعاون القائم بين البلدين بقيادة جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة وكذلك الصلات التي تربط بينهما، وتقدير سموه لوجهات نظر فخامة الرئيس التي تتقارب مع جلالة الملك فيصل وخلال هذه الزيارة اطلع صاحب السمو الملكي والوفد المرافق له على بعض المنجزات في الميادين

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢١٣٦ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٦ رجب ١٣٩٢هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٩٧٢م) ص١.
(٢) المصدر السابق، ص١ـ ٦.

العمرانية والسياحية والاجتماعية[١].

وقد أدلى الأمير فهد بن عبد العزيز لمندوب الإذاعة التونسية بالمطار قبل مغادرته بتصريح حول زيارته لتونس قال فيه:

«في الواقع إن هذه الزيارة من أحب الزيارات إلى نفسي، لأني أزور بلدًا شقيقًا وحبيبًا إلى نفسي رئيسًا وشعبًا، وكل ما أتمناه أن يوفق الله هذا البلد فيما يعود على الأمة العربية بالخير والسداد، وإذا جاز لي أن أعبر أكثر فأقول إنه البلد الوحيد الذي مشى وتمشى على خطط ثابتة في جميع تصرفاته السياسية سواء كانت عربية أو دولية، وهذا من سعادة المملكة العربية السعودية، وأتيحت لي هذه الفرصة الطيبة التي سعدت فيها برؤية الرئيس الحبيب بورقيبة، ورجال حكومته وشعب تونس الحبيب... وأشكر مندوب الإذاعة التونسية لأنه أتاح لي هذه الفرصة لأتحدث لإخواني في تونس عما يكنه جلالة الملك فيصل والشعب السعودي لتونس رئيسًا وحكومة وشعبًا من حب وإكبار وتقدير»[٢].

الزيارة الخامسة:

وكانت هذه الزيارة بدعوة من فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة لجلالة الملك فيصل في الحادي عشر إلى ثاني عشر من جماد الآخر ١٣٩٣هـ الموافق الثاني عشر إلى الثالث عشر يونيه ١٩٧٣م[٣].

وكان في استقبال جلالته عند سلم الطائرة فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة حيث تعانق الزعيمان عناقًا أخويًا ثم صافح الرئيس بورقيبة أعضاء الوفد المرافق لجلالة الملك

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) عبد الله سعد الرويشد: أيام في تونس، ص٢٦٨.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢٤٧٦، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٤ جماد الأولى ١٣٩٣هـ الموافق ١٥ يونيو ١٩٧٣م) ص١.

فيصل، وبعد أن اتجه الزعيمان إلى منصة الشرف حيث عزفت الموسيقى السلامين الوطنيين السعودي والتونسي، وبعد استراحة قصيرة في قاعة الاستقبالات الكبرى وبين مظاهر الترحيب الأخوي الحار غادر جلالة الملك فيصل المعظم المطار يصحبه فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة إلى قصر الضيافة، بينما كانت جموع الشعب التونسي ترحب بجلالته على طول الطريق(١).

وفي الساعة السادسة من مساء الثلاثاء بتوقيت تونس اجتمع الملك فيصل بالرئيس الحبيب بورقيبة في قصر قرطاج، وقد اشترك في الاجتماع من الجانب السعودي صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران، وصاحب السمو الملكي الأمير نواف بن عبد العزيز المستشار الخاص لجلالته، ومعالي الدكتور رشاد فرعون مستشار جلالته الخاص وسعادة الشيخ عبد الرحمن البسام سفير المملكة بتونس(٢).

كما اشترك في الاجتماع من الجانب التونسي دولة السيد الهادي نويرة الوزير الأول في الحكومة التونسية، ومعالي السيد محمد المصمودي وزير الخارجية، وسعادة السيد حبيب الشطي رئيس ديوان رئاسة الجمهورية(٣).

وفي الساعة الثامنة من نفس اليوم أقام فخامة الرئيس التونسي مأدبة عشاء بقصر قرطاج تكريمًا لجلالة الملك فيصل، وفي هذا الحفل تفضل فخامة الرئيس بورقيبة بكلمة ترحيبية قال فيها:

«إن بين تونس والمملكة العربية السعودية روابط قديمة عريقة في الأخوة راسخة في

---

(١) المصدر السابق، ص٧.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

المودة سيظل يعنيها التقدير المتبادل والتضامن بين الشعبين في السراء بعد الضراء، وإني في كل اجتماعي بجلالتكم لا أتمالك أن أعود بالذاكرة إلى عهد كنت فيه الزعيم المكافح أجوب البلاد العربية في المشرق للتعريف بقضية تونس المجاهدة، على أن أجد من ساساتها ما يشد أزرنا ويساعدنا على الإدلاء بصوتنا في المحافل الدولية وكسب الأنصار لقضيتنا استعدادًا للمعركة الحاسمة التي كنا إذ ذاك بصدد التخطيط لها إني لأذكر فورًا ما يضيف لساني من كرم الضيافة وجليل المسندة من لدن الملك الراحل والدكم العظيم تغمده الله برحمته لما زرت السعودية أول مرة سنة ١٩٤٦م ثم عند الزيارة الثانية ١٥٩١م...».

وقد تحدث عن الوضع في فلسطين قائلاً:

«إن كل عام يمر على هذا الوضع المحبوس تحت الحديد والنار لا يزيد إسرائيل إلا تعنتًا والتمسك بما اغتصبته منا دون أن نستطيع أي دولة أن تدفع المجموعة الدولية لأن تغير هذا الوضع بما يقتضيه العدل والإنسانية بل إن الملاحظ الأكيد أن الوضع في المشرق في تفاقم مستمر وتتشعب المصالح الدولية القائمة هنا وهناك ولم يعد من الحلم السيطرة على الموقف بما يكفل صيانة المصلحة العربية عامة وحق الشعب الفلسطيني بالذات ولعل من أوجب واجباتنا معشر الدول في المشرق والمغرب على السواء أن نكون للثورة الفلسطينية أولاً وآخرًا حتى لا يقضى عليها لا من الخارج ولا من الداخل وحتى لا تعبث بها المذهبيات العاتية، فتذهب ريحها لا قدر الله وحتى تتجنب دومًا متاهات السلبية المطلقة فتقوى شيئًا فشيئًا على مصارعة الواقع والتأثير بمجرى الأحداث بما يرجع إليها زمام المبادرة في كل حال، حضرة الأخ الزميل، تلك هي عقيدتنا التي لا مبتغى لنا من ورائها سوى مؤازرة أخوان أعزاء علينا يساموا الهوان في أوطانهم وحلت بهم نكبة هي وصمة عار في حياة كل المؤمنين بحقوق الإنسان شرقًا وغربًا، صاحب الجلالة نحن إذ نبتهج بزيارتكم هذه نحيي في شخصكم الكريم العاهل المناضل ونحيي من ورائكم شعبًا شقيقًا له في قلوبنا مكانة خاصة».

ثم تقدم جلالة الملك فيصل بتقديم كلمة ارتجالية قائلاً:

«يا صاحب الفخامة، إن ما تفضلتم به فخامتكم عن مساعي المملكة العربية السعودية في تأييدها لكم ولأخوتنا في هذا البلد الشقيق فهذا طبعًا ليس لنا فضل ولا كرم وإنما

الفضل لله سبحانه وتعالى إذ منَّ علينا بأن نقوم بما يجب علينا في خدمة ديننا وأمتنا وشعبنا والوقوف بجانب أخوتنا في كل ما يصادفهم من مشاكل ومن أحداث وهذا مما يستوجب منَّا نحن أن نحمد ربنا على ذلك إذ وفقنا له... ومما لا شك فيه أن كل ما تفضلتم به فخامتكم مما رأيتموه تجاه الوقوف بجانب أخوتنا الفلسطينيين وأخوتنا العرب الذين يتعرضون للنكبات والكوارث من أعدائنا جميعًا... فهذا هو ما يقتضيه علينا ديننا وإن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالجهاد في سبيل الدفاع عن ديننا وأمتنا وأن نقاتل كل من يعتدي علينا...»(١).

وفي ختام الزيارة الملكية لتونس الشقيقة صدر يوم الأربعاء بيان صحفي مشترك عن اجتماع الزعيمين هذا نصه:

«تباحث رئيسا الدولتين في الوضع الراهن في العالم العربي وأعربا عن قلقهما البالغ إزاء تأزم هذا الوضع نتيجة استمرار الاحتلال الصهيوني لأراضي الدول العربية الشقيقة وتمادي إسرائيل في عدوانها وأكدا من جديد تأييدهما الكامل للدول العربية الشقيقة في كفاحها من أجل تحرير أراضيها المحتلة.

كما أكد الرئيسان من جديد مساندتهما المطلقة لدعم المقاومة الفلسطينية واسترداد حقوق الشعب الفلسطيني المغتصبة.

وأعرب الرئيسان عن تمسكهما بقرارات المؤتمر الإسلامي وعلى الأخص ما يتعلق منها الدول التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل والدول التي أعربت عن استعدادها لاتخاذ تدابير فعالة تجاه استمرار العدوان الإسرائيلي.

كما أشاد الرئيسان بالقرار الحكيم الذي اتخذته منظمة الوحدة الأفريقية تجاه قضية الشرق الأوسط بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيسها، وأعرب الرئيسان عن تضامنهما مع الشعوب الأفريقية في كفاحها العادل ضد الاستعمار والاستغلال والتمييز العنصري وتأيدهما في نيل استقلالها واسترجاع سيادتها.

ونوه الرئيس الحبيب بورقيبة بمجهودات أخيه جلالة الملك فيصل التي قام بها في كل

(١) المصدر السابق، ص١.

أفريقيا وأوروبا وزيارته الأخيرة لفرنسا وإيطاليا لشرح المشكلة القائمة في الشرق الأوسط وضرورة حلها على أساس الحق والعدل.

وناشد الرئيسان بأن يتخذ مجلس الأمن المنعقد حاليًا في نيويورك قرارًا حاسمًا يرغم إسرائيل على الانصياع لقرارات الأمم المتحدة، ووضع حد لسياستها العدوانية.

وفي مجال العلاقات الثنائية القائمة بين البلدين الشقيقين أبدا الرئيسان ارتياحهما لنمو هذه العلاقات وما بلغته من أوجه التعاون بينهما وعبرا عن عزمهما على زيادة دعمهما والعمل على ترسيخ آفاقها في مختلف الميادين بما يكفل رفعها إلى مستوى العلاقات التاريخية العريقة التي تربط بين البلدين الشقيقين»[(١)].

وقد بعث جلالة الملك فيصل إلى الرئيس الحبيب بورقيبة برقية حين مغادرة جلالته أرض الجمهورية التونسية الشقيقة في طريقه للمملكة:

«لقد تركت زيارتي القصيرة لتونس الحبيبة أجمل الأثر في نفسي، وزاد سروري حينما رأيت فخامتكم ممتلئًا حيوية ونشاطًا راجيًا من الله أن يمتعكم دومًا بتمام الصحة والعافية، وإني وأنا أغادر أرض تونس البلد العريق المضياف أبعث لفخامتكم وجميع المسئولين في حكومتكم ولكافة أفراد الشعب التونسي النبيل بخالص شكري وعظيم تقديري على الحفاوة البالغة والترحيب الحار اللذين قوبلت بهما مع أعضاء الوفد المرافق على الصعيدين الشعبي والرسمي، سائلاً المولى العلي القدير أن يكون من نتائج هذه الزيارة ما يعود بالخير على البلدين الشقيقين وعلى الأمة العربية والإسلامية وأن يوفقنا جميعًا لخدمة دينه وإعلاء كلمته وأن يمنّ على العرب والمسلمين بنصره وتأييده ليتمكنوا من دحر العدو الصهيوني الذي استباح الحرمات وعبث بالمقدسات، وأن يجمع كلمة العرب على ما فيه عزتهم وكرامتهم متمنيًا لفخامتكم الصحة والتوفيق وللشعب التونسي الشقيق في ظل فخامتكم كل تقدم وازدهار»[(٢)].

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الزيارة السادسة:

بدعوى من الرئيس زين العابدين بن علي قام صاحب الرئيس الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد، ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني بزيارة رسمية إلى تونس من يوم الثلاثاء الثالث من رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٢ أكتوبر ١٩٩٩م، إلى يوم الأربعاء الرابع من رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٩٩٩م[١].

وكان في استقبال سموه في مطار قرطاج الدولي الرئيس التونسي. وبعد أن قاما بتحية العلم صافح الأمير عبد الله بن عبد العزيز الشخصيات التي حضرت لاستقباله ومن ضمنها بالخصوص الوزير الأول، ورئيس مجلس النواب، والأمين العام للتجمع الدستوري الديمقراطي، ومفتي الجمهورية وأعضاء الحكومة، وسفير السعودية بتونس، كما صافح الرئيس التونسي أعضاء الوفد السعودي وعلى رأسهم سعود الفيصل وزير الخارجية، والدكتور إبراهيم عساف وزير المالية والاقتصاد[٢].

وقد اتجه سموه مع فخامة الرئيس إلى قصر الضيافة حيث مقر إقامة سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وقد أقام الرئيس زين العابدين بن علي مساء الثلاثاء مأدبة على شرف صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وفي العهد السعودي والوفد المرافق له، وقد جرت محادثات بين الجانبين، خاصة فيما يتعلق بمسيرة العلاقات الأخوية القائمة بين تونس والمملكة، وتكثيف التبادل بين البلدين بما يخدم المصالح المشتركة ويستجيب لآمال وتطلعات الشعبين الشقيقين، وقد عبر الرئيس التونسي عن الأهمية التي توليها تونس لمزيد الارتقاء بعلاقاتها مع المملكة العربية السعودية إلى أعلى المستويات مبرزًا

---

(١) جريدة الصباح التونسية: العدد ١٦٣٦١ (تونس، صحيفة يومية، ٢ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٢ أكتوبر ١٩٩٩م) ص١.

(٢) جريدة الصباح التونسية: العدد ١٦٣٦٣ (تونس، صحيفة يومية، ٤ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٩٩م) ص٤

ما يشهده الاستثمار السعودي في تونس من تطور، وأثنى على ما يلقاه التونسيون بالمملكة من معاملة طيبة، ورعاية كريمة. كما تناولت المحادثات إلى مسيرة السلام في الشرق الأوسط، وأكدا الجانبان على ضرورة تمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، واسترجاع سوريا ولبنان لأراضيهما المحتلة(١).

ومن جديد قدم الرئيس التونسي- زين العابدين بن علي عبارات الترحيب بضيفه المبجل صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد في بلده الثاني تونس، وأعرب عن مشاعر ارتياحه لاستعادة أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لعافيته وتهانيه له بعودته سالمًا إلى أرض المملكة، متمنيًا له دوام الصحة والهناء بمشيئة الله ورعايته(٢).

كما أجريت محادثات للمرة الثانية في اليوم التالي ــ الأربعاء ــ حيث توجه فخامة الرئيس بن علي إلى قصر- الضيافة، مقر إقامة ولي العهد، حيث كان هذا اللقاء مناسبة للتطرق إلى مجمل المسائل ذات الاهتمام المشترك ثنائيًا وإقليميًا ودوليًا، كما تركزت المحادثات بالخصوص على آفاق الدعم الثنائي في ضوء هذه الزيارة الهامة، كما كانت مناسبة لإجراء استعراض عام للقضايا الراهنة على الصعيدين العربي والدولي(٣).

وقد قام صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز يصحبه رئيس الدولة بن علي إلى منطقة بحيرة تونس الشمالية، حيث تعرف سموه على هذا المشروع من خلال عرض الصور والمجسمات التي أنجزت على مستوى التصهير والتهيئة بالتعاون مع مؤسسة دلة

---

(١) جريدة الصباح التونسية: العدد ١٦٣٦١(تونس، صحيفة يومية، ٢رجب١٤٢٠هـ الموافق ١٢أكتوبر ١٩٩٩م)، ص٤.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

البركة السعودية[١].

وبعد ذلك توجه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز إلى مطار قرطاج الدولي حيث ودع سموه رئيس الدولة بن علي ووزيره الأول ورئيس مجلس النواب، ومفتي الجمهورية، وأعضاء الحكومة، وقد بعث ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز برقية إلى الرئيس بن علي على أثر مغادرته البلاد التونسية هذا نصها:

«لقد سعدنا بوجودنا في ربوع بلدنا الثاني تونس الشقيقة وبين أهل وأخوان أعزاء لهم في قلوبنا أصدق المحبة والود والاعتزاز ولا عجب منهم إخواننا في الدين والدم واللسان وقبل ذلك وبعده شركاؤنا في الهدف والمصير والمصالح المشتركة. ونصدقكم القول يا فخامة الرئيس إننا في غاية السرور لما رأيناه في تونس من نماء ورخاء ونهضة شاملة تدعو للفخر والاعتزاز وما هذا إلا نتاج لحيوية الشعب التونسي وعزيمته وصبره، ووعيه، ولحكمة القيادة الواعية المتبصرة التي قادت سفينة تونس بمهارة وحكمة حتى أوصلتها إلى بر الأمان وجعلتها واحة للأمن والرخاء والاستقرار. فلكم منا يا فخامة الأخ أسمى معاني الشكر والتقدير والامتنان على ما أحطتمونا به من حفاوة ورعاية وكرم ضيافة، وما هذا بمتصنع ولا طارئ على شعب تونس وقيادته بل هو طبع متأصل متجذر فيه. ونسأل المولى القدير أن ينعم على تونس العزيزة بالمزيد من الاستقرار والرخاء والنماء في ظل قيادتكم الحكيمة»[٢].

وقد تحدثت الصحافة التونسية عن هذه الزيارة، حيث نشر مقال في جريدة الصباح التونسية يتحدث عن العلاقات السعودية التونسية قائلًا:

«تأتي زيارة الأمير عبد الله بن عبد العزيز لتونس أولاً لتجدد التأكيد على ما يجمع بين

(١) جريدة الصباح التونسية: العدد ١٦٣٦١(تونس، صحيفة يومية، ٢رجب١٤٢٠هـ ١٢أكتوبر ١٩٩٩م) ص٤.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

البلدين تونس والمملكة رسميًا وشعبيًا يعد رصيدًا بحق للشعبين التونسي. والسعودي أن يفخر به، وثانيًا لتكون دفعًا جديدًا ونقلة نوعية لعلاقات ثنائية والارتقاء بها إلى الأفضل... إن العلاقات السعودية التونسية التي أثبتت على مر السنين صلابتها، لا شك أنه ستضاف إليها صفحة جديدة بزيارة الأمير عبد الله بن عبد العزيز وستفتح أمامها آفاقًا جديدة لتطوير التعاون الاقتصادي لما فيه خير الشعبين الشقيقين»[١].

زيارة الساسة التونسيين إلى المملكة العربية السعودية:

الزيارة الأولى:

قام فخامة الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية بزيارة رسمية إلى المملكة العربية السعودية بدعوى من جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز في الفترة ما بين ٢١ شوال ١٣٨٤ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٦٥م إلى ٢٦ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٦٥م[٢].

وقد وصل في ظهر يوم الاثنين صاحب الفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة إلى مطار جدة وكان في استقباله جلالة الملك فيصل، حيث تعانق الزعيمان وتبادلا عبارات المودة والأخاء، ومن ثم قدم فخامة الرئيس مرافقيه لجلالة الملك، كما قدم جلالته إلى فخامة الرئيس أصحاب السمو الأمراء الذين كانوا في استقبال فخامته[٣].

ثم اتجه الزعيمان إلى قاعة الاستقبال في المطار حيث ارتجل جلالته كلمة ترحيبية لضيفه قال فيها:

---

(١) جريدة الصباح التونسية: العدد ١٦٣٦٢ (تونس، صحيفة يومية، ٣ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٩٩٩م) ص١.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢٠٦١ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٣ ذو القعدة ١٣٨٤هـ الموافق ٥ مارس ١٩٦٥م) ص١.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢٠٦٠ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٦٥م) ص١.

«فخامة الرئيس أرحب بكم في موطن العرب والإسلام، فإنني إذ أرحب بفخامتكم فإنما أرحب ببطل من أبطال العروبة والإسلام، وقف حياته للدفاع عن موطنه وأمته، ولمناصرة الإسلام والعروبة في مواطنها الأصلية، فخامة الرئيس فليس في إمكاني في هذه اللحظة أن أعدد مواقفكم الشريفة للدفاع عن العروبة والإسلام، وإنما يكفي أن أقرر في هذه اللحظة أن تونس العربية الإسلامية أصبحت الآن تفاوض فرنسا مفاوضة الند للند وبمستوى لا يقل عن مستوى فرنسا، وأي دولة من دول العالم، أيها الأخ الكريم نرحب بك في بلدك وبين أخوتك وأهلك فإننا إذ نرحب بك فإنما نرحب بمواطن لا يقل عن أي مواطن في دفاع عن نصرة الإسلام والمسلمين والعروبة فأهلاً وسهلاً وعلى الرحب في بلادك وبين أخوتك وفي بيتك، وأرجو أن تقضي في هذه البلاد أيامًا سعيدة تتطلع فيها على ما يكنه هذا الشعب لك من احترام ومن تبجيل ومن إكرام ومعزة، سائلاً المولى العزيز أن يهبك الصحة والقوة لتستمر في كفاحك ولتشبك يديك مع أيدي أخوتك الزعماء العرب في نصرة الإسلام والعروبة إن الله على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١).

ثم وقف فخامة الضيف الكبير فرد على جلالة الملك فيصل بكلمة شكر قال فيها:

«حضرة صاحب الجلالة أشكركم جزيل الشكر على ما أبديتموه من عواطف كريمة أخوية إني وافد إليكم حاملاً معي تحيات وسلام الشعب التونسي العربي المسلم لشعب المملكة العربية السعودية وللأراضي المقدسة التي نكن نحوها حنينًا وأي حنين، جئت لأبلغكم سلام وتحية الشعب التونسي، جئت لأزور ملكًا عظيمًا نهض بشعبه وهو سائر به نحو سبل التقدم والرقي حتى نلتحق بالشعوب المتقدمة، ويكون بحق في عداد من يصدق عليهم قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم جئت في الوقت نفسه حاملاً مشاعر العرفان والاعتراف بالجميل لما وجدته في جلالة الملك وفي كل الأسرة المالكة في هذه البلاد، وللشعب السعودي بتمامه وكماله، أيام الكفاح، أي أيام زيارتي له داعيًا مجاهدًا مغتربًا في سبيل التعريف بقضية تونس ما وجدته في هذه الأرض الطيبة الطاهرة المقدسة من تأييد ومناصرة ومحبة لا تدخل تحت ؟؟؟ بهذا

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الشعور، وبهذه الإحساسات، إحساسات الأخوة الإسلامية العربية، وإحساسات العرفان، أريد أن أتقدم لكم يا صاحب الجلالة، ويا أيها الأخ الكريم، وللشعب السعودي بتمامه وكماله لأقول لكم إن شعب تونس لا ينسى الجميل، وهو يكن لكم من التقدير والاحترام والعرفان ما اللسان عاجز عن تأديته وأتمنى من الله عز وجل أن يعيننا على القيام بواجبنا نحوكم، وأن يسدد خطانا أجمعين، ويجعل التوفيق حليفنا في كل أعمالنا وكل جهدنا التي كلها ترمي إلى رفع مستوى هذه الأمة الإسلامية والعربية وإلى جعلها تتبوأ المكان اللائق بها بين صفوف الأمم المتقدمة الراقية الحرة بأتم معنى الكلمة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

وبعد الانتهاء من الكلمتين الترحيبتين، غادر الزعيمان بين مظاهر الحفاوة والترحيب المطار في سيارة مكشوفة وسط الهتاف والتصفيق، متجهين إلى قصر الضيافة المعد لإقامة فخامة الضيف، وقد حضرت خصيصًا إلى جدة الأميرة عفت حرم جلالة الملك فيصل قادمة من الرياض لاستقبال حرم فخامة الرئيس السيدة وسيلة بورقيبة[(٢)].

وفي المساء شرف فخامة الرئيس ومرافقيه مأدبة عشاء أقامها على شرفه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز، وقد رافق فخامته إلى القصر الملكي سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز، وقد دعي لحضور الحفل أصحاب السمو والأمراء السعوديين، وأصحاب الفضيلة العلماء، وأصحاب المعالي والوزراء، وقادة وضباط الجيش والأمن العام، والحرس الوطني السعودي، وقد تخللت المأدبة محادثات ودية بين الزعيمين عبرت عن روح التفاهم العميق، وعن الروابط المتينة التي تجمع بين الشعبين الشقيقين، ثم ودع جلالة الملك فيصل ضيفه الرئيس بورقيبة حيث توجه فخامته إلى قصر الضيافة[(٣)].

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) كتابة الدولة للأخبار والإرشاد: الرحلة المظفرة: ٥٠ يومًا عبر الشرق الأوسط وجنوب شرقي أوربا، (ب. ط، تونس، ب. ن، ١٩٦٦)، ص٤٣.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢٠٦٠ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٦٥م) ص٢.

وفي صباح الثلاثاء توجه فخامة الرئيس بزيارة لمدرسة الثغر النموذجية بجدة برفقة الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز رئيس بعثة الشرف، وكان في استقبال فخامته عند مدخل المدرسة مدير المدرسة وأعضاء هيئة التدريس، وقد أدت التحية لفخامته ثلة من حرس الشرف، وقد توجه إلى المعسكر الكشفي حيث عزفت فرقة موسيقى المدرسة السلامين الوطنيين التونسي والسعودي، وبعد ذلك استعرض فخامته أوجه النشاط الرياضي مبديًا إعجابه بالروح الرياضية التي تحلى بها الطلبة، ثم بعد ذلك توجه إلى مباني المدرسة لاستعراض مختلف أوجه النشاط الثقافي حيث شاهد خلال ذلك عملية إلقاء الدروس على الطلبة في المرحلة الأولى ثم زار فرقة الأشغال التي حوت على أعمال فنية وقسم المدرسة الداخلي، وشاهد عدد من الصحف التي يحررونها الطلبة، فأبدى إعجابه بما حوته من مقالات وبحوث أدبية عن نهضة تونس بقيادة الحبيب بورقيبة(١).

وبعد الانتهاء من هذه الجولة اتجه فخامته إلى مسرح المدرسة حيث افتتح الحفل بالسلامين الوطنيين، ثم بكلمة مسجلة للملك فيصل عن دور العلم في بناء المجتمع، ورفع مستوى الأمة، وتنمية الشعور بالمسئولية، وأعقب ذلك كلمة ترحيب ألقاها أحد الطلبة المرحلة الابتدائية، تلاها كلمة قصيرة ترحيبية للأستاذ علي سعيد خلف مدرس اللغة العربية، فنشيد للأطفال أدته المجموعة، وأخيرًا ألقى مدير المدرسة الأستاذ محمد فدا كلمة ترحيبية بفخامة الرئيس، ثم ارتجل فخامته كلمة قيمة أعرب فيها عن سروره لما شاهده من أوجه النشاط الذي يبشر بمستقبل زاهر لهذه الأمة ثم حيا أسرة المدرسة متمنيًا للجميع مستقبلاً زاهرًا، وبين مظاهر الترحيب الحار غادر فخامته مقر المدرسة حيث قام بعدها بجولة في أرجاء مدينة جدة، ومشاهدة معالمها، وكان ركب فخامته يقابل خلالها

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

بالترحيب والهتاف بحياة الملك فيصل، وفخامة الضيف الرئيس بورقيبة(١).

وبعد مغرب يوم الثلاثاء أقام فخامة الرئيس بورقيبة في قصر الضيافة مأدبة عشاء على شرف جلالة الملك فيصل، حيث دعى إلى الحفل أصحاب السمو الملكي والأمراء وأصحاب الفضيلة والمعالي العلماء والوزراء وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي، وعدد من كبار المسئولين المدنيين والعسكريين ووجهاء بأعيان البلاد(٢).

بعد ظهر الأربعاء توجه فخامة الرئيس وأعضاء الوفد التونسي- جوًا إلى المدينة المنورة في زيارة للمسجد النبوي الشريف، وكان في استقباله في المطار سعادة وكيل أمير المدينة المنورة، وسعادة رئيس البلدية، وعدد من أصحاب الفضيلة العلماء والمسئولين المدنيين والعسكريين، وأفراد الجالية التونسية بالمدينة المنورة، وبعد أن توجه إلى صالة الاستراحة، حيث ألقى سعادة رئيس البلدية كلمة ترحيبية حيا فيها فخامة الرئيس، ورحب به في مدينة رسول الله ﷺ، ثم ألقى فخامته كلمة أعرب فيها عن مدى سروره وابتهاجه بزيارة مسجد الرسول عليه السلام، وبين مظاهر الترحيب غادر فخامته المطار متوجهًا إلى قصر- الضيافة المعد لإقامته، وقام الرئيس الضيف بأداء فريضة الظهر في المسجد النبوي الشريف، كما قام بزيارة المآثر الموجودة بالمدينة المنورة، كما شرف فخامته مأدبة العشاء التي أقامها وكيل إمارة المدينة المنورة على شرفه، حيث دعى إليها عدد كبير من العلماء الكبار وموظفي المدينة المنورة مدنيين وعسكريين ووجهاء البلاد، وغادر فخامته المدينة المنورة ضحى يوم الخميس متجهًا إلى جدة(٣).

ثم توجه فخامة الرئيس من جدة إلى العاصمة المقدسة لأداء نسك العمرة حيث كان

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢٠٦٠ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٦٥م)، ص٢.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

في استقباله عند مدخل مكة المكرمة أميرها مشعل بن عبد العزيز، وسعادة الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى، وسعادة أمين العاصمة، والعقيد علي بن زين العابدين قائد حامية مكة المكرمة، والزعيم عبد الهادي عبد الغني مدير شرطة العاصمة، وعدد كبير من العلماء وأعضاء مجلس الشورى، ورؤساء الدوائر الحكومية وأعيان البلاد وشخصياتها البارزة، وقد أطلقت حامية مكة إحدى وعشرين طلقة تحية بمقدم فخامته، وبعد أن أدى السيد الرئيس مناسك العمرة توجه إلى قصر الضيافة المعد لإقامته، وفي مساء يوم الخميس أقام أمير منطقة مكة المكرمة حفل عشاء في قصر الإمارة على شرف فخامة الرئيس وقد دعي إلى الحفل عدد كبير من المسئولين ووجهاء وأعيان البلاد مدنيين وعسكريين(١).

وفي اليوم التالي أدى فخامة الرئيس صلاة الجمعة في المسجد الحرام، وبعد ذلك قام فخامته بزيارة إلى المشاعر المقدسة والاطلاع على معالم النهضة في مكة المكرمة، وقام فخامته في مساء ذلك اليوم بحضور مأدبة الشاي الكبرى التي أقامتها رابطة العالم الإسلامي، وقد ألقى الأستاذ أحمد صالح قزاز وكيل الأمين كلمة ترحيبية، رحب فيها بالضيف باسم أمين الرابطة وأعضائها مشيرًا إلى نضال الضيف وكفاحه لتخليص تونس من نير العبودية ولرفع راية الإسلام كما أشار إلى الحالة التي وصل إليها الإسلام والدور الكبير الملقى على عاتق قادة المسلمين وزعمائهم، وبعد أن تلا نصوصًا من ميثاق الرابطة توجه بالحديث إلى الضيف الكبير يطلب إليه كزعيم من زعماء العالم الإسلامي جمع الكلمة، ثم اعتلى الضيف منصة الميكروفون فعبر عن امتنانه وشكره، وعن إحساسه العظيم بمسئولية الدعوة إلى الإسلام، هذا الإحساس الذي استدعته روحانية الأماكن المقدسة، ثم تحدث عن الإسلام في تونس الشقيقة فأبدى دراية كبيرة عن بدء انتشار

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الـدعوة الإسـلامية في القـيروان بتـونس ثـم انتشـارها في القطـر كلـه، وفي القـارة الأفريقيـة وجنوب أوروبا، هذا وقد تقدمت الرابطة بهدية كريمة لضيفها عبارة عن نسخة مـن القـرآن الكريم، وأضفت عليه لقب صاحب الجلالة، وقد ختم زيارته بمكـة بأدائـه لطـواف الـوداع ثم اتجه إلى مدينة جدة(١).

وفي مساء يوم الجمعة أقامـت السـفارة التونسـية بجـدة مأدبـة عشـاء تكـريمًا للـزعيمين الملك فيصل بن عبد العزيز وصاحب الفخامة الرئيس الحبيب بورقيبـة وقـد دعـي للحفـل الأمراء والعلماء والوزراء وأعضاء السلك الدبلوماسي وكبار المسئولين(٢).

وفي الساعة الرابعة صباحًا مـن يـوم السـبت غـادر صـاحب الفخامـة الـرئيس الحبيـب بورقيبـة رئـيس الجمهوريـة التونسـية بعـد انتهـاء الزيـارة الرسـمية للمملكـة وكـان في وداع فخامته في مطار جدة جلالة الملك فيصل بـن عبـد العزيـز، وعـلى أثـر مغادرتـه الـبلاد بعـث الرئيس التونسي برقية إلى جلالة الملك فيصل قال فيها:

«صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكـة العربيـة السـعودية يسرني في هذه اللحظة وأنـا أغـادر أراضي المملكـة العربيـة السـعودية المقدسـة أن أبعـث لجلالتكم بأسمى عبارات الشكر والتقـدير عـلى الحفـاوة التـي وجـدناها لـديكم ولـدى الشـعب الشـقيق أرجـو لكـم دوام الصـحة والهنـاء وللشـعب السـعودي دوام التقـدم والازدهار».

وقد بعث جلالته برقية ردًا على برقية الرئيس التونسي قال فيها:

«صـاحب الفخامـة الأخ الـرئيس الحبيـب بورقيبـة رئـيس الجمهوريـة التونسـية، تلقيـت بسرور بالغ برقية فخامتكم عنـد مغـادرتكم أراضي المملكـة العربيـة السـعودية وإننـي إذ

---

(١) جريـدة أم القـرى: العـدد ٢٠٦١، (مكـة المكرمـة، مطبعـة الحكومـة، ٣ ذو القعـدة ١٣٨٤هـ الموافق ٥ مارس ١٩٦٥م) ص١.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

أعبر لفخامتكم عن أعمق الشكر والامتنان لما أتاحته زيارتكم القصيرة لبلدكم الثاني ولإخوان لكم هنا يكنون لكم كل تقدير وإجلال، أرجو لفخامتكم رحلة سعيدة موفقة متمنيًا لكم الصحة والسعادة وللشعب التونسي الشقيق العزة والسؤد»(١).

وقد صدر يوم الجمعة ٣ ذو القعدة ١٣٨٤هـ الموافق ٥ مارس ١٩٦٥م البيان المشترك عن الزيارة التي قام بها الرئيس التونسي وهذا نصها:

«دارت بين فخامة الرئيس وجلالة الملك أحاديث سادتها روح الود والإخاء، تناولت الأحاديث العالمية بصورة عامة والقضايا التي تجابه العالم الإسلامي والعربي والتي تهم البلدين بصورة خاصة، وقد تلاقت وجهات النظر في جميع الأمور التي كانت مدار البحث واتفقا على عقد اتفاقية صداقة وتعاون، واتفاقية اقتصادية بين البلدين، وتنظيم التعاون في شؤون الإعلام والزراعة والصحة والتعليم.

وقد أكدا تمسكهما لتنفيذ قرارات مؤتمري القمة العربيين بشأن استرداد عرب فلسطين حقهم المشروع في وطنهم السليب والوقوف بجانبهم حتى تتحقق هذه الغاية، كما أكدا إيمانهما بأن التضامن العربي هو ضرورة حتمية للوقوف ضد قوى الاستعمار التي لا تزال تسيطر على بعض المناطق العربية والأفريقية»(٢).

الزيارة الثانية:

كانت الزيارة الثانية لفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة للمملكة العربية السعودية للمشاركة في تشييع جنازة الملك فيصل رحمه الله، بعد أن استشهد في يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥ مارس ١٩٧٥م(٣).

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢٠٦١،(مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٣ ذوالقعدة ١٣٨٤هـ الموافق ٥مارس١٩٦٥م)، ص١.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) عبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسم السعودية، (ط١، ب. م، ب. ن، ١٩٩٩م)، جـ١، ص٢٢٨.

وقد أدلى فخامة الرئيس التونسي بتصريح لوسائل الإعلام السعودية والتونسية علق فيها على الفجيعة التي أصابت العالم العربي والإسلامي بوفاة صاحب الجلالة الملك فيصل فقال:

«لقد تألمت لوفاة أخ كريم تربطني معه صداقة منذ ثلاثين عامًا، وقد اجتمعت بجلالته رحمه الله في أمريكا، وزرت والده المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله قبل ثمانية وأربعين عامًا، والحقيقة أن وفاته رحمه الله سيحدث فراغًا في العالم الإسلامي، وما أحوجنا إلى جهوده المخلصة رحه الله في سبيل قضايانا العادلة، والذي نود أن نقوله كمسلمين أن يجعل البركة في خلفه لكي يكون خير خلف لخير سلف، وأن يجبر أهله وذويه وشعبه والعالم الإسلامي، لقد كانت أفضاله رحمه الله على كل المسلمين وأدعو الله أن يحقق أمنيته رحمه الله على يد سلفه في المسجد الأقصى»[1].

وعن مشاركته في جنازة الملك فيصل رحمه الله قال:

«لقد قررت أن أحضر بنفسي موكب تشييع جنازة أخي ورفيقي في الكفاح فيصل بن عبد العزيز الذي فقدناه في الوقت الذي كان يقوم فيه بأعباء مسئولياته في ظرف دقيق، لقد كان جلالته يرحمه الله دومًا في إعانتي أثناء كفاحي من أجل القضية التونسية، وكان أكبر مؤيدي القضية الفلسطينية ولذلك فإن موته يعتبر خسارة مُني بها العالم الإسلامي والعربي، وكان رحمه الله يؤيد دومًا القضايا العادلة ويساهم بماله في كل مشروع لإقامة مساجد يذكر فيها اسم الله في أوروبا وآسيا وفي أفريقيا، وفي القيام بشؤونها، أضيف إلى ذلك ما قام به في الداخل طوال عشر سنوات مدة حكمه في مجال العمران والتربية والنهضة الاقتصادية الشاملة التي تقوم على أساس الدين وأن تقديري ووفائي لهذا الرجل العظيم حملاني على المجازفة رغم حالتي الصحية لأقوم بواجبي نحوه وقد قمت به على الوجه الأكمل»[2].

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٢٥٧١ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ الموافق ١٥ مارس ١٩٧٥م) ص٩.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وعن لقائه بالملك خالد بن عبد العزيز قال فخامته:

«لقد اجتمعت بجلالة الملك خالد بن عبد العزيز وتمنيت له التوفيق وأن يحقق الله الأمنية التي عبر عنها الراحل وهي استرجاع القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين من أيدي مغتصبيها»(١).

الزيارة الثالثة:

بناء على دعوة موجهة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قام فخامة الرئيس زين العابدين بن علي بزيارة رسمية إلى المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء ٢٠ رجب ١٤٠٨هـ الموافق ٨ مارس ١٩٨٨م، وقد كان خادم الحرمين الشريفين في استقبال فخامة الرئيس التونسي لدى وصوله مطار الملك خالد الدولي بالرياض، كما كان في استقبال فخامته صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، وعند سلم الطائرة عانق خادم الحرمين الشريفين أخاه فخامة الرئيس التونسي، كما عانق فخامته صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وصافح فخامته معالي وزير المعارف ووزير التعليم العالي بالنيابة الدكتور عبد العزيز الخويطر، ومعالي أمين مدينة الرياض الأستاذ عبد الله العلي النعيم، كما صافح الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود الوفد الرسمي المرافق لفخامة الرئيس زين العابدين بن علي(٢).

بعد ذلك صحب خادم الحرمين الشريفين ضيفه إلى منصة الشرف حيث عزف السلامان الوطنيان للجمهورية التونسية والمملكة العربية السعودية، وبعد استراحة قصيرة في الصالون الرسمي في المطار صحب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٣٢٠٢ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٧ رجب ١٤٠٨هـ الموافق ١١ مارس ١٩٨٨م) ص٢.

ضيفه فخامة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي في موكب رسمي إلى المقر المعد لنزول فخامته(١).

ويضم الوفد الرسمي المرافق لفخامته الرئيس التونسي معالي وزير الشؤون الخارجية السيد محمود المستيري، ومعالي وزير الاقتصاد الوطني السيد صلاح الدين بن مبارك، ومعالي وزير التخطيط السيد محمد الغنوشي، ومعالي وزير الإعلام السيد عبد الوهاب عبد الله، ومعالي كاتب الدولة للرئاسة السيد عبد الله القلال، وسفير الجمهورية التونسية لدى المملكة العربية السعودية السيد قاسم بوسنينه، ومفتي الجمهورية التونسية السيد مختار السلاسي(٢).

وفي مساء الثلاثاء بدأت بالديوان الملكي بقصر اليمامة المباحثات السعودية التونسية برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وفخامة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، وقد أقام خادم الحرمين الشريفين مأدبة عشاء بقصر اليمامة في مساء اليوم نفسه تكريمًا لفخامة الرئيس التونسي والوفد المرافق له، وقد تبودلت خلال الحفل الهدايا التذكارية بين زعماء البلدين(٣).

وقد أدلى خادم الحرمين الشريفين بتصريح لوكالة الأنباء التونسية:

«لمن دواعي سروري أن أستقبل اليوم ولأول مرة أخي فخامة الرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية الشقيقة في بلده الثاني المملكة العربية السعودية، ويطيب لي وأنا أجدد اليوم ترحيب المملكة العربية السعودية حكومة وشعبًا بفخامته وبالأخوة أعضاء الوفد المرافق له أن أحيي من خلاله باسمنا حكومة وشعب

(١) جريدة أم القرى: العدد ٣٢٠٢ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٧ رجب ١٤٠٨هـ الموافق ١١ مارس ١٩٨٨م) ص٢.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الجمهورية التونسية الشقيقة التي تحظى اليوم بقيادته الرشيدة وحكمته المعهود في مسيرة الخير والنماء إن شاء الله، كما أني سعيد كل السعادة بهذا اللقاء الأخوي الذي يجمعنا على صعيد المحبة والخير لكل ما فيه صالح بلدينا وشعبينا وأمتنا الإسلامية والعربية لاسيما في مثل هذه الظروف الدقيقة التي تتطلب المزيد من لقاءات الأشقاء في الدول العربية وعلى كل المستويات، وإني أتطلع بأمل كبير إلى ما ستسفر عنه هذه الزيارة من دعم وتعزيز للروابط الأخوية والودية والمصالح المشتركة بين البلدين الشقيقين وبكل ما يخدم قضايا أمتنا العربية والإسلامية»(١).

كما أدلى فخامة الرئيس التونسي- زين العابدين بن علي كلمته إلى وكالة الأنباء السعودية:

«يسعدني وأنا أصل لأول مرة إلى المملكة العربية السعودية الشقيقة التي ميزها الله بكونها الأرض التي تحتل مكانة خاصة في قلب كل مسلم، أن أعبر عن عظيم سروري وعن سعادتي البالغة بلقاء أخي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود الذي أكن له كل مودة وتقدير، وإني لأتطلع أن تكون هذه الزيارة مناسبة طيبة لتبادل الرأي والتشاور حول مجمل القضايا والمسائل ذات الاهتمام المشترك بما يعزز علاقات التعاون المثمر البناء بين البلدين، وبما يعود على الأمتين العربية والإسلامية بالعزة والمنعة لاسيما في هذا الظرف الدقيق الذي تواجه فيه المنطقة العربية خاصة والإسلامية عامة تحديات خطيرة، وإني أغتنم هذه المناسبة لأشيد بالمجهودات الخيرة التي ما فتئ يبذلها خادم الحرمين الشريفين لنصرة القضايا العربية والإسلامية، وأن أتوجه له بجزيل الشكر ووافر الامتنان على دعوته الكريمة التي أتاحت لي هذه الفرصة اللطيفة لزيارة المملكة والالتقاء به»(٢).

وبعد عصر يوم الأربعاء غادر فخامة الرئيس بن علي الرياض متوجهًا إلى مدينة جدة

---

(١) جريدة أم القرى: العدد ٣٢٠٢،(مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٧ رجب ١٤٠٨هـ الموافق ١١مارس ١٩٨٨م)، ص٢.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٣٢٠٢،(مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٧ رجب ١٤٠٨هـ الموافق ١١مارس ١٩٨٨م)، ص٢.

في نطاق زيارته للمملكة، وقد كان في وداع فخامته خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود[١]، وقد أدلى فخامة الرئيس بن علي تصريحًا قبيل مغادرته الرياض قال فيه:

«أود أن أعبر عن وافر شكري وامتناني لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود الذي أتاح لي بدعوته الكريمة فرصة زيارة المملكة الشقيقة، وقد كانت مناسبة طيبة لنا لتبادل الرأي وتدارس عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك»[٢].

وقد وصل فخامة الرئيس التونسي والوفد المرافق له إلى جدة في الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الأربعاء قادمًا من الرياض لأداء مناسك العمرة، وكان في استقبال فخامته لدى وصوله مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة وعدد من كبار المسئولين من مدنيين وعسكريين، وقد أدى فخامة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي مساء الأربعاء مناسك العمرة، وكان في استقباله عند مدخل المسجد الحرام وكيل إمارة منطقة مكة المكرمة الأستاذ حمد العثاوي، ومدير شرطة العاصمة المقدسة اللواء هاشم نقاوي، ومدير شرطة الحرم اللواء عبد الله العوفي وعدد من المسئولين[٣].

(١) المصدر السابق، ص١.

(٢) المصدر السابق، ص٢.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثالث

الاتفاقيات السياسية بين السعودية وتونس

استجابة للروابط الأخوية الوثيقة التي تجمع بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية، والصلات الروحية العريقة التي تربط بين الشعبين، وحرصًا على مزيد من تعزيز هذه العلاقات وتفعيلها والارتقاء بها إلى مستوى الشراكة، وتجسيدًا للإرادة السياسية لكل من زعماء البلدين، تم التوقيع على ثلاث اتفاقيات سياسية في الفترة التي يشهدها البحث وهي كالآتي:

الاتفاقية الأولى(١)**:**

وكانت في عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، وهي عبارة عن معاهدة صداقة وتعاون بين المملكة العربية السعودية وبين الجمهورية التونسية(٢)، وتم التوقيع في مقر كتابة الدولة في الشؤون الخارجية التونسية بتونس، ووقع الاتفاقية من الجانب السعودي السيد عمر السقاف وكيل وزارة الخارجية السعودية الدائم ومن الجانب التونسي- محمود المستيري الأمين العام لكتابة الدولة للشؤون الخارجية، ويستمر العمل بهذه الاتفاقية مدة خمس سنوات وهي تتضمن توثيق التعاون بين البلدين في الميادين الاجتماعية والصحية والزراعية وتبادل الخبرات الفنية(٣).

وبمناسبة عقد هذه الاتفاقية عبر السيد عمر السقاف عن أمله في أن تكون هذه

---

(١) لم تحصل الباحثة عن مرفق لهذه الاتفاقية من مركز الوثائق والمحفوظات.

(٢) مركز الوثائق والمحفوظات: وثيقة رقم ١٨٧، الرياض، تاريخ ١٣٨٦/٢/٢٤هـ.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني، الملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية عام ١٩٦٦م، تونس.

الاتفاقية بداية طيبة لتعاون أفضل في سبيل دعم أواصر الصداقة وتقوية التعاون في كل مجالات الحياة بما يطور سعي الشعبين الشقيقين لحياة أفضل[١].

الاتفاقية الثانية:

قرر مجلس الوزراء السعودي بالموافقة على مشروع توقيع معاهدة صداقة وتعاون مع جمهورية التونسية وذلك بعد انقضاء المدة للمعاهدة السابقة، وكان ذلك في عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م[٢].

احتوت هذه الاتفاقية على ثمانية مواد، ركزت المادة الثانية على الجانب السياسي منها، وهي: «أن يتشاور الطرفان لتنسيق سياستهما الدولية بما يتماشى مع روح ميثاق جامعة الدول العربية، وميثاق الأمم المتحدة ويكفل استقرار الأمن ودوام السلم وتحقيق العدالة والحرية»[٣].

أما بقية المواد فقد أكدت حرص البلدين على التعاون في جميع الميادين سواء كانت الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية، وتبادل الخبرات العلمية، والفنية وجاء في المادة السابعة الاستمرار بالعمل بهذه المعاهدة لمدة خمس سنوات تتجدد سنويًا بصفة تلقائية، ما لم يشعر أحد الطرفين الطرف الآخر برغبته كتابيًا بإنهاء العمل[٤].

الاتفاقية الثالثة:

تعتبر هذه الاتفاقية عبارة عن مشروع مذكرة تفاهم بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية لإنشاء لجنة متابعة وتشاور سياسي، وقد وقعت هذه الاتفاقية في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مركز الوثائق والمحفوظات، وثيقة رقم ٣٣٢، الرياض، تاريخ ١٣٩١/٥/١٣هـ.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس التونسي زين العابدين بن علي، وحررت هذه الاتفاقية في مدينة الرياض بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢٤/ ١/ ٢٠٠٤م[١].

قرر الجانبان السعودي والتونسي في هذه الاتفاقية إنشاء لجنة متابعة وتشاور سياسي على مستوى وزيري خارجية البلدين، كما أشارت المادة الثانية على أن يعقد الطرفان اجتماعًا سنويًا كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وتعقد الاجتماعات في عاصمتي البلدين، وأكدت المادة الرابعة على أن يعمل الطرفان على تعزيز أوجه التعاون والتشاور السياسي وتنسيق المواقف في المحافل العربية والدولية[٢].

وقد وقع هذه الاتفاقية من الجانب السعودي وزير الخارجية سمو الأمير سعود الفيصل، وعن الجانب التونسي وزير الشؤون الخارجية الحبيب بن يحيى[٣].

(١) مركز الوثائق والمحفوظات، وثيقة رقم ٣٥، الرياض، تاريخ ١٤٢٤/١٢/٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الفَصْلُ الثَّانِي

موقف الدولتين السعودية والتونسية من القضايا العربية والإسلامية والعالمية

وأثر تلك المواقف على العلاقات بين البلدين

وفيه:

المبحث الأول: المساعي السعودية التونسية من خلال الجامعة العربية لتحقيق الوفاق العربي، وأثره على العلاقات بينهما.

المبحث الثاني: المساعي السعودية التونسية لتحقيق التضامن الإسلامي وأثره في العلاقات بين البلدين.

المبحث الثالث: موقف الدولتين السعودية والتونسية من القضايا العالمية.

المبحث الأول

المساعي السعودية التونسية من خلال الجامعة العربية لتحقيق الوفاق العربي وأثره على العلاقات بينهما

عقب الحرب العالمية الثانية هبت على الوطن العربي تيارات عاصفة ومدمرة منها تيارات التقسيم والاستعمار والانتداب الأوروبي والاستطيان الصهيوني، وكلها أخطار هددت الوجود العربي وكيانه، مما دعت الحاجة إلى وجود صيغة مشتركة تجمع الدول العربية لتعزيز الروابط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، فكان ميلاد الجامعة العربية في عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م[(١)].

وفي ٨ من ربيع الآخر ١٣٦٤هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٤٥م، احتفل في قصر الزعفران بالقاهرة، بمناسبة توقيع ميثاق جامعة الدول العربية من قبل سبع دول عربية مستقلة، كانت المملكة العربية السعودية أحد هذه الدول المؤسسة للجامعة، وقد انضمت الجمهورية التونسية لهذه المنظمة العربية بعد إعلان استقلالها وتحديدًا في ١٧/ ٣/ ١٣٧٨هـ الموافق ١/ ١٠/ ١٩٥٨م[(٢)].

وكما أشرنا سابقًا أن مؤتمرات القمم العربية انعقدت لمواجهة الأحداث الجسام التي مرت بها البلاد العربية ولمناقشة قضاياها الساخنة، ومن هذه القضايا القضية اللبنانية وقضية حرب الخليج الثانية.

---

(١) مجلة الدبلوماسي، العدد ١٢، (معهد الدراسات الدبلوماسية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص٨٣.

(٢) عبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسم السعودية، جـ٢، ص٨٠٤، ٨٨٨.

أولاً: القضية اللبنانية:

كانت بداية شرارة الأزمة اللبنانية في عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، عندما تشابكت التيارات اللبنانية فيما بينها لتشتعل حرب أهلية في لبنان لحوالي عقد ونصف من الزمن، ولم تقف الأزمة عند هذا الحد، ولكن تعدتها لتتشابك مع بعض التيارات الفلسطينية(١)، مما قاد هذا الوضع إلى توسيع نطاق التدخلات الأجنبية، حيث مهدت الطريق لغزو إسرائيلي للبنان في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ومن ثم إنزال الجيش الأمريكي الذي جاء بحجة الإنقاذ وفرض السلام، ولكنه فشل في مهمته حتى أنه لم يستطع حماية نفسه، مما اضطره إلى الانسحاب العاجل(٢).

وقد أثرت هذه الأوضاع الرهيبة والمؤسفة على الاقتصاد اللبناني، مما جعل الحياة المدنية في لبنان في خطر متصاعد، فقد فتك الحصار الغذائي بالسكان والمقاتلين، وأصبح الوضع كما وصفه أحد الكتاب «كان الحصول فيها على كوب من الماء يكلف إنسانًا، وكانت قطرة الماء تكلف مئة قطرة من الدم»(٣).

وأمام هذه الأحداث الدامية رأت المملكة العربية السعودية وجمهورية تونس أهمية الوقوف بجانب بلد عربي شقيق، وتعاونتا في بذل الجهود والآراء لوقف نزيف الدم اللبناني والعربي على السواء، فقد أصدرت وزارة الخارجية التونسية بيانًا بتوجيهات من الرئيس الحبيب بورقيبة قالت فيه:

> «إن تونس تتابع بحزن شديد وقلق بالغ أنباء الاقتتال الذي يدور في لبنان بين الأشقاء وما يتعرض له أبناء المخيمات الفلسطينية... إن الخلافات بين الأشقاء مهما كانت لا

---

(١) عبد العزيز حسين الصويخ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، (ط١، الرياض، أوراق للنشر والأبحاث، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م) ص١٥٠.

(٢) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية (ط١، الرياض، مطابع الفرزدق، د.ت) ص٢٨٤.

(٣) محمد عنان: السعودية وهموم العرب (د.ط، بيروت، المكتب العالمي للنشر، د.ت) ص١٦٩.

يجوز أن تدفعهم إلى التقاتل بينما العدو المشترك جاثم على أرضهم آمنًا، شامتًا، قرير العين، وكان الأحرى أن يتجه جهدهم المهدر في الفتنة بينهم إلى التناصر والنضال لاسترداد الأرض السليبة والحق المغتصب، إن إيقاف التقاتل أصبح ضرورة ملحة وعاجلة، وتونس تهيب بأصحاب النوايا الطيبة من القوى المؤثرة أن تسارع إلى عمل يحقن الدماء، وينهي الفتنة، ويعيد إلى علاقات الأشقاء هناك الصفاء والوئام»(١).

كما أكد الرئيس التونسي في هذا البيان على استعداد بلاده المشاركة مع الأشقاء العرب في أي جهد خير يبذل في هذا السبيل آملاً أن يتغلب الرشد ويسود التعقل وتتجه البنادق إلى الهدف المشترك(٢).

ويتفق مع هذا الرأي ما قاله صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز:

«إن الوضع اللبناني يشكل إحدى نقاط الضعف الرئيسية في الموقف العربي؛ فقوة لبنان، قوة العرب، وضعف لبنان ضعف العرب، والاقتتال الدائر على أرض لبنان اليوم بين أبناء الشعب الواحد، وما ينتج عنه من دمار وخراب وسفك لدماء الأبرياء أمر يحز في النفوس، ويبعث على الحزن والأسى. إن استرداد لبنان لعافيته أصبح أمرًا ضروريًا للغاية وعلى قائمة أولوياتنا»(٣).

ولم يتوقف الموقف السعودي والتونسي عند هذا الحد، فمن الجانب السعودي قام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بدعوة عقد مؤتمر في العاصمة السعودية عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م لمناقشة الأوضاع المتردية في لبنان، وقد خرج المؤتمر بعدة قرارات أهمها: وقف إطلاق النار، وتعزيز قوات الأمن العربية في لبنان، ورفض تقسيم لبنان تحت أي ظروف،

(١) مركز التوثيق القومي الوطني، بيان لوزارة الشؤون الخارجية التونسية، الملف الخاص بتونس والجامعة العربية، ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فهد المالكي: العلاقات السعودية الجزائرية من عام ١٣٨٢ـ ١٤٢٦هـ/ ١٩٦٢ـ ٢٠٠٥م، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢١٥، ٢١٦.

والإشراف على سحب المسلحين إلى الأماكن التي كانوا فيها وسحب الأسلحة الثقيلة، وإعادة الحياة الطبيعية إلى لبنان[1]، ولكن هذه الإجراءات لم تؤد إلى النتيجة المرجوة منها واستمر العنف والقتل في لبنان حتى اجتاحت إسرائيل الأراضي اللبنانية سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، فتدخلت الدبلوماسية السعودية لدى الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، حتى إن العلاقات بين البلدين وصلت إلى مرحلة التوتر وأعلن وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بأن عدم تدخل الولايات المتحدة لوقف العدوان الإسرائيلي سيؤثر على العلاقات بينهما، ولن تقف المملكة مكتوفة الأيدي أمام هذا العدوان الصهيوني، فقد دعت إلى عقد لجنة سداسية في الطائف وجدة عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م للخروج بالأزمة اللبنانية من هذا المنزلق، وقد أسفرت هذه المحادثات موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على الخروج من بيروت مع اتخاذ الحكومة اللبنانية كل الإجراءات الكفيلة بضمان أمن سكان بيروت وضواحيها بما فيها المخيمات الفلسيطينية[2].

أما عن الجانب التونسي فقد دعا الرئيس الحبيب بورقيبة لعقد قمة عربية في تونس عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م وذلك لبحث الأوضاع في الجنوب اللبناني، وقد اجتمعت إحدى وعشرين دولة عربية من بينها المملكة العربية السعودية، حيث شارك في هذا المؤتمر صاحب السمو الأمير فهد بن عبد العزيز، ثم خرج المؤتمرون بقرارات أهمها: التأكيد على سيادة لبنان على كامل أراضيه، ودعم الجهود اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية في التنسيق ومعالجة جميع المشاكل، ودعم تصدي الحكومة والشعب اللبناني للعدو الصهيوني وإدانته دوليًا، كما أدان المؤتمر سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الأمة العربية المنحازة

(١) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٣٨٤.

(٢) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص١٥١.

لإسرائيل وضرورة شرح القضية للرأي العام الأمريكي[١].

وقد دعا مؤتمر القمة العربي المنعقد في الدار البيضاء عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م إلى تشكيل لجنة ثلاثية مكونة من الملك فهد بن عبد العزيز والعاهل المغربي الحسن الثاني، والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، تكون لها كافة الصلاحيات لحل الأزمة اللبنانية[٢]، وقد قدمت تونس الدعم والتأييد لجهود هذه اللجنة، فقد صرح وزير الخارجية التونسي- عبد الحميد الشيخ في الأوساط الدولية قائلاً:

«إن على الشعب اللبناني أن يصرفوا جهودهم من أجل إنقاذ لبنان وذلك بالإذعان إلى منطق العقل والاستجابة لمساعي الوفاق والسلام التي تقوم بها اللجنة الثلاثية العربية والتي تلقى من تونس كل الدعم والتأييد في مساعيها للحفاظ على عروبة لبنان وضمان وحدته واستقلاله وسيادته على أراضيه»[٣].

ومما يؤكد على الموقف السعودي التونسي المشترك تجاه القضية اللبنانية هو ما جاء في البيان المشترك عقب زيارة الرئيس التونسي- زين العابدين بن علي للمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ومما جاء فيه:

«عبر الجانبان عن تعاطفهما مع لبنان الشقيق فيما يواجه من مشاكل وصعوبات وتأييدهما لسعيه في سبيل إعادة لحمته الوطنية وتحرير أرضه من إسرائيل واستعادة عافيته ليواصل إسهامه البشري في الحضارة العربية ونوها بما أظهره من صمود وفداء في كفاحه ضد الاحتلال الإسرائيلي بجنوبه المحتل»[٤].

---

(١) الأمين الكلاعي: القمم العربية، (مجلة الدراسات الدولية، العدد التاسع عشر، جويلية ١٩٨٦م) ص٤٨، ٤٩.

(٢) عبد العزيز الصويخ: الإسلام في سياسة الخارجية السعودية، ص١٥١.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني، الملف الخاص بتونس ومنظمة الأمم المتحدة.

(٤) البيان المشترك التونسي السعودي (مجلة الدراسات الدولية، العدد (٢٧)، أغسطس ١٩٨٨م)، ص١٤٢.

ثانيًا: حرب الخليج الثانية:

يعتبر الاجتياح العسكري العراقي للكويت أزمة سياسية وتراجعًا خطيرًا في العلاقات الدولية، وخاصة العلاقات العربية ـ العربية، وقد عاصرت هذه الأزمة كل من المملكة العربية السعودية، خاصة وأنها أحد دول المنطقة، والجمهورية التونسية كدولة عربية مسلمة شقيقة لكل من البلدين العراق والكويت.

وتعود مطالب العراق في الكويت إلى فترة زمنية سابقة حين لوح الرئيس العراقي السابق عبد الكريم قاسم بضم الكويت للعراق بعد أسبوع واحد من إعلان استقلال الكويت عن بريطانيا في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م[١].

وقد زعم الرئيس العراقي بأن الكويت هي عبارة عن ولاية تابعة للأراضي والسلطة العراقية مستندًا في هذا الزعم على حجج تاريخية تشير إلى أن الكويت تابعة إداريًا للسلطة في العراق أيام الدولة العثمانية، ولكن هذه المزاعم لم تكن لها أهمية تبرر الاجتياح العسكري للكويت، لأن هذه الحجج تنحصر في زمن حكم الدولة العثمانية التي سقطت في الحرب العالمية الأولى، ومنذ أن ظهرت العراق كدولة عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، لم يحدث أن دخلت الكويت مع العراق في أي شكل من أشكال الاتحاد[٢]، ومنذ أمد طويل والكويت يمارس استقلاليته ولعل الدليل على ذلك هو ما قام به الشيخ مبارك الصباح بتوقيع معاهدة حماية مع بريطانيا سنة ١٣٦١هـ/ ١٨٩٩م لحماية الكويت من أطماع الدولة

(١) مركز البحوث والدراسات الكويتية: الكويت وجودًا وحدودًا «الحقائق الموضوعية والإدعاءات العراقية»، (ط١، الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٤٧.

(٢) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي من بداية العصور الحديثة حتى أزمة ١٩٩٠- ١٩٩١م، (د.ط، د. م، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت)، ص٤٣٧.

العثمانية في تلك الفترة[١].

وفي التاريخ المعاصر عادت هذه المزاعم من جديد، ولكن في ظروف ومقتضيات سياسية مختلفة، فقد خرج العراق من حربه مع إيران التي استمرت ثمان سنوات منهكًا عسكريًا واقتصاديًا وعمرانيًا، ونادى الرئيس العراقي صدام حسين الدول العربية بصفة عامة، والدول الخليجية بصفة خاصة، أن تغدق على العراق المزيد من القروض والهبات نظير ما قدمته لها من الوقوف في وجه الخطر الإيراني[٢].

وبدأت الأزمة باتهام العراق لكل من الكويت والإمارات العربية المتحدة بخفض سعر البرميل النفطي من ١٨ دولار إلى ١١ دولار، مما يؤثر سلبًا على الاقتصاد العراقي الذي كان يأمل في رفع سعر النفط وخفض الإنتاج حتى يتمكن من تحقيق أرباح سريعة لسد العجز والديون المتراكمة عليه[٣].

ومن ثم أخذت الأحداث السياسية تتصاعد سلبًا من قبل النظام العراقي على الكويت بالتحديد، حيث اتهمها بالقيام بأعمال تنقيب في حقل الرملية الواقع في الجنوب العراقي، وهو حقل مشترك بين العراق والكويت، وسحب الأخيرة كميات كبيرة من النفط تقدر بـ٢٤٠٠ مليون دولار مما جعل الرئيس العراقي يعتبرها عملية سرقة من ثروات العراق الطبيعية وعلى الكويت دفع المبالغ فورًا، وقد ردت الكويت على هذه المزاعم أنها طالبت الحكومة العراقية في أكثر من مناسبة بترسيم الحدود، وطالبت بتكوين

---

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٤٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢٩.

(٣) وهيب عبد الفتاح الصوفي وآخرون: المملكة العربية السعودية وأزمة الخليج، (ط١، د.م، دار الساقي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص١٤٤.

لجنة من الدول العربية لتكون حكمًا في هذه القضية، ولكن قوبل طلبها بالرفض(١).

وقد حاولت زعامات عربية عديدة لتطويق الخلافات بين القطرين الشقيقين وقامت بدور الوساطات الدبلوماسية، ولكن كانت نتيجة هذه الجهود غير مثمرة، ولم تسفر على الأقل من تهدئة الأوضاع(٢).

حتى يوم الخميس ١١ محرم ١٤١١هـ الموافق ٢ أغسطس ١٩٩٠م، قامت القوات العراقية باجتياح دولة الكويت والإعلان بضم الكويت للعراق وتبعيتها له تبعية كاملة، مما آثار هذا التصرف استنكار غالبية الشعوب العربية والإسلامية، ومنها المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية، فقد كان للقادة السعوديين إسهامات في تعبئة الشعوب والدول الإسلامية نحو إدانة العراق، وبناء جبهة موحدة من عدة دول متحالفة لمواجهة خطر الغزو العراقي في المنطقة(٣)، وفي تصريح الملك فهد بن عبد العزيز وضحَّ فيه موقف السعودية من الغزو العراقي حيث قال:

> «... إن حاكم العراق صدام حسين أمعن في إصراره على رفض كل القرارات العربية والإسلامية العادلة، وقرارات مجلس الأمن التي تمثل الشرعية الدولية، وبالتالي عمل على إحباط كل الجهود المكثفة المتواصلة التي بذلها قادة وزعماء العالم من أجل إنقاذ الموقف، وتجنب المنطقة العربية ويلات الحرب التي أبى صدام حسين إلا أن يثيرها برفضه القاطع سحب قواته من دولة الكويت...»(٤).

أما عن الموقف التونسي فقد شاركت في المؤتمر الإسلامي التاسع عشر لوزراء

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٤٣.

(٢) ومن هذه الوساطات: وساطة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات، وما قامت به المملكة العربية السعودية بعقد اجتماع في جدة بين ولي العهد الكويتي سعد العبد الله، ونائب رئيس الجمهورية عزة إبراهيم ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل. انظر المرجع السابق، ص٤٢٦ـ ٤٣٣.

(٣) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص١٥٦.

(٤) عبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسيم السعودية، ج١، ص٤٦٣.

الخارجية، ونددت مع بقية الدول العربية والإسلامية بالعدوان العراقي على الكويت[١]، كما أصدرت وزارة الشؤون الخارجية التونسية يوم ١٨ محرم ١٤١١هـ/ ٩ أغسطس ١٩٩٠م بيانًا دعت فيه إلى: «حل الخلاف بين العراق والكويت بالطرق السلمية، وفق ميثاق جامعة الدول العربية، وحصر المساعي في نطاق الجامعة وسحب القوات العراقية لتيسير هذا الحل»[٢].

وعندما وصلت التقارير التي تؤكد على تمركز عدد كبير من الدبابات العراقية على الحدود السعودية أصبح لزامًا على الأخيرة القيام بعمل فعلي وتنفيذي وهو استدعاء قوات عربية صديقة وقوات أجنبية لمواجهة المد العراقي، وفي ذلك صرح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عن الموقف السعودي قائلاً:

«لقد أعقب هذا الحادث المؤسف إقدام النظام العراقي على حشد قوات كبيرة على الحدود المملكة العربية السعودية وأمام الموقف المرير وانطلاقًا من حرص المملكة على سلامة أراضيها وحماية مقوماتها الحيوية والاقتصادية، ورغبة منها في تعزيز قدراتها الدفاعية، ورفع مستوى التدريب في القوات المسلحة، وانطلاقًا من حرص حكومة المملكة على الجنوح إلى السلم وعدم اللجوء إلى القوة في حل الخلافات، أعربت المملكة العربية السعودية عن رغبتها في اشتراك قوات عربية شقيقة وأخرى صديقة فبادرت حكومة الولايات المتحدة، كما بادرت الحكومة البريطانية ودول أخرى، إلى إرسال قوات جوية وبرية لمساندة القوات المسلحة السعودية في أداء واجبها الدفاعي عن الوطن والمواطنين ضد أي اعتداء... مع التأكيد التام على أن هذا الإجراء ليس موجهًا ضد أحد وإنما هو لأغراض دفاعية محضة تفرضها الظروف الراهنة التي تواجهها المملكة العربية السعودية، وتجدر الإشارة إلى أن القوات التي ستشارك في التدريبات المشتركة بينها وبين القوات المسلحة السعودية سيكون وجودها مؤقتًا على

---

(١) عبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسيم السعودية، ج١، ص٤٥٧.

(٢) التهامي الهاني: تونس والعرب بين ضرورة المستقبل وواقعية المسار (د.ط، د.م، الأطلسية للنشر، د.ت) ص١٢٠.

أراضي المملكة وستغادرها عندما ترغب المملكة في ذلك»[١].

وقد دعت مصر لعقد مؤتمر قمة عربي طارئ في العاصمة المصرية لدراسة الموقف والتشاور فيه في ١٨ محرم ١٤١١هـ/ الموافق ٩ أغسطس ١٩٩٠م، وكشف هذا المؤتمر عن التناقضات في الصف العربي وظهور ثلاث اتجاهات تقاسمتها الدول العربية؛ الاتجاه الأول: عارض الاحتلال العراقي بشدة وتصدى له وطالب بالانسحاب الفوري دون قيد أو شرط، والاتجاه الثاني: أيد الاحتلال العراقي للكويت تحت دعاوى شتى وأغراض متباينة، والاتجاه الثالث: تردد بين التأييد والمعارضة، ففضل الغياب والصمت[٢]، وقد تبنت تونس هذا الاتجاه الأخير حيث رفضت استدعاء قوات أجنبية ونزولها في أراضي عربية للفصل بين دولتين عربيتين، وهذا ما صرح به الرئيس التونسي- زين العابدين بن علي في خطابه الشهير الذي ألقاه بخصوص موضوع غياب تونس عن مؤتمر القمة العربي حيث أوضح فيه قائلاً:

«... إن تونس شعبًا ودولة بحكم علاقاتها المتميزة بكل من العراق والكويت وسائر الأشقاء، وبحكم واجبها القومي والتاريخي لا تقبل تكريس الأمر الواقع والانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك، وتونس الساعية بكل جهودها إلى تقريب الشقة، وتحقيق التضامن العربي، لا تقبل أن تكرس الفرقة والانقسام، وتونس العربية المسلمة لا تقبل إعطاء شرعية وهمية للتدخل الأجنبي في قضايا الأمة مهما بلغت من حدة، لأنها تعتقد أن ذلك لا يخدم المصالح العربية ولا السلم والأمن في المنطقة بل يزيدها تعقيدًا، بتدويل القضية، ودفع الأطراف الأساسية فيها إلى مزيد من الإصرار والتشدد»[٣].

وبذلك نستنتج أن الموقف السياسي للبلدين تجاه قضية حرب الخليج الثانية تتلاقى في

---

(١) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص١٥٦.

(٢) وهيب الصوفي وآخرون: المملكة العربية السعودية وأزمة الخليج، ص٣٣٦.

(٣) التهامي الهاني: تونس والعرب، ص١٢٤- ١٢٥.

ما يتعلق بإدانة الغزو العراقي للكويت ومطالبته من سحب قواته منها، إلا أنها اختلفت في مسألة الاستعانة بالقوات الأجنبية؛ حيث إن تونس كانت تعتقد أن حظوظ إيجاد حل للأزمة في إطار عربي تظل قائمة بقدر ما هي ضرورية، ومن الممكن أن نفسر الموقف التونسي إذا عدنا إلى خلفية الجهاد التونسي أيام الاستعمار الفرنسي، فقد كان على الدوام يتخذ طابعًا دبلوماسيًا في أغلب الأحيان.

وعلى الرغم من البلاغ الذي أصدرته وزارة الخارجية التونسية بصدد وقف العمليات العسكرية وإعلان تحرير الكويت في يوم الخميس ١٤ شعبان ١٤١١هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٩١م، والمتضمن ما يلي:

«إن الحكومة التونسية التي عملت منذ اندلاع أزمة الخليج من أجل انسحاب العراق من الكويت وتفادي الحرب ونادت بعد اندلاعها بوضع حد للعمليات العسكرية التي استهدفت تدمير القدرات البشرية والمادية للشعب العراقي الشقيق، تعبر عن ارتياحها بتوقف المعارك ولاسترجاع الكويت الشقيق سيادته فوق أرضه وهو ما طالبت به تونس منذ اندلاع الأزمة»[(١)]

إلا أن العلاقات بين البلدين تأثرت سلبًا بشكل واضح نتيجة الموقف التونسي من الحرب، واستمرت في حالة جمود إلى عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، وهي السنة التي قام بها ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بزيارة رسمية إلى تونس، في محاولة سعودية لدفعة نوعية في العلاقات السعودية ـ التونسية[(٢)].

(١) المرجع السابق، ص٣١٢.

(٢) خطاب من السفير التونسي السابق لدى المملكة العربية السعودية عز الدين قرقني، أرسل للباحثة عن طريق الفاكس للتوضيح عن العلاقات السعودية التونسية في هذه الفترة.

المبحث الثاني

المساعي السعودية التونسية لتحقيق التضامن الإسلامي وأثر ذلك في العلاقات بين البلدين

قامت المملكة العربية السعودية وشقيقتها الجمهورية التونسية بدعم قضايا العالم الإسلامي في جميع المحافل السياسية، وخاصة من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي التي حصلت على دعم من كلا البلدين، إيمانًا من الدولتين بأهمية الباعث الديني الإسلامي في تقوية الصلات والروابط بين الشعوب العربية والإسلامية من ناحية، ومن ناحية أخرى رفع مستوى القوى الإسلامية في مواجهات العدو الصهيوني والدول الإمبريالية.

من ذلك جاءت مشاركات البلدين في القمم الإسلامية، وحتى نبرز موقف المملكة العربية السعودية وشقيقتها تونس من هذه المنظمة، تبدأ الدراسة باستعراض الموقف السعودي، ونبذة عن تأسيسها.

قام قادة المملكة العربية السعودية بدور بارز في دعم التضامن الإسلامي بين تلك الشعوب، ويعتبر الملك فيصل من أبرز القادة السعوديين الذي قدم جهود عملية لدعم وتحقيق تلك المسألة، فقد كانت خطاباته السياسية تلقى بحس إسلامي فهو الذي قال بخصوص القضية الفلسطينية:

> «... أيها الأخوة المسلمون، نريدها قضية إسلامية، ونهضة إسلامية، لا تدخلها قومية ولا عنصرية، ولا حزبية، إنما دعوة إسلامية، دعوة إلى الجهاد في سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعًا عن مقدساتنا وحرمتنا، وأرجو الله سبحانه وتعالى أنه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت شهيدًا في سبيل الله»(١).

---

(١) محمد عنان: السعودية وهموم العرب، ص١٠٠.

وقد ارتبطت نشأة منظمة المؤتمر الإسلامي باسم الملك فيصل الداعي إلى ضرورة قيام مثل تلك المنظمات، ففي مؤتمر رابطة العالم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في موسم الحج لعام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، اتخذ المؤتمر قرارًا بالدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي يضم الدول الإسلامية للبحث ومناقشة قضاياها، وكلف الملك فيصل بالدعوة إلى هذا المؤتمر، حيث قال: «إننا نؤيد الدعوة إلى مؤتمر قمة إسلامي ليكون في مقدور أعلى قمة إسلامية أن تبحث في قضايا المسلمين وتقرر أمورهم»(١).

ومن أجل دعم مسيرة التضامن الإسلامي قام جلالة الملك فيصل بزيارة لعدة دول إسلامية من أهمها: إيران، باكستان، تركيا، الأردن، السودان، المغرب، غينيا، مالي، وتونس، وقد قوبل جلالته من خلال لقائه بزعماء هذه الدول بالحفاوة والترحيب وأيضًا التأييد لما يدعو إليه(٢)، وقام جلالة الملك فيصل بتعريف مضمون الدعوة للتضامن الإسلامي وبيان إيجابياتها، وقد واجهت هذه الدعوة العديد من الاتهامات من معارضيها، وفي ذلك يقول الملك فيصل:

> «لقد وصفنا من بعض من ينتمون للإسلام بأننا نحاول إيجاد أحلاف أو ارتباطات أو علاقات مع غير المسلمين أو مع الدول التي هي ليست ذات ارتباط وثيق بنا ــ ما عدا الارتباطات الدولية المعروفة ـ فإنني أؤكد في هذا الموقف أننا لا نستهدف في ما نسعى إليه أي غرض أو مطمع سوى غرض واحد هو نصرة الإسلام ونصرة دين الله، والتقاء المسلمين وتفاهمهم به وتعاونهم فيما بينهم وفيما يصلح لدينهم ودنياهم»(٣).

ونتيجة للخلافات السياسية العربية التي حالت عن إمكانية قيام قمة إسلامية، مما

---

(١) مانع بن حماد الجهني: التضامن الإسلامي الفكرة والتاريخ ودور المملكة العربية السعودية، (ط١، د. م، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٧٨.

(٢) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٣١٢.

(٣) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص٨٢.

أدى إلى تعطيل هذه الدعوة حتى عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م[1]، حيث استجدت على الساحة العربية متغيرات دعمت فكرة انعقاد قمة إسلامية وضرورة انعقادها، ونقصد بهذه المتغيرات ما أقدمت عليه إسرائيل على يد عناصرها الصهيونية في إضرام حريق بالمسجد الأقصى مما أدى إلى إثارة مشاعر المسلمين بانتهاك وتدنيس أولى قبلتهم وثالث حرمهم، فاستوجب الرد على ذلك العمل المهين، باجتماع زعماء وقادة العالم الإسلامي في أول مؤتمر لهم عقد في مدينة الرباط بالمملكة المغربية[2].

وفي محرم ١٣٩٠هـ/ مارس ١٩٧٠م انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول في جدة، حيث افتتح الملك فيصل هذا المؤتمر متحدثًا:

> «أحب أن ألفت انتباهكم إلى أن أعين العالم متجهة إلى اجتماعكم... وإن إخواننا المسلمين في جميع أنحاء العالم وأصدقاءهم يتنظرون منكم قرارات تبهج قلوبهم وتهدي بالهم أنهم يأملون أن القرارات التي تتبنوها اليوم وأن الأعمال ستحقق آمال الجميع، وفي نفس الوقت فإن إعداء الإسلام ينظرون إلى هذا المؤتمر بخوف وقلق، إنهم يريدون أن يفسدوا كل ما أنتم في سبيله، ويصفوكم بأنكم فاشلون، وإنني أدعو الله العلي القدير أن يحبط خبثهم ويدمر آمالهم»[3].

أما عن الموقف التونسي- تجاه هذا المؤتمر فقد دعمت فكرة التضامن الإسلامي، ونستطيع أن نستنتج ذلك من خلال أقوال المسؤولين التونسيين، فقد كان موقف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة تجاه دعوة الملك فيصل لعقد مؤتمر إسلامي خلال زيارة الأخير

---

(١) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص٨٣.

(٢) حامد الغايد: محاضرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي ألقيت في معهد الدراسات الدبلوماسية في مدينة جدة في ١٩ يونيو ١٩٨٩م، مجلة الدبلوماسي العدد ١٢ جماد الأولى ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م، ص١٥.

(٣) جريدة أم القرى، العدد ٢٣١٤ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٩ محرم ١٣٩٠هـ/ ٢٧ مارس ١٩٧٠م) ص١.

لتونس، فقد أبدى الحبيب بورقيبة ترحيبًا بضيفه وتقديم دعمه للدعوة الإسلامية حيث قال:

«نحن نرحب بالدعوة الخيرة التي زكيتموها وأخذتم على عاتقكم العمل على إنجاحها، ونحن نتتبع بفائق الاهتمام جهودكم في المحافل الإسلامية، وما تحظى به من تأييد ومساندة من طرف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإن كنا نأسف لانكماش بعض الدول عن هذه الدعوة لعدم تقدير أهميتها أو لمصانعة المناوئين لها، ونحن لا نصدق بأن شعبًا مسلمًا يعرض عن دعوة ترمي إلى تأكيد اللحمة بين المسلمين»(١).

كما أكد ذلك وزير الخارجية التونسي- السيد محمد المصمودي، أثناء زيارته الرسمية للمملكة، حيث قال:

«نحن إلى جانب الأشقاء السعوديين، ونحن نؤمن بأن القيم الإسلامية في هذه الظروف ستنفع ليس العرب فقط وإنما المسلمين جميعًا، وإن في اتباع المبادئ والقيم الإسلامية في هذا البلد وفي تونس والبلدان الأخرى، ما أثبت أن الإسلام دين تقدم وسماحة وعزة ولذلك فإننا نتضامن مع جلالة الملك فيصل في دعوته الخيرة للتضامن الإسلامي التي تحقق للأمة الإسلامية الرفعة والتقدم والازدهار، وإننا نؤمن بهذا المبدأ السامي معتقدين بأن لنا رسالة نحن المسلمين يجب أن نحققها لصالح البشرية جمعاء ولكن علينا أن ننقي أجواءنا ونوحد صفوفنا، وندعم الحركات الفدائية الشريفة ونضمن لها الطريق السوي والعمل الصالح لتحقيق أهدافها»(٢).

وقد ألقى الرئيس الحبيب بورقيبة خطابه في منظمة المؤتمر الإسلامي الرابع المنعقد في الدار البيضاء قائلاً:

---

(١) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٣١٣.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢٣٨٣ (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٤ جماد الآخر ١٣٩١هـ/ ٦ أغسطس ١٩٧١م) ص١.

«... فالـدول الإسـلامية اليـوم تمثـل مجموعـة هامـة في القـارتين الآسـيوية والأفريقيـة بحجمها الجغرافي، وعدد سكانها وأهمية مواردها الطبيعيـة، ويمكنهـا رغـم تباعـد الشـق واخـتلاف المصـالح الإقليميـة أن تمثـل قـوة عامـة بشرـط أن تتوفـق إلى إبـراز قواسـم مشتركة بينها، لا فقـط مـن أجـل اتـخاذ موافـق مبدئيـة مشـتركة ولكـن أيضًـا مـن أجـل القيـام فعـلاً بعمـل مشـترك عـلى السـاحة الدوليـة، وكـذلك فـيما يتعلـق بالتنميـة وتنظـيم شؤون مجتمعاتنا الإسلامية...»[١].

وشاركت تونس بشخصياتها السياسية في تولي أمانـة المنظمـة فقـد تـولى السـيد الحبيـب الشطي من عـام ١٣٩٩ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٩ـ ١٩٨٥م[٢]، منصـب الأمـين العـام بمنظمـة المؤتمر الإسلامي، وهذا ما يؤكد على موقف تونس المتضامن مـع المملكـة العربيـة السـعودية نحو منظمة المؤتمر الإسلامي، وتأييد فكرة التضامن الإسلامي وتوحيـد صـفوف الشـعوب الإسـلامية ومعالجـة قضـاياهم ومـن أولى تلـك القضـايا التـي ناصرتهـا الـدولتين: القضـية الفلسطينية، والقضية العراقية ـ الإيرانية.

أولاً: القضية الفلسطينية:

تعتـبر القضـية الفلسـطينية مـن القضـايا التـي ناصرتهـا المملكـة العربيـة السـعودية والجمهورية التونسية عـلى الـدوام وفي كـل مراحلهـا وتطوراتهـا، ولم تـخرج الـدولتان يومًـا عن إجماع الصف العربي لصالح القضية الفلسطينية ومناصرتها.

وتعود بداية القضية الفلسطينية إلى فترة زمنية سابقة «خلال النصـف الثـاني مـن القـرن الثالث عشر هجري والنصف الأخير مـن القـرن التاسـع عشرـ مـيلادي» حيـث بـدأ اليهـود التسـلل إلى الأراضي الفلسـطينية بحجـج دينيـة ظـاهرة، هـدفها الأسـاسي تحقيـق المخطـط

---

(١) مركـز التوثيـق القـومي الـوطني: ملـف الخـاص بتـونس ومشـاركتها فـي منظمـة المـؤتمر الإسلامي، رقم ١٤٢/٠٥٠/٧٩.

(٢) حامد الغايد: محاضرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، ص١٠٦.

الصهيوني بزعامة هيرتزل[(١)]، وقد عقد المؤتمر الصهيوني الأول في (بال) عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م تحدث فيه المؤتمرون عن إمكانية إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، ومدى إمكانية مساعدة الحكومة البريطانية لتنفيذ هذا المشروع، وفي سنة ١٣٣٦ هـ/ ١٩١٧م حصل اليهود من الحكومة البريطانية على وعد صريح بقيام وطن قومي لليهود بفلسطين، وهو المعروف تصريح بلفور، ومن بعدها بدأ تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين نحو فلسطين[(٢)].

وقد شعر الفلسطينيون بفداحة الخطر الصهيوني المتسلل إلى أراضيهم في وقت مبكر، فقاوموه بقوة السلاح، حيث اندلعت الثورات الأولى منذ عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م أي بعد إعلان الانتداب البريطاني لفلسطين بعامين، واستشهد خلالها الآلاف من الفلسيطنيين[(٣)].

كان موقف المملكة العربية السعودية منذ بداية تأسيسها موقفًا مناصرًا للقضية الفلسيطينية، حيث ندد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بالمواقف البريطانية التي أدت في نهاية المطاف بقيام دولة يهودية على الأراضي الفلسطينية العربية، كما أعلن عن رفضه الصريح لتصريح الذي أطلقه وزير الخارجية البريطانية بلفور، ومما قاله في ذلك: «إني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري، ولا يتأسس ملك لليهود في فلسطين»[(٤)].

وقد ركز الملك عبد العزيز في سياسته لمناصرة القضية الفلسطينية على كسب موقف

---

(١) محمد عزة دورزه: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها (ط١، بيروت، ب.ن، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ص٢٠ـ ٢٣.

(٢) محمد عنان: السعودية وهموم العرب، ص١١١.

(٣) المرجع السابق، ص٥٢.

(٤) يوسف علي الثقفي: رسالة الملك عبد العزيز إلى روزفلت عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة ٢٦، ١٤٢١هـ، ص٩٢.

الدول العظمى (الولايات المتحدة الأمريكية ـ بريطانيا) لصالح العرب والفلسطينيين حيث أنه كان يرى أن كل مسعى لا يكون بالاتفاق مع تلك الدولتين سيؤدي حتمًا إلى فشل ذريع، كما أنه من ناحية أخرى ستؤدي هذه السياسة إلى فك الارتباط بين بريطانيا واليهود مما يعني أنه سيكون الطريق مفتوحًا لحل القضية الفلسطينية(١)، وفي هذا السبيل قام الملك عبد العزيز باستدعاء وزير بريطانيا المفوض في جدة ريدر بولارد قائلاً له:

«لا يوجد عربي صادق يوافق على التقسيم وإذا قيل لكم: إن أفرادًا في بلد عربي ما يوافقون عليه فثقوا أن أغلبية ذلك البلد لن توافق، وحذره من أن تقوم السلطات البريطانية بعمل يكون مضرًا بعرب فلسطين»(٢).

كما وجه الملك عبد العزيز خطاباته إلى الرؤساء في أمريكا ـ روزفلت ومن بعده ترومان ـ موضحًا لهم الحجج والبراهين على أحقية العرب في فلسطين، ومفندًا للمزاعم اليهودية بالأدلة التاريخية والسياسية القاطعة التي تثبت زيفهم وأكاذيبهم(٣)، وقد وجه خطاب إلى الرئيس روزفلت قال فيه:

«... إن عرب فلسطين يا فخامة الرئيس ومن ورائهم سائر العرب بل وسائر العالم الإسلامي يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم ضد دخلاء عنهم وعنها، ومن المستحيل إقرار السلام في فلسطين ما لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا أن بلادهم لن تعطى إلى شعب غريب تختلف مبادؤه وأغراضه وأخلاقه عنهم كل الاختلاف، ولذلك فإننا نهيب بفخامتكم ونناشدكم باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهرت بها الأمة الأمريكية النبيلة، أن تتكرموا بالنظر في قضية عرب فلسطين، وأن تكونوا نصراء للآمن المطمئن، المعتدى عليه، من قبل الجماعات المشردة من سائر أنحاء العالم؛ لأنه ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدن

(١) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص١٤٥، ١٤٦.
(٢) يوسف علي الثقفي، المرجع السابق، ص٩٤.
(٣) محمد عنان: السعودية وهموم العرب، ص٤٩.

وأن تتحمل فلسطين الضيقة المغلوبة على أمرها هذا الشعب الأمريكي ستجعله يذعن للحق ويقوم لنصرة العدل والإنصاف»(١).

وقد أمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م بتشكيل لجنة للدفاع عن القضية الفلسطينية في كل مدينة من مدن المملكة، وهدفها إيصال القضية الفلسطينية وإيضاحها للشعب السعودي كافة، ورفع صوته مطالبًا بمناصرتها، وجمع التبرعات والمساعدات لإرسالها لصالح الشعب الفلسطيني الصامد(٢).

وكان للملك عبد العزيز رؤية في إيجاد حل للقضية الفلسطينية وهي أن ينفرد الفلسطينيون بالدفاع عن قضيتهم وأرضهم، وألا يشترك رسميًا العرب في الحرب، بل على الدول العربية تقديم المساعدات لأهل فلسطين بالسلاح والمال والعتاد والرجال المتطوعين، وتدعيم السلطة الرسمية الفلسطينية وإعلان قيامها بمجرد انتهاء الانتداب البريطاني فيها(٣).

وفي عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، أرسل الملك عبد العزيز وزير خارجيته الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى اجتماعات الجمعية العامة يبلغ فيها موقف المملكة العربية السعودية من قرار تقسيم فلسطين الذي ترفضه المملكة بشدة كما أن المملكة طالبت مع بعض الدول العربية هناك بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتسليم السلطة للحكومة الفلسطينية المنتخبة والاعتراف باستقلالها(٤)، وما أن حل عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، حتى أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل، وتوالت اعترافات الدول العظمى بهذه

---

(١) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٢٩٠.

(٢) يوسف علي الثقفي: رسالة الملك عبد العزيز إلى روزفلت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص٩٤.

(٣) عبد الله الأشعل: المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، (ط١، جدة، دار الأصفهاني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص٢٢، ٢٣.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الدولـة (الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، الاتحـاد السـوفيتي، بريطانيـا)[١]، وأصـدرت وزارة الخارجية السعودية من نفس العام بيانًا أيدت فيه القرارات العربيـة التي تتـخذ الـدفاع عـن فلسطين والمحافظة على عروبتها والحيلولة مع شقيقاتها من الدول العربية للدخول إلى فلسطين في الموعد المتفق عليه للدفاع عنها عسكريًا[٢].

وبذلك يتضح لنا أن موقف الملك عبد العزيز تجاه القضية الفلسطينية كان التزامًا دينيًا وإنسانيًا وأخلاقيًا، لم يقف عنده فقط، بل أورثه إلى أبناءه من بعده، فنجد الملك سعود يوجه خطابه إلى الفلسطينيين في مدينة نابلس عند زيارته لها عندما كان وليًا للعهد سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م: «إن الشعب الفلسطيني هم أبناؤنا وعشيرتنا وعلينا واجب نحو قضيتهم سنؤديه»[٣].

قـدم الملـك سـعود خـلال فـترة حكمـه الكثـير مـن التبرعـات لصـالح الأشـقاء الفلسطينيين، منها لصالح اللاجئين في البلدان العربية، ومنها لدعم المشاريع الخيرية في فلسطين منها إنشاء مستشفى في منطقة القدس، وإنشاء مدرسة ابتدائية فيها وغيرها من الأعمال الخيرية[٤]، وقد أكد موقفه تجاه القضية الفلسطينية قائلاً:

> «إن هذه القضية يتوقف عليها السلم والأمن في هذه الرقعة من العالم إلى حد كبير، ونكبة فلسطين خلفتها الصهيونية العالمية، بعون ونفوذ ومساعدة السياسة البريطانية والأمريكية، ثم بالمواقف السلبية التي وقفها بعض رجالات العرب أنفسهم ولولا هذا لما أصبحنا الآن فيما نحن فيه، إن قضية العرب في حقوقهم الشرعية بفلسطين عادلة

---

(١) محمد عنان: السعودية وهموم العرب، ص١١٣.

(٢) عبد الله الأشعل: المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، ص٢٣.

(٣) عبد الفتاح حسن أبو علية: مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ص٢٥.

(٤) عبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسم السعودية، جـ١، ص٤١٦، ٤١٧.

وهي بلادهم ورثها الأحفاد عن الأجداد، وإن فلسطين عربية، هذا حجر الزاوية لكل تفاهم مقبل والعرب قد عرفهم التاريخ وعرفهم اليهود»(١).

وقد أولى الملك فيصل بن عبد العزيز قضية فلسطين اهتمامًا بالغًا، وقد بين جلالة الملك فيصل الموقف السعودي تجاه القضية الفلسطينية بقوله:

«إذا وقعت الواقعة فستروننا في المقدمة على حدود فلسطين، وإذا ضاعت فلسطين فلا أمل لأي قطر عربي في البقاء، ولن تكون المملكة العربية السعودية أقل استهدافًا للخطر من غيرها، إن فلسطين هي قلب العروبة، ويتوقف كيان العرب ومصيرهم على بقائها عربية وهذه حقيقة لا يجوز، إن موقف السعودية من هذه القضية فلن يتغير»(٢).

وعندما كان الملك فيصل نائبًا عن الحجاز في عهد والده رَحِمَهُ اللَّهُ، عنيَ بوزارة شؤون الحج وبفضل جهوده انقلبت مواسم الحج السنوية في الحجاز إلى مواسم رعاية للقضية الفلسطينية ففي يوم ٧ ذي الحجة من عام ١٣٨٧هـ، ٦ مارس ١٩٦٨م، تحدث جلالته لأخوته الحجيج في حفل تكريمي أقيم لهم في قصر بطحاء بمكة المكرمة قائلاً لهم:

«إخواني... حينما أتذكر حرمنا الشريف ومقدساتنا تنتهك وتستباح وتمثل فيها المفاسد والمعاصي والانحلال الخلقي فإنني أدعو الله إذا لم يكتب لنا الجهاد الحقيقي لتخليص هذه المقدسات أن لا يبقيني لحظة واحدة على قيد الحياة»(٣).

وقد عمل جلالة الملك فيصل ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ جاهدًا على جعل القضية الفلسطينية قضية إسلامية عالمية، ودعا إلى ضرورة إنشاء منظمة إسلامية تضم كافة البلاد الإسلامية لدعم

(١) جريدة أم القرى: العدد ١٥٣١ (مكة المكرمة، مطبعة حكومية، ١٦ محرم ١٣٧٤هـ/ ١٧ سبتمبر ١٩٥٤م) ص١.

(٢) عبد الله القباع: السياسة الخارجية للسعودية، ص٢٩١.

(٣) محمد عنان: السعودية وهموم العرب، ص٩٨.

القضية الفلسطينية بوصفها قضية لا تخص العرب وحدهم بل العالم الإسلامي بأسره، وعمد على زيارة عدد من البلدان العربية والإسلامية لتدعيم وجهة نظره، حتى جاء حادثة حريق المسجد الأقصى، فدعت المملكة العربية السعودية من جديد لعقد أول مؤتمر إسلامي الذي أسفر عن نشوء منظمة المؤتمر الإسلامي والتي لعبت دورًا في دعم القضية الفلسطينية حيث أنها تعتبر أول منظمة دولية إقليمية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وسبقت في ذلك جامعة الدول العربية ذاتها(١).

وقد أيد جلالة الملك فيصل منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي لسلطة البلاد الفلسطينية، ويكون الشعب صاحب الحق في انتخاب قادة هذه المنظمة، وتبرع جلالته بمليون جنيه إسترليني لإقامة جيش التحرير الفلسطيني(٢).

وحذر الملك فيصل الولايات المتحدة الأمريكية أن استمرارها في هذه السياسة المؤيدة لإسرائيل قد يؤثر على العلاقات بين البلدين سلبًا وهذا ما صرح به في عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م حيث قال: «إن السعودية ستجد التعاون الوثيق من الولايات المتحدة الأمريكية صعبًا إذا بقي التأييد الأمريكي لإسرائيل على ما هو عليه»(٣).

وقد استمر دعم المملكة العربية السعودية للقضية الفلسطينية بتولي الملك خالد سدة الحكم فيها، حيث صرح في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م:

> «إن المملكة العربية السعودية تعمل جادة وبكل إمكانياتها وطاقاتها لنصرة الحق العربي والإسلامي في فلسطين ولتحرير القدس لأنه ثالث الحرمين الشريفين وإنما هو حق من

---

(١) عبد العزيز الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، ص١٤٦.

(٢) أحمد عسه: معجزة فوق الرمال، ص١٤٩ـ ١٥٢.

(٣) جريدة النهار اللبنانية: العدد ٢٨٠٧، ٦ جماد الآخر ١٣٩٣هـ/ ١٠ يونيو ١٩٧٣م، ص١.

حقوق الأمة الإسلامية»(١).

حيث وجه الملك نداءً للأمة الإسلامية على أثر الاعتداء الأثيم على المسجد الأقصى- في يوم الثلاثاء ١٩ من جماد الآخرة ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ إبريل ١٩٨٢م، إلى تمكين العاملين في الدوائر الرسمية والقطاعات العامة والخاصة من التوقف عن العمل ليوم كامل وهو يوم الأربعاء ٢٠ من جماد الآخرة ١٤٠٢هـ للتعبير عن تضامن جميع المسلمين مع إخوانهم في الأراضي المحتلة، وقد عبر الملك خالد في مؤتمر القمة الإسلامي عن موقفه تجاه ما يحدث في الأراضي الفلسطينية قائلاً:

«... كلكم تدركون أن العدو الصهيوني إنما يستهدف من أعماله الإرهابية أن يفرض على إخواننا الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة، ممثلين غير الشرعيين يصل من خلالهم إلى تحقيق أهدافه ومخططاته الإجرامية، بضم الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولتأكيد وجوده غير الشرعي فيها، وإنني باسم مؤتمر القمة الإسلامي الذي أتشرف برئاسته وباسم حكومة وشعب المملكة العربية السعودية أناشد المجتمع الدولي بصفة عامة، اتخاذ الإجراءات الحاسمة والكفيلة بوضع حد لهذه الممارسات الإرهابية لما تنطوي عليه من مخاطر ومحاذير ومن نقص المبادئ الدولية والقانونية والأخلاقية وانتهاك للقيم والمثل الإنسانية العليا»(٢).

وسار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله على نفس المنهجية التي سار عليها إخوته من قبله والتي رسمها لهم والدهم طيب الله ثراه، فقد دعم القضية الفلسطينية في جميع مراحلها وأعطى لها من وقته وجهده، وفي هذا الصدد يقول رحمه الله:

«نحن نعتبر المعركة معركتنا لأن القضية قضيتنا، ومن الخطأ تجزئة القضية، كما أنه من

---

(١) عبد الفتاح حسن أبو علية وآخرون: المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين (ط١، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ص٤٢١.

(٢) عبد الرحمن الحمودي: المراسم والدبلوماسية السعودية، جـ١، ص٤٢٥ـ ٤٢٧.

الخطأ تجزئة المسئولية والأصوب توزيع وتحديد الأدوار حسب الإمكانيات والقدرات وعلى هذا الأساس نعتبر أنفسنا في مواجهة دائمة مع العدو الصهيوني في كل موقع وعلى كل صعيد، حتى تتحقق آمال الأمة العربية في جلاء الغاصب»(١).

وعلى أثر ما قامت به السلطات الإسرائيلية من إعلان أن القدس عاصمة إسرائيل للأبد، قال الملك فهد:

«إذا كانت قضية فلسطين قضيتنا الأولى فإن موضوع القدس الشريف يشكل في نظرنا قلب المشكلة الفلسطينية، وإن المملكة العربية السعودية تجدد في هذا الصدد تأكيدها على ضرورة المحافظة على طابع القدس الإسلامي العربي وعلى إعادة المدنية المقدسة إلى السيادة العربية حتى تعود كما كانت دائمًا ملتقى للمؤمنين من جميع الأديان السماوية وموئلاً للتسامح والتعايش بين مختلف الأديان»(٢).

ولا أدل على ذلك الموقف من خادم الحرمين الشريفين تجاه فلسطين وقضيتها هو ما أعلن عن إنشاء سفارة فلسطينية في الرياض التي افتتحت رسميًا في ٢٤ من جماد الأولى ١٤٠٩هـ الموافق ١ يناير ١٩٨٩م، بحضور الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات رئيس الدولة الفلسطينية، ومشاركة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، ورئيس اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين، وصاحب السمو الملكي سعود الفيصل وزير خارجية السعودية، وعدد من سفراء الدول العربية والإسلامية والأجنبية وعدد كبير من المواطنين السعوديين والعرب والمسلمين(٣).

وقد صرح خادم الحرمين الشريفين لوكالة الأنباء السعودية واصفًا القضية

(١) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٢٩١.

(٢) عبد الفتاح أبو علية: مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تجاه قضية فلسطين، ص٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص٥٥.

الفلسطينية بأنها قضية إسلامية تهم العالم الإسلامي بأسره قائلاً:

«تحرير فلسطين وفي مقدمتها القدس الشريف هي قضية الإسلام والمسلمين الأولى، وإننا نعتقد أن مواجهة المخططات الصهيونية في فلسطين هي مسؤولية جميع الدول والشعوب الإسلامية وجميع الدول والشعوب المحبة للسلام»(١).

أما عن الموقف التونسي تجاه القضية الفلسطينية، فقد كان مناصرًا لها حتى من قبل استقلال تونس، حيث شارك التونسيون إخوانهم العرب في حربهم ضد إسرائيل بعدما أعلنت الأخيرة قيام دولتها على الأراضي الفلسطينية عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ووصف الحبيب بورقيبة نضال شعبه لصالح القضية الفلسطينية:

«... إن الشعب التونسي الذي كان أيام حرب فلسطين مغلوبًا على أمره، خاضعًا لحكم استعماري مباشر، لم يتخلف عن القيام بواجبه المقدس الذي تفرضه رابطة الأخوة، فهب شبابًا وكهولاً، وخف من مختلف أنحاء البلاد لخوض المعركة جنبًا مع إخوانه، لا يطلب إلا شرف المشاركة في النضال عن أرض عربية إسلامية شقيقة، لا فرق عنده بينها وبين وطنه...»(٢).

وتمكن هذا الجيش التونسي بفضل تدريباته العسكرية أن يحقق انتصارًا في وطنه على الاستعمار الفرنسي(٣).

وبعد الاستقلال ناصرت تونس القضية الفلسطينية بإيصال صوتها في جميع المحافل الدولية، حيث وجه الرئيس بورقيبة خطابًا إلى الشعب الفلسطيني عند زيارته إلى مدينة أريحا قائلاً لهم:

---

(١) المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) خطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في مدينة أريحا (فلسطين) بتاريخ ٣ مارس ١٩٦٥م أمام جموع اللاجئين الفلسطينيين أثناء زيارته الرسمية إلى المملكة الهاشمية الأردنية، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٨٧، ٢/ ٢٠٠٣، ص٨٨.

(٣) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٣٥٠.

«إني شديد التأثر للحياة الأليمة التي يعيشها الإخوان اللاجئون والتي تبرز فيها آثار النكبة التي منينا بها قبل سبع عشرة سنة، كما أني معتز شديد الاعتزاز ومتفائل خيرًا بحماسكم الفياض وإرادتكم الفولاذية المتجهة إلى استرجاع الحق كاملاً غير منقوص... لكننا مع ذلك نعتبر أنفسنا مقصرين ما دامت هناك واجبات يتعين علينا القيام بأعبائها لتخليص ما لم يزل رازحا تحت وطأة الاستعمار من وطننا العربي الكبير ومن أجل هذه الغاية لم نتردد في مؤتمر القمة الأول عن الاصداع برأينا في طريقة معالجة القضية الفلسطينية، مؤكدين أن تونس على استعداد لدعم الصف العربي بكل ما لديها من إمكانيات حتى الخروج من المعركة الفاصلة بنصر مبين...»(١).

وتطابق الموقف التونسي مع الموقف السعودي تجاه مسألة النضال الجهادي الفلسطيني فقد أكد الملك عبد العزيز ـ كما أشرنا سابقًا ـ بأن على الفلسطينيين أن يقوموا بالدفاع عن أراضيهم وأن على العرب دعمهم بالمال والسلاح والعتاد، وكذلك كان رأي الحبيب بورقيبة حيث قال:

«إنكم أنتم أصحاب الحق فعليكم أن تكونوا الطليعة في مقاومة الغاصب، هنا على حدود الوطن السليب، كما كنا نحن طليعة الكفاح في تونس بوصفنا أصحاب الحق، ومع روح التضحية والحماس لابد من قيادة حكيمة، تجتمع فيها خصال جمة من فكر ثاقب، وتخطيط بعيد المرمى، وتبصر بالأحداث، ودراسة لنفسية العدو، ومراعاة لتفاوت القوى بيننا وبين الخصم، ... إن نجاحنا في المعركة يتوقف على مقدار كبير من الصبر، وعلى تهيئة الخطط، وتوفير الأسباب سواء بإعداد المكافحين، وتزويدهم بالأسلحة، وكسب الحلفاء والأنصار، فلا نتسرع قبل أن نضمن الفوز لقضيتنا، وبعد كل هذه الاستعدادات، تبقى بعض عوامل الانتصار من نصيب القدر، فيكون فيها اتكالنا على الله لأننا على حق والحق يعلو ولو بعد حين...»(٢).

---

(١) خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة بأريحا، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٨٧، ٢/ ٢٠٠٣، ص٨٨.

(٢) خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة بأريحا، مجلة الدراسات الدولية، العدد٨٧، ٢٠٠٣، ص٨٨، ٨٩.

وعندما قامت مصر بعقد معاهدة السلام (اتفاقية كامب ديفيد) مع إسرائيل، قاطعت تونس وشقيقتها السعودية والدول العربية عمومًا علاقاتها الدبلوماسية مع مصر وتجميد عضويتها في الجامعة العربية، وانتقل مقر الجامعة إلى الأراضي التونسية، لتستضيف تبعًا لذلك قيادة منظمة التحرير الفلسطينية[١].

ومن خلال مؤتمر القمة الإسلامي نقل الدكتور صادق المقدم على لسان رئيس الدولة التونسي في خطابه عدة مطالب لوقف العنف الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني حيث قال:

> «إن أهم ما يمكن أن يستند إليه التعاون الإسلامي في قضية القدس الشريف هو... المطالبة بإجراء تحقيق دولي حول الحادث الشنيع والتغييرات التي أجرتها سلطات الاحتلال في مدينة القدس وما يلاقيه سكانها من معاملة وحشية، والعمل على إقناع الدول الكبرى والرأي العام الدولي بخطورة هذه الاعتداءات، وإنتصاب الاحتلال الإسرائيلي بفلطسين مما يهدد السلم والأمن الدوليين،... تجسيم التضامن الإسلامي ببعث حركة ترمي إلى تحرير البقاع المقدسة وتمكين الشعب الفلسطيني من استرجاع حقوقه كاملة، والعمل على اتخاذ الإجراءات العاجلة والفعالة لحماية الأماكن المقدسة وضمان سلامتها وأمنها...»[٢].

كما وجه الحبيب بورقيبة خطابًا إلى الملوك والرؤساء يعبر فيه عن عمق ألمه ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، كما يثني على جهاد منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني أمام العدو الإسرائيلي قائلاً:

> «لقد بلغت اليوم من الكبر عتيًا، وخبرت الناس وعرفت من الدنيا يسيرها وعسيرها ولقد من الله عليَّ... إذ حررت بلادي وأيقظت شعبي ومهدت لوطني أسباب المناعة

---

(١) صلاح العقاد: المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، ص٥١٣، ٥١٤.

(٢) مركز التوثيق الوطني القومي، الملف الخاص بتونس ومنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم ١٤٢/٠٥٠/٧٩.

والبقاء لقد بلغت كل ما أردت ولم تبق في نفسي- إلا حسرة واحدة أمل التفريج عنها وهي محنة فلسطين ومحنة العرب في فلسطين، ... وفي رأيي أن عناصر الأزمة تجمعت وتصعدت إلى مستوى لا قدرة لأحد على تحمل أكثر منا ولا يعقل والحال هذه أن تسير المشكلة إلا في طريق التحرك والتطور ويرجع الفضل في إنضاج القضية خاصة إلى إخواننا الفلسطينيين الذين صمدوا وثبتوا ورضوا بالشهادة الكبرى، وإلى منظمة التحرير الفلسطينية التي عدلت على نفسها أساسًا وإلى قائدها أخينا المجاهد ياسر عرفات الذي لمَّ شملها وأحكم توجيهها ونفح فيها من عزيمته وإيمانه...»(١).

واستمر الدعم التونسي للقضية الفلسطينية حتى في عهد رئيسها زين العابدين بن علي الذي عبر عن شعوره تجاه القضية الفلسطينية بقوله:

«تظل قضية الشعب الفلسطيني التي نعتبرها قضيتنا الأولى مصدر انشغال عميق لدينا، لما تطرحه من مخاطر كبرى تهدد الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط خاصة وفي العالم عامة، لاسيما بعد تفاقم التوتر والعنف وتمادي إسرائيل في اعتداءاتها مخلفة كل يوم الدمار والضحايا الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني...»(٢).

وفي اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة أوصل الرئيس زين العابدين بن علي الصوت الفلسطيني معبرًا عن معاناته قائلاً:

«فالتصعيد الخطير للأوضاع بالأراضي الفلسطينية المحتلة، وإمعان إسرائيل في فرض سياسة الأمر الواقع والإجراءات أحادية الجانب يدعوان الأسرة الدولية إلى التعجيل بوضع حد للعنف الذي يتعرض إليه الشعب الفلسطيني الشقيق، وتأمين الحماية الدولية له ورفع الحصار عن قيادته الشرعية وإيقاف الاستيطان وقبول الرأي

---

(١) رسالة من المجاهد الأكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية إلى الملوك والرؤساء العرب في ٧ سبتمبر ١٩٨٢م، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٥، ب.س، ص٣٣.

(٢) النص الكامل لخطاب سيادة زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية في افتتاح أشغال الدورة السادسة عشر للقمة العربية العادية المنعقدة بتونس يومي ٢٢ و٢٣ ماي ٢٠٠٤م، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٩١، يونيو ٢٠٠٤، ص٧٩.

الاستشاري لمحكمة العدل الدولية التي قضت بعدم شرعية بناء الجدار العازل ونادت بإزالته...»(١).

ومما يدل أيضًا على تطابق المواقف السعودية التونسية تجاه القضية الفلسطينية هي البيانات المشتركة التي صدرت عقب زيارات الرسمية بين البلدين، فقد صدر بيان مشترك عقب زيارة الحبيب بورقيبة للمملكة العربية السعودية في جدة ٢٦ شوال ١٣٨٤هـ/ ٢٧ فبراير ١٩٦٥م جاء فيه:

«وقد أكد جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة تمسكهما بتنفيذ قرارات الجامعة العربية بشأن استرداد عرب فلسطين حقهم المشروع في وطنهم السليب والوقوف إلى جانبهم حتى تتحقق هذه الغاية»(٢).

كما صدر بيان مشترك في ختام زيارة الرئيس زين العابدين بن علي للسعودية ٢١ رجب ١٤٠٨هـ/ ٩ مارس ١٩٨٨م، جاء فيه:

«أعربت الدولتان عن دعمها الكامل بحق الشعب الفلسطيني الثابت في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة على أرضه بما فيها القدس الشريف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد، كما أعرب الجانبان عن اعتزازهما بصمود الشعب الفلسطيني وتقديرهما المتميز لانتفاضته المباركة، ونددت السعودية وتونس، في هذا المجال، بالوحشية الدموية والمعاملة اللاإنسانية التي يواجه بها الجيش الإسرائيلي نساء وأطفال الشعب الفلسطيني»(٣).

---

(١) خطاب سيادة زين العابدين بن علي، رئيس الجمهورية التونسية أمام الدورة التاسعة والخمسين للجمعة العامة للأمم المتحدة نيويورك ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٤، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٩٢، أكتوبر ٢٠٠٤، ص٨٨.

(٢) الحبيب بورقيبة: تونس وقضية فلسطين، (د.ط، تونس، كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، د.ت) ص٦٣.

(٣) البيان المشترك التونسي السعودي، مجلسة الدراسات الدولية، العدد ٢٧، ٢/ ١٩٨٨، ص١٤١.

ثانيًا: قضية الحرب العراقية ـ الإيرانية:

وهي من القضايا التي عاصرتها كل من المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية، وتكمن أهمية هذه الحرب في طول المدة التي استغرقتها حوالي ثمان سنوات دون نتائج حاسمة تحسب لأحد الطرفين المتنازعين، وحتى نفهم الموقف السعودي والتونسي- إيذاء تلك الحرب، نشرح بصورة مجملة خلفيات الحرب العراقية الإيرانية.

تعود الأسباب المباشرة في شن هذه الحرب بين البلدين المسلمين، إلى أسباب حدودية بينهما، فقد كانت مسألة الخلاف تتعلق بالسيادة على شط العرب، وهو عبارة عن نهر عريض يمتد ما بين التقاء دجلة والفرات حتى رأس الخليج العربي، وهو يفصل ما بين العراق وإيران، وقد كان هذا الشط واقع تحت السيادة العثمانية وورثها العراق من بعده في ظل عهد الانتداب، ومن ثم الاستقلال، وقد وقع العراق معاهدة سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، مع إيران تؤكد السيادة العراقية على شط العرب مع ضمان حرية الملاحة لإيران، وما أن استولى حزب البعث عل السلطة العراقية عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م حتى تدهورت العلاقات بين البلدين، مما أدى إلى إقدام شاه إيران إلى إلغاء اتفاقية عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، خلال عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م من جانب واحد، ولم يعترف العراق بهذا الإلغاء(١)، إلا أن العلاقات عادت من جديد بين الدولتين بعد اتفاقية الجزائر عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، حيث تقاسما السيادة على شط العرب(٢).

ولم يكتب لهذه الاتفاقية عمرًا طويلاً، فمنذ أن تصدرت الثورة الإيرانية السلطة في البلاد، وتسلم الرئيس العراقي الجديد صدام حسين سدة الحكم العراقي، حتى أقدم

---

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٤١٩، ٤٢٠.

(٢) فهد المالكي: العلاقات السعودية الجزائرية خلال الفترة ١٣٨ـ ١٤٢٦هـ/ ١٩٦٢ـ ٢٠٠٥م، ص٢٦١.

الأخير على إلغاء معاهدة الجزائر من جانبه فقط، فساءت العلاقات من جديد، فعمد الرئيس صدام حسين إلى شن غارات جوية داخل الأراضي الإيرانية مستهدفًا المطارات العسكرية الإيرانية، وكانت هذه بداية شرارة الحرب المسلحة بين الطرفين في يوم ١٣ ذو القعدة ١٤٠٠هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠م(١).

ومنذ بداية الأزمة اتخذت المملكة العربية السعودية وشقيقتها تونس موقفًا واضحًا إزاء الحرب، من خلال مؤتمرات القمم الإسلامية مطالبة بوقف إطلاق النار وترجيح العقل وحل المسألة بالطرق السلمية عن طريق الحوار والمفاوضات، ويمكننا أن نستقرأ موقف الدولتين من خلال ما ناشده ساسة البلدين، فقد أصدرت المملكة العربية السعودية بيانًا من الديوان الملكي تدعو فيه الجمهورية العراقية والجمهورية الإيرانية الإسلامية بوقف الحرب، بما تصحبه من دمار وقتل ليس في صالح شعبيهما(٢).

وقد حاولت المملكة العربية السعودية التدخل لإيقاف هذه الحرب التي اندلعت بين جارين مسلمين، فعلى الرغم من تصريحات الرئيس الإيراني آية الله الخميني على مواصلة إيران الحرب ضد العراق، إلا أن الدولة السعودية أبدت استعدادها للتوسط لوضع حد لإراقة الدماء، وتوفير الطاقات في البلدين وتسخيرها للأعمال الحضارية التي تنفع شعب بلديهما(٣)، وقد أكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود موقف المملكة العربية السعودية من الصراع العراقي ــ الإيراني من خلال كلمته التي ألقاها في القمة العربية الثانية عشر في مدينة فاس حيث قال:

---

(١) رجب يحيى حلمي: مجلس التعاون لدول الخليج العربية، (ط٢، الكويت، مكتبة دار العروبة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص٢٢٠ــ ٢٢٦.

(٢) جريدة أم القرى: العدد ٢٩٣٥، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢١ ذو القعدة ١٤٠٢هـ/ ٨ أكتوبر ١٩٨٢م) ص١.

(٣) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٢٧٢.

«إننا نكره أن تبقى هذه المجزرة إلى الأبد، إننا نفضل السلامة واحترام كل طرف للآخر، إنني أعلنت لإخواننا في العراق الشيء الكثير واللذين يريدون في الواقع الاستقرار لهذه المنطقة، وأرجو كذلك أن نجد هذا من المسلمين في إيران، إنها بلد مسلم وبلد مجاور، لا نريد إلا الاستقرار لهذين البلدين، لا نريد إلا تحكيم العقل وتحكيم المنطق، لماذا تكون هذه المجازر إنها خسارة على الأمة الإسلامية»(١).

وبعد مرور خمس سنوات على الحرب التي لم تخلف من ورائها إلا الدمار، وعندما تأزمت الأحداث، دعا ولي العهد السعودي آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، إلى وقف الحرب وإطلاق النار حيث قال:

«منذ قرابة الخمس سنوات وحرب ضروس تطحن برحاها أبناء الشعبين المسلمين وجرحاهما بمئات الألوف، ومشردوهما بالملايين، وخسائرهما بالآلاف الملايين، ولكن ما الهدف من وراء كل هذا النزف والهدر من المال؟

إنني لا أعرف لها من هدف أو باعث سوى المكابرة المزاجية فهذه حرب لا هدف لها ولا قضية، إنها تكاد تكون حربًا شخصية، إنها حرب غريبة مستغربة، فالمنازعات الشخصية لا يجوز أن تسوى على حساب الأمم.

لقد بذلت الدول الإسلامية كل جهد لإطفاء هذه الحرب الكارثة على الشعبين المسلمين الشقيقين وعلى شعوب الأمة الإسلامية كافة، ولقد استجاب العراق الشقيق لنداء السلام، وإننا لواثقون من أن الشقيقة إيران لابد أن تستجيب أيضًا، لقد حاولت المملكة ولا تزال تحاول بقيادة جلالة مولاي أيده الله أن تتصدى لهذا المد الحفيف من الجنون والعبثية، وذلك إيمانًا منها بأن الإسلام يفرض التراحم بين المسلمين والتعاطف بين العرب، والتعاون بين الأمم، ولكن إذا كان ثمة من يفسر التعقل بالضعف، والحلم بالرهبة، والصبر بالتهيب، فليعلم أن التعقل وليد العقل، والحلم

---

(١) كلمة ألقاها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بمدينة فاس بتاريخ ١٤٠٢/١١/١٨هـ الموافق ١٩٨٢/٩/٦.

وليد الحزم، والصبر مخاض الفعل»[(١)].

وبعد مضي سبع سنوات على الحرب جدد الملك فهد بن عبد العزيز نداءاته المتتالية لوقف الحرب العراقية الإيرانية، وأوضح الموقف السعودي تجاه هذه الأزمة قائلاً:

«إننا نشعر وتشعرون بما في قلوبنا جميعًا من جراح عميقة وما تختلج به نفوسنا وتعتلج به صدورنا من هموم وآلام، إلا أن أشدها نزيفًا في القلوب وأكثرها إيلامًا للنفوس، ما يزال يجري بين شعبين مسلمين، وجارين كريمين، منذ سبع سنوات مضت وحتى يومنا هذا... تلك هي مأساتنا الماثلة في الحرب العراقية الإيرانية، والله وحده يعلم ما بذلناه بالتعاون مع الأشقاء المخلصين من أجل أن تضع هذه الحرب أوزارها.. وكلنا نعلم أيها الأخوة أن العراق الشقيق قد استجاب مرارًا إلى مساعي الخيرين، وسمعناه يعلن منذ أيام موافقته على قرار مجلس الأمن بوقف الحرب، على ما سبقه من قرارات القمم الإسلامية والعربية في هذا الاتجاه، وأملنا لا يزال عظيمًا في استجابة إسلامية كريمة من إيران...»[(٢)].

وقد دعت دولة تونس الشقيقة بنفس ما دعت إليه المملكة العربية السعودية من وقف الحرب المدمرة، حيث صرح وزير الخارجية التونسي- حسان بلخوجة للصحافة العربية سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م موقف الرئيس التونسي- من قضية حرب العراق وإيران حيث قال:

«ناشد الرئيس الحبيب بورقيبة بمناسبة عيد الأضحى كل من الرئيس العراقي والإيراني، لإيقاف الصراع الدامي بين بلديهما والركون إلى الحوار والتفاوض لحل خلافهما بطرق السلمية في إطار الأخوة السلمية التي تربط بين شعبي البلدين... وإن

---

(١) كلمة ألقاها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بمناسبة عيد الفطر المبارك بتاريخ ١٤٠٥/٩/٢٩هـ الموافق ١٩٨٥/٦/١٧م عندما كان وليًا للعهد.

(٢) نقلاً عن خطاب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود إلى ضيوف الرحمن والأمة الإسلامية والعربية في الحفل الكبير في منى بتاريخ ١٤٠٧/١٢/١١هـ الموافق ١٩٨٧/٨/٥م.

تونس تدعو إلى إنهاء الخلاف القائم بينهما ووضع حد للنزيف الذي ينهكهما ويضعف بالتالي العالم الإسلامي»[(١)].

كما ناشدت تونس منظمة الأمم المتحدة تدعوها لتدخل لحل القضية بشكل حازم وعاجل، حيث أوضح وزير الخارجية التونسي- الأستاذ الباجي قائد السبسي- انعكاسات أزمة الخليج على المنطقة حيث قال:

«... أما في منطقة الخليج هذه المنطقة التي تتميز بحساسيتها الكبيرة فإن الحرب ما تزال مستمرة بدون مبرر بين العراق وإيران بالرغم من أنهما بلدين شقيقين متجاورين توفرت لهما كل عوامل التفاهم والتعاون، ومع هذا تبقى منطقة الخليج مصدر انشغال كبير بالنسبة إلينا، وبالنسبة إلى كل الذين يحرصون على استقرار المنطقة أو توازنها، ولقد سجلنا سيدي الرئيس باهتمام بالغ الموقف البناء الذي اختاره أحد الطرفين ـ العراق ـ ومقترحات السلام التي عبر عنها في مناسبات عديدة وإننا لننتظر أن تجتاز الطرف الثاني ـ إيران ـ مثل هذا الموقف، وأن يظهر رغبته في السلام، ومهما يكن من أمر فإننا نطلب في هذه المسألة كما في غيرها أن يقع احترام الشرعية الدولية، وأن يتم تطبيق قراري مجلس الأمن رقم ٤٤٩ و٥١٤ تطبيقًا كاملاً...»[(٢)].

كما صرح أثناء زيارته للمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م عن دور المملكة العربية السعودية في دعم ونصرة القضايا الإسلامية والعربية كما أشار إلى موقف تونس إزاء استمرارية هذه الحرب حيث قال:

«إنه من سوء الحظ أن هذه الحرب القائمة بين شعبين مسلحين شقيقين قد وصلت

---

(١) مركز التوثيق الوطني القومي الوطني، تصريح وزير خارجية تونس حسان بلخوجة عن الإطار المناسب لمعالجة مشكلات القضايا الإسلامية، الملف خاص تونس ومنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم ١٤٢/٠٥٠/٧٩.

(٢) خطاب سعادة وزير الشؤون الخارجية الأستاذ الباجي قائد السبسي في الدورة السابعة والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة، (الثلاثاء ٢٨ سبتمبر ١٩٨٢م)، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٥، ١٩٨٢م، ص١٨.

مرحلة مخيفة ولا مبرر لاستمرارها، بل إن استمرارها مضر بالبلدين وبدول المنطقة، بل وبالأمن والسلام العالميين، وأنه من المصالحة المشتركة وضع حد لها»[(١)].

وطالب كل قيادة سياسية مسئولة في كل دولة أن تعمل على إيقاف هذا النزيف، مشيرًا إلى أن تونس تعمل ضمن المجموعة العربية واللجنة السباعية التي أجرت عدة اتصالات مع عدد من الدول ومن بينها الدول الكبرى ومطالبتها بالعمل على إيقاف هذه الحرب والضغط على الطرف الذي لم يستجب للنداءات الداعية إلى وقفها لحمله على أن يقف موقفًا أكثر تفهمًا لمقتضيات الظروف[(٢)].

وفي عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م قام مندوب تونس في مجلس الأمن السيد نجيب البوزيري بإيصال صوت الأمة الإسلامية والعربية في منظمة الأمم المتحدة وتنديد لوقف الحرب العراقية الإيرانية حيث أوضح بأن خطر اتساع رقعة الحرب وبالتالي انعدام الاستقرار أصبح واضحًا أكثر من أي وقت مضى، وأن هذه الحرب تهدد باتخاذ أبعاد دولية تتعدى منطقة الخليج، وأوضح السيد نجيب البوزيري أن تونس بوصفها عضو اللجنة السباعية العربية تشعر بالمرارة أمام استمرار وتصعيد هذا النزاع المحتدم بين أعضاء أسرة واحدة[(٣)].

وبما أن المملكة العربية السعودية ودولة تونس الشقيقة عضوان في منظمة المؤتمر الإسلامي، فقد دعا المؤتمر الإسلامي الرابع المنعقد في الدار البيضاء عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م إلى عدة قرارات منها ما يخص الحرب العراقية الإيرانية، فقد أعلن المؤتمرون

---

(١) مركز التوثيق الوطني القومي الوطني، ملف الخاص العلاقات التونسية السعودية، رقم R III 22.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مركز التوثيق الوطني القومي الوطني، الملف خاص بتونس ومنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم 142/010/4.

التأييد الكامل للموقف العراقي في المفاوضات مع إيران، كما أبدى المؤتمرون تضامنهم الكامل مع العراق في المحافظة على وحدة وسلامة أراضيه وحقوقه التاريخية في سيادته على شط العرب، وأعرب المؤتمر عن أمله في الإسراع بالانتقال من حالة وقف إطلاق النار إلى مرحلة السلام الدائم والشامل في المنطقة، كما دعا المؤتمر الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإطلاق سراح أسرى الحرب وإعادتهم لأوطانهم(١).

وقد تطابق الموقف السعودي والتونسي إزاء هذه القضية من خلال البيان المشترك، الصادر على أثر زيارة الرئيس التونسي- زين العابدين بن علي للمملكة سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، حيث جاء فيه:

«بحث الجانبان تطورات الحرب العراقية الإيرانية وما تمله من مأساة يعيشها شعبا البلدين المتجاورين وما تحدثه من إفرازات سلبية تهدد المنطقة، أعربا عن أسفهما العميق لما نجم عن هذه الحرب المدمرة، وقلقهما الشديد إزاء استمرارها ومحاولات توسيع رقعتها كما استعرض الجهود الدولية المبذولة في سبيل وضع حد لهذه الحرب، ... كما أعربا عن تقديرهما لموقف العراق الإيجابي من قرار مجلس الأمن والذي وافق على تنفيذه دون أي تحفظات، ويلاحظ الجانبان بكل أسف محاولة إيران التسويف إزاء قبول القرار الدولي»(٢).

وفي عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م كانت نهاية الحرب العراقية ـ الإيرانية حيث تم وقف العمليات العسكرية وعلى أثر ذلك عبّرت القيادة السعودية والتونسية عن ارتياحهما لهذه الخطوة الإيجابية نحو السلام، فقد صرح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بهذه المناسبة قائلاً:

---

(١) مجلة الدبلوماسي، العدد ١٢، جماد الأولى ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م، ص١١٥.

(٢) البيان المشترك التونسي السعودي في ٩ مارس ١٩٨٨، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٢٧، ١٩٨٨م، ص١٤٢.

«فلقد اعتبرت المملكة العربية الانفراج الذي شهدته الحرب العراقية الإيرانية، بمثابة بداية حسنة لنهاية مأساة أليمة دامت ثمانية أعوام، وبادرت فور علمها بما أعلنه الأمين العام للأمم المتحدة لوقف إطلاق النار، بموافقة الدولتين الجارتين العراق وإيران إلى الإعراب عن عميق ارتياحها لذلك، وتطلعها بأمل كبير، إلى أن يكون ذلك الاتفاق منطلقًا فعليًا لإحلال سلام دائم وشامل تنعم في ظلاله جميع دول المنطقة وشعوبها بالأمن والاستقرار والتعاون البناء»(١).

أيضًا صرح ناطق باسم وزارة الشؤون الخارجية التونسية أن الحكومة التونسية تلقت بارتياح إعلان إيران قبولها لقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ بخصوص الحرب العراقية الإيرانية باعتبار ذلك خطوة من شأنها أن تتفاعل مع الموقف الإيجابي للعراق في هذا المجال وتعيد السلم المرتجاه بين الشعبين الشقيقين اللذين طالت معاناتهما من الحرب وتبعد عن منطقة الخليج أسباب التوتر والنزاع(٢).

وبذلك يتضح لنا الجهود المبذولة من المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية وآرائهما المتطابقة خلال ثمان سنوات من الحرب العراقية الإيرانية.

(١) نقلاً عن خطاب الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود إلى الدورة الثالثة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة في ربيع الآخر ١٤٠٩هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٨م.

(٢) مركز التوثيق الوطني القومي الوطني، ملف خاص تونس ومنظمة الأمم المتحدة، رقم 144.

المبحث الثالث

موقف الدولتين السعودية والتونسية من القضايا العالمية

تعتبر منظمة هيئة الأمم المتحدة منظمة دولية نشأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تحديدًا في ١٨ من ذي القعدة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥م، وكان لنشأتها نتيجة طيبة بعدما استجدت على الساحة الدولية أمورًا جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد نتج عن تلك الحرب، تحرر العديد من الدول المستعمرة وبروز قوى عظمى جديدة، فكان لابد من وجود منظمة عالمية تكفل السلام والأمن لشعوب العالم، وتنظم العلاقات الدولية وتعزيز الصداقة فيما بينهم، وفض المنازعات بالطرق السلمية، ومنع استعمال القوة، والتعاون في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[١].

وقد انضمت المملكة العربية السعودية إلى منظمة هيئة الأمم المتحدة في ١٨ من ذي القعدة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥م، كما انضمت الجمهورية التونسية إلى هذه المنظمة فور إعلان استقلالها عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م[٢]، وكان الباعث في انضمام البلدين لمنظمة هيئة الأمم إيمانهما بأهمية وجود مثل هذه المنظمات وما تقدمه من دور في تعزيز الأمن والسلام لشعوب العالم أجمع، فأصبحا عضوان في هذه الأسرة الدولية، تقدم كل الدعم للجهود المبذولة من قبل منظمة الأمم المتحدة.

ومما يدل على ذلك الموقف من الجانب السعودي ما قاله الملك فيصل أثناء تمثيله لبلاده في حفل توقيع ميثاق هيئة الأمم المتحدة:

---

(١) عبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسم السعودية، جـ٢، ص١٠٥٠.

(٢) المرجع السابق، جـ٢، ص١٠٦٣.

«إن الحكومة العربية السعودية لتنضم إلى الأمم المتحدة في تصريحها القائل بأن مبادئ السلم والعدالة والحق يجب أن تسود أنحاء العالم، وأن العلاقات الدولية يجب أن تقوم على هذه المبادئ، وإن من دواعي اغتباطي العظيم أن أقول: إن هذه المبادئ تطابق تعاليم الدين الإسلامي... وهي التعاليم التي اتخذت الحكومة السعودية منها دستورًا تسير على هديه فإن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والإخاء»(١).

وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م أكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على دعم المملكة العربية السعودية لمنظمة الأمم المتحدة وأكد على دور المنظمة الفعال في التصدي للنكبات والأزمات حيث قال:

«لقد دأبنا في الدورات السابقة للجمعية العامة للأمم المتحدة على سرد المشكلات وتعديد المخاطر والأزمات، وكان يخيل إلينا في كل مرة أن العالم يعيش تحت مظلة من الصراعات والنزاعات والحروب، قد لا تنتهي بسلام، وأن النزعة إلى الشر بآثارها المدمرة تكاد أن تسود وتتغلب، لكننا نقف اليوم لنرى انفراجًا ملحوظًا في العديد من القضايا والأزمات، ولنرى دورًا مميزًا ومهمًا تقوم به منظمة الأمم المتحدة في هذا الانفراج»(٢).

وقد شاركت المملكة العربية السعودية احتفالات هيئة الأمم المتحدة بمناسبة مرور ٥٠ عامًا على تأسيسها، وبهذها المناسبة تقدم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ـ رحمه الله ـ نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

---

(١) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م) ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) عبد الرحمن سليمان الرويشد: توثيق ووثائق كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (د.ط، الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص١٨٧.

ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يؤكد فيه على موقف المملكة العربية السعودية الثابت والدائم لهيئة الأمم المتحدة متحدثًا بقوله:

«إن قدرة الأمم المتحدة على العطاء طيلة الخمسين سنة الماضية، ودورها البناء في حشد التعاون الدولي، يجعلاننا أكثر تصميمًا على مساندتها لكي تمضي في أداء رسالتها، وخاصة أنها اليوم أمام مفترق طرق يتحدد معه مستقبلها.

وإذا كان المعيار الأساسي لنجاحها هو مدى فاعليتها في خدمة السلام والأمن الدوليين، فلابد من التنويه بضرورة الالتزام بميثاق الأمم المتحدة، وتنفيذ قرارات الشرعية الدولية، وأن ما يأمله خادم الحرمين الشريفين هو أن يكون احتفالنا اليوم نقطة تحول في أداء منظمتنا بما يمكنها من تحقيق أهدافها، كي تنعم شعوبنا جميعًا بالأمن والنماء»(١).

أما عن ما يعبر الموقف التونسي إزاء منظمة الأمم المتحدة ما قاله سيادة الرئيس زين العابدين بن علي أمام الدورة التاسعة والخمسين للجميعة العامة للأمم المتحدة بنيويورك في ١٤ شعبان ١٤٢٥هـ/ ٢٨سبتمبر ٢٠٠٤م مؤكدًا على دعم بلاده لهذه المنظمة ودورها في تحقيق العدل والسلام العالمي حيث قال:

«... إن تونس التي تجدد تعلقها بالمبادئ التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة لتؤكد حرصها الثابت على مواصلة الإسهام في كل الجهود الرامية إلى إصلاح هذه المنظمة العتيدة وتطوير هياكلها وفي مقدمتها الجمعية العامة ومجلس الأمن حتى تبقى المؤتمن على تطبيق الشرعية الدولية والضامن لتحقيق العدل والاستقرار والتنمية في العالم...»(٢).

---

(١) مجلة اليمامة: العدد ١٣٧٨، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، ١ جماد الآخرة ١٤١٦هـ، ص٦.

(٢) مجلة الدراسات الدولية، العدد ٩٢، تونسن مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، أكتوبر ٢٠٠٤م، ص٨٧.

كما أكد سعادة الرئيس بن علي على دور المنظمة في إرساء الحوار في نطاق التعاون الأممي بعيدًا عن الصراعات حيث قال:

«... نحن نرى أن الوقت قد حان لعقد مؤتمر دولي يضع قواسم مشتركة لمدونة سلوك في الفرض تلتزم بها مختلف الأطراف وتساعد على إقامة حوار مسؤول يتجاوز ازدواجية المعايير ويخفف الشعور بالحرمان والقهر لدى شعوب كثيرة، ونرى في هذا السياق أن منظمة الأمم المتحدة خاصة ومجلس الأمن أساسًا يمثلان أفضل إطار لإرساء هذا الحوار المنشود بين الدول... ودعونا من أعلى منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إبرام عقد أممي للسلم والتقدم يؤسس لمستقبل أفضل للمجموعة الدولية في نطاق التعاون البناء بعيدًا عن الصراعات وهدر الطاقات»(١).

وقد أكد وزير الخارجية التونسي السيد باجي قائد السبسي على ضرورة احترام ميثاق الأمم المتحدة من قبل الدول الأعضاء والعمل على التشاور والحوار مع المجموعة الدولية في إطار المنظمة حتى تستطيع تحقيق أهدافها التي يصبو إليها الجميع وفي هذا يقول:

«... علينا أن نسهر بكل مسؤولية على احترام المبادئ المدرجة بميثاقنا وأن نجعل من هذا المحفل خير مكان للتشاور والحوار وهما عنصران كفيلان لوحدهما بأن يمكنانا من التوصل إلى حلول شاملة ومقبولة من طرف الجميع، فإذا سرنا على هذا الدرب فإننا ندافع بذلك عن أهداف منظمتنا ونتصدى لتنبؤات المتحاملين عليها وفرض فاعليتها وهيبتها ومصداقيتها، وعلى نفس هذا الدرب تنوي تونس من جانبها مواصلة عملها بعزيمة وثبات»(٢).

وعلى أثر ذلك يتضح لنا موقف قيادة البلدين إيذاء منظمة الأمم المتحدة، وعلى

---

(١) وزارة الشؤون الخارجية إدارة الإعلام: السياسة الخارجية التونسية (كلمات، مداخلات، محاضرات السيد الحبيب بن يحيى وزير الشؤون الخارجية وبيانات صحفية صادرة عن الوزارة)، (ب.ط، تونس، وزارة الشؤون الخارجية، ٢٠٠٤م) ص١٠.

(٢) مجلة الدراسات الدولية، العدد ٥، تونس، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، نوفمبر ١٩٨٢م، ص٢١.

أهميتها والدور العظيم الذي تؤديه المنظمة لإحلال الأمن والسلم في العالم عن طريق تحقيق العدل والسلام، وما قدمته الدولتان من دعم لهذه المنظمة يدل على توافق سيادة الدولتين تجاه القضايا العالمية في إطار المنظمة، وسيعرض هذا المبحث جهود ودعم البلدين لأهم قضايا الساعة في الفترة التي تشملها البحث من خلال منظمة الأمم المتحدة وهي قضية السلام في الشرق الأوسط وقضية مكافحة الإرهاب.

أولاً: قضية السلام في الشرق الأوسط:

تعتبر هذه القضية من القضايا العالمية التي عاصرتها كل من المملكة العربية السعودية ودولة تونس، على اعتبار أنها من الدول الواقعة في هذه المنطقة، وتكمن مشكلة وصعوبات السلام في منطقة الشرق الأوسط حول النزاع العربي الإسرائيلي، فإسرائيل تعمل جاهدة على فرض نوع من الهيمنة السياسية والاقتصادية العالمية في المنطقة، فضلاً عن نزعتها الإمبريالية التوسعية على حساب الأراضي العربية، وهي بذلك تعمل على رفض تقديم التنازلات لعملية السلام التي تقوم بين الحين والآخر على أثر العمليات الإرهابية الإسرائيلية في المنطقة(١).

ولذلك تجد الدول العربية الواقعة في منطقة الشرق الأوسط، في إسرائيل خطرًا جاثمًا يهدد أمنها واستقرارها، وقد خاضت هذه الدول مع العدو الإسرائيلي أربع حروب في محاولة منها للتصدي للمد الإسرائيلي(٢).

ونظرًا لما تشغله المملكة العربية السعودية من مكانة دينية وسياسية واقتصادية

(١) فتحي العفيفي: سياسة المملكة العربية السعودية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة ٢٦، ١٤٢١هـ، ص١٢٥.

(٢) عبد الله الأشعل: تطور العلاقات الدولية لمجلس التعاون الخليجي في ضوء المتغيرات الإقليمية والعالمية، (ط١، الرياض، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ص١٩٦.

واستراتيجية، فقد قامت دورًا رياديًا في مسألة النزاع العربي الإسرائيلي، انطلاقًا من إيمانها بواجباتها تجاه خدمة القضايا العربية والإسلامية، حيث أكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز هذا الاتجاه بقوله:

«نحن في المملكة العربية السعودية شعبًا وقيادة، نشعر بأننا جزء من هذه الأمة وأن علينا مسؤولية كبيرة تجاه كل عربي وكل مسلم، كما نشعر أن تقدير الجميع يحتم علينا أن نكون في موضع القدوة والمثل، وقد أكرمنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن جعلنا خدامًا لأقدس البقاع وأطهرها»(١).

ومن خلال استعراض المواقف السياسية للقادة السعوديين، خلال الأزمات التي تعرضت لها منطقة الشرق الأوسط، نجد ذلك الالتحام بينها وبين الدول العربية لنصرة القضايا العربية وتحديدًا في هذه المنطقة التي تواجه العدوان الإسرائيلي، وقد أكد الملك فيصل عن هذا التوجه العربي حين قال:

«إن ردع الخطر الإسرائيلي رهن بانتهاج سياسة واضحة قوامها جهد دائم، وتعاون عربي مخلص بين كل العواصم العربية، مهما تنوعت نظمها السياسية والاجتماعية»(٢).

وقد سارت تونس في نفس المسار التي سارت عليه المملكة العربية السعودية ضمن إطار العمل العربي الموحد لمواجهة الخطر الإسرائيلي؛ فقد أكد الحبيب بورقيبة على هذا التوجه حين قال:

«... يتحتم على العرب جميعًا سواء في المغرب أو المشرق أن يعززوا جهادكم ــ

(١) عبد الفتاح أبو عليه: مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين، ص٢٢.

(٢) عبد الكريم الطحاوي: الملك فيصل والعلاقات الخارجية (ط١، القاهرة، د.ت، ٢٠٠٢م) ص١٨٧.

الفلسطينيين ـ فيتحمسوا لقضيتكم، ويفكروا في ما يرفع عنكم بلواكم... »(١).

وقد استخدمت المملكة العربية السعودية في أكثر من مرة السلاح البترولي للضغط على الدول الغربية التي اتخذت مواقف عدائية من القضية الفلسطينية، حيث عمدت على حظر تصدير النفط عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م لكل من بريطانيا وفرنسا على أثر العدوان الثلاثي على مصر، وقد اتخذت موقفًا مماثلاً في عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م من الدول التي أيدت العدوان الإسرائيلي على العرب(٢)، وفي عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م استخدم الملك فيصل معركة الحظر النفطي لكن هذه المرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أعلنت المملكة العربية السعودية عن خفض إنتاج النفط بنسبة ١٠٪ مع الحظر التام لشحن النفط إلى الولايات المتحدة إذا لم تتخذ تدابير مؤثرة ضد إسرائيل، كما أبلغ جلالته وزير الخارجية الأمريكية السير كسينجر أنه يتعين عليه إرغام إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلت في حرب ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، وحذر من أن العدوان الإسرائيلي إذا لم يتوقف فإن النزاع قد يمتد فيما وراء حدو الشرق الأوسط(٣).

أيضًا قامت المملكة العربية السعودية دورًا على الصعيد الدبلوماسي إزاء الموقف الأمريكي المنحاز لإسرائيل، حين قام الملك فهد بن عبد العزيز بتأجيل زيارته لواشنطن مرتين في الوقت الذي قام فيه بعدة زيارات رسمية لعدد من الدول الأوربية في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وقد كرر هذا الموقف ولي العهد السعودي آنذاك سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز في عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، وذلك بإرسال رسالة غير مباشرة

---

(١) خطاب الرئيس بورقيبة في مدينة أريحا بتاريخ ٣ مارس ١٩٦٥م، مجلة الدراسات الدولية، عدد ٨٧، يونيو ٢٠٠٣، ص٨٩.

(٢) عبد الله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٢٩٢.

(٣) فتحي العفيفي: سياسة المملكة العربية السعودية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، ص١٤١ـ ١٤٣.

للإدارة الأمريكية يوضح فيها الموقف السعودي الرافض للسياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية وتأييدها الأعمى للكيان الصهيوني[١].

كما ندد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بالاستفزازات الإسرائيلية التي تقوم بها إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط حيث قال:

«إن السلوك المشين من جانب إسرائيل يعد مصدر تهديد مستمر لأمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط، والسلام العالمي برمته، وعلينا أن نعمل بكل ما نملك من طاقات لدعم ومناصرة الكفاح الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ونهيب بالدول التي تدافع عن الحرية وحقوق الشعوب إلى أن تكون عادلة في موقفها بالنسبة لقضية الشعب الفلسطيني العادلة»[٢].

وقد اتخذت تونس الموقف ذاته عندما ناشد وزير الخارجية التونسي- السيد الحبيب بن يحيى المجموعة الدولية بالتعديات الإسرائيلية حيث قال:

«إن إصرار إسرائيل على انتهاج سياسة القوة إزاء الشعب الفلسطيني الأعزل وسلطته الوطنية الشرعية وتنكرها لكل المرجعيات والاتفاقيات والالتزامات يؤكد المنحنى الخطير الذي تتبعه الحكومة الإسرائيلية في الوقت الراهن والذي يرمي إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل أهمها إجهاض عملية السلام والتنصل من كل مرجعياتها، وعرقلة كافة الجهود العربية والدولية المبذولة من أجل استئناف عملية السلام بهدف التوصل إلى تحقيق السلام العادل والشامل والدائم في منطقة الشرق الأوسط...»[٣].

---

(١) عبد الله بن موسى طاير محمد: القضايا الإسلامية في كلمات المملكة العربية السعودية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، بحث مقدم للندوة العالمية عن جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام والمسلمين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٧-١٤٢٢/١٢/٢٩هـ الموافق ١١- ٢٠٠٢/٣/١٣م، ص١٥.

(٢) عبد الفتاح أبو عليه: مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تجاه قضية فلسطين، ص٢٣، ٢٤.

(٣) وزارة الشؤون الخارجية «إدارة الإعلام»: السياسة الخارجية التونسية (كلمات، مداخلات، محاضرات السيد الحبيب بن يحيى وزير الشؤون الخارجية وبيانات صحفية صادرة عن =

وفي عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م ظهر أول مشروع سلام عربي بمبادرة تونسية، حيث أطلق الرئيس التونسي- الحبيب بورقيبة تفاصيل هذا المشروع في خطابه الموجه إلى جموع الفلسطينيين في مدينة أريحا، ويستند مشروع السلام هذا على عدة نقاط وهي:

أ ـ تعيد إسرائيل إلى العرب ثلث المساحة التي احتلتها منذ إنشائها، لتقوم عليها دولة عربية فلسطينية.

ب ـ يعود اللاجئون إلى دولتهم الجديدة.

جـ ـ تتم المصالحة بين العرب وإسرائيل، وتنتهي حالة الحرب بينهما.

ولكن لم يكتب لهذا المشروع النجاح نتيجة ردود الفعل العكسية في الشارع العربي الذي رفض هذا المشروع بالإجماع(١)، حتى عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م عندما تقدم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ وكان حينها وليًا للعهد ـ بمشروع السلام السعودي الذي طرح في مؤتمر القمة العربي الثاني عشر الذي عقد في مدينة فاس المغربية في الفترة ما بين ١٨ ـ٢١/ ١١/ ١٤٠٢هـ/ ٦ـ٩/ ٩/ ١٩٨٢م وقد ارتكزت هذه المبادرة على عدة نقاط وهي:

١- انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧م بما فيها القدس العربية.

٢- إزالة المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية منذ عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

= الوزارة) ص٣١.

(١) خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة في مدينة أريحا بتاريخ ٣ مارس ١٩٦٥م، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٨٧، يونيو ٢٠٠٣، ص٨٨ــ ٩٠، وعبد الرحمن الحمودي: الدبلوماسية والمراسم السعودية، جـ٢، ص٤٣٥.

٣- ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

٤- تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة والتعويض لكل من لا يرغب في العودة.

٥- يخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.

٦- تأكيد حق دول المنطقة في العيش بسلام.

٧- تقوم الأمم المتحدة أو بعض الدول الأعضاء فيها بضمان تنفيذ تلك المبادئ.

٨- قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس(١).

وقد أقر المجتمعون في مؤتمر القمة العربي مشروع السلام الموحد المبني على مشروع الملك فهد السعودي والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الذي أيد المشروع حيث قال:

«... لقد دعوتكم منذ عشرين سنة إلى قبول الشرعية الدولية والتمسك بها أساسًا لحل القضية الفلسطينية وشهدتم اليوم أنها المدخل الأنجع، فتأملوا جيدًا في ذلك وانظروا فيما جاء بعدها من مشاريع تنطوي كلها أو بعضها على ما يتماشى ومصلحتنا واغتنموا الفرصة وهي سانحة وابحثوا لكم عن طريقة توفر تبني المجموعة الدولية لرأيكم وتلزمها بضمان تنفيذه واصبروا وصابروا واجمعوا لأنفسكم ما يعزز ساعدكم وحجتكم»(٢).

كما أقر مؤتمر فاس بتكليف وفود عربية تمثل (السعودية وسوريا والأردن والمغرب

---

(١) عبد الفتاح أبو عليه: مواقف خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز: تجاه قضية فلسطين، ص٤٧.

(٢) رسالة من المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية إلى ملوك ورؤساء العرب في (٧ سبتمبر ١٩٨٢م)، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٥، نوفمبر ١٩٨٢م، ص٣٤.

وتونس ومنظمة التحرير الفلسطينية) بزيارة عواصم الدول الكبرى التي لها علاقة بأزمة الشرق الأوسط لشرح المشروع العربي للسلام وبحث طرق تنفيذه(١).

وقد نالت هذه المبادرة السعودية صدى واسعًا في الأوساط العربية والإسلامية والعالمية، كما أيدت تونس هذه المبادرة، حيث صرح رئيس وزرائها السيد محمد مزالي أن مشروع السلام السعودي أصبح مشروعًا عربيًا(٢).

وبذلك نجد أن الجهود السعودية والتونسية المبذولة في سعي لإحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط، كانت عبارة عن جهود ورؤى ومواقف موحدة بين البلدين، انطلاقًا من إيمانها الكامل بأن السلام في منطقة الشرق الأوسط لابد أن يكون مشروطًا بإقامة دولة مستقلة فلسطينية وضمان حقوق الشعب الفلسطيني، وانسحاب إسرائيل من البلدان العربية المحتلة كافة، بل واتخاذ الإجراءات اللازمة لردع الاعتداءات الإسرائيلية، وأكد على هذا التصور ما قاله الملك فهد:

> «لا يمكن أن يقوم سلام حقيقي في الشرق الأوسط ما لم يتم إيجاد حل عادل ودائم للقضية الفلسطينية التي هي جوهر الصراع الدائر في المنطقة، إن الذين يتصورون أن مرور الزمن كفيل بأن يصبح الأمر الواقع أمرًا مقبولاً يتناسون أن حقوق الشعوب في أوطانها لا تسقط بالتقادم ولا يطويها النسيان»(٣).

وفي نفس هذا السياق يؤكد الجانب التونسي على ضرورة إحلال السلام في المنطقة ما قاله وزير الخارجية التونسي السيد الحبيب بن يحيى:

---

(١) الأمين الكلاعي: القمم العربية، مجلة الدراسات الدولية، العدد ١٩، يوليو ١٩٨٦م، ص٥٠، ٥١.

(٢) مجلة اليمامة، العدد ٦٩١ن السنة ٣٠، ١٤٠٢/٥/١٦هـ الموافق ١٩٨٢/١١/٥م، ص١٤.

(٣) عبد الفتاح أبو عليه: مواقف خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز: تجاه قضية فلسطين، ص ٤٩.

«إن تونس تؤيد من حيث المبدأ فكرة عقد مؤتمر جديد للسلام انطلاقاً من دعمها لكل الجهود والمبادرات الرامية إلى استئناف المسار السياسي لإحلال السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط، فإنها تؤكد على ضرورة أن يستند هذا المؤتمر إلى جملة الأسس والمرجعيات التي قامت عليها العملية السلمية منذ انطلاقها حتى يخرج بنتائج تكفل الحل العادل للقضية الفلسطينية وتحقيق السلام العادل والشامل والدائم في الشرق الأوسط»(١).

ثانيًا: قضية الإرهاب:

تعتبر قضية الإرهاب من القضايا العالمية الشائكة التي أشغلت العالم بأسره، حتى أضحت كلمة (إرهاب) أكثر حضورًا في المحافل السياسية والعالمية والإعلامية.

وعلى الرغم من أن هذه القضية ليست بالحديثة أو المستحدثة، فقد أخذت دول العالم والمنظمات العالمية، منذ زمن تندد وتشجب العمليات الإرهابية أين ما كانت على وجه الأرض، التي تفزع أمن واستقرار البلدان والأفراد، إلا أن حادثة ٢٣ جماد الآخرة ١٤٢٢هـ/ ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، كانت أكثر تنديدًا واستنكارًا على المستوى العالمي نتيجة لخطورة ذلك العمل الإرهابي الموجه لأكبر دولة عالمية، وهي الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، ولتشابك الذي وقع على مستوى العلاقات الدولية أو على مستوى الأيدلوجي بين الثقافة الشرقية والغربية، التي أضحت بعد هذه الحادثة حرب باردة بين الكتلتين، فقد اختلطت المفاهيم والمعتقدات في بعضها البعض، وأصبحت تهمة العنف والتطرف تطارد العقيدة الإسلامية، وأصبح الدفاع عن الحقوق المشروعة والمغتصبة، تدخل في نطاق العمليات الإرهابية التي تهدد الاستقرار وزعزعة الأمن وخاصة الأمن الإسرائيلي(٢).

---

(١) وزارة الشؤون الخارجية «إدارة الإعلام»: السياسة الخارجية التونسية (كلمات، مداخلات، محاضرات السيد الحبيب بن يحيى وزير الشؤون الخارجية وبيانات صحفية صادرة عن الوزارة) ص٣٢.

(٢) فريد هاليداي: ساعتان هزتا العالم «١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١: الأسباب والنتائج»، ترجمة =

وقبل أن نتحدث عن الدور السعودي والتونسي في مكافحة الإرهاب والتنديد به، علينا أن نتطرق لتعريف الإرهاب، ففي الحقيقة تعددت تعريفات لمصطلح الإرهاب في دراسات العربية والأجنبية على حد سواء، ففي دراسات العربية ذاتها تعددت التعريفات، فمعجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عرف الإرهاب على أنه:

«بث الرعب الذي يثير الخوف والفعل، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص سواء كان أفرادًا أو ممثلين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة»(١).

كما أصدرت الجامعة العربية تعريفًا في إطار المفهوم العربي المشترك لكلمة الإرهاب في عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م:

«هو كل فعل منظم من أفعال العنف أو التهديد به يسبب رعبًا أو فزعًا من خلال أعمال القتل أو الاغتيال أو حجز الرهائن أو اختطاف الطائرات أو السفن أو تفجير المفرقعات أو غيرها من الأفعال، مما يخلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب الذي يستهدف أهدافًا سياسية»(٢).

أما عن الدراسات الأجنبية فقد تعددت أيضًا تعريفات كلمة الإرهاب من جهات متعددة، فقد عرفها الدستور الأمريكي بأنه:

«العنف بدافع سياسي ضد المواطنين العزل من قبل جماعات ثانوية لإثارة الرعب بين

=

عبد الإله النعيمي، (ط١، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٢م) ص١٣٩ـ ١٦١.

(١) وزارة الثقافة والإعلام: موقف السعودية من الإرهاب، (ط١، الرياض، دار القمم للإعلام، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ص٢٠.

(٢) محمد محيي الدين عوض: واقع الإرهاب واتجاهاته، ندوة تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي أقيمت في السودان، من ١٨ـ ٢٠ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ٧ ـ ٩ ديسمبر ١٩٩٨م، أكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية (د.ط، الرياض د.ن، ١٤٩١هـ/ ١٩٩٩م) ص١٥.

المواطنين، والإرهاب الدولي يعني ترهيبًا عالميًا للمواطنين، ولا يقتصر على دولة واحدة، ولكن يقصد به عدة دول، والجماعات الإرهابية هل كل مجموعة تقدم على ممارسة أعمال إرهابية»[١].

كما عرف قاموس أكسفورد الإرهاب على أنه: سياسة أو أسلوب يعد لإرهاب وإفزاع المناوئين أو المعارضين لحكومة ما كما أن كلمة «إرهابي» تشير بوجه عام أي شخص يحاول أن يدعم آراءه بالإكراه أو التهديد أو الترويع[٢].

وعلى ضوء هذه التعريفات المتعددة سواء كانت في دراسات أجنبية أو عربية، وعدم التوصل لتعريف موحد ودقيق لتفسير معنى الإرهاب، نستنتج أن كلمة الإرهاب هي كلمة واسعة النطاق، لا يمكن أن تنحصر في معنى واحد، وذلك يعود إلى أن ظاهرة الإرهاب متعددة في شكلها العدواني، كما أنها متعددة في الأسباب وخلفيات حدوثها من جهة، والقائمين عليها والمستهدفين بها من جهة أخرى، كل ذلك يجعل من الصعب حصرها في كلمة واحدة وإيجاد تعريف موحد عالمي للتفسير عن معنى الإرهاب[٣].

وأيًا يكن تعريف الإرهاب فإن هذه القضية خاصة بعد ٢٣ جماد الآخر/ ١١ سبتمبر أصبحت تلاحق الإسلام في إشارة منها أنه المحرك الرئيس لهذه الظاهرة نتيجة دخول بعض البلاد الإسلامية طرفًا في هذه المشكلة[٤].

وبما أن المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية تنتميان للمجموعة الدولية

(١) وزارة الثقافة والإعلام: موقف السعودية من الإرهاب، ص١٧.

(٢) علي فايز الجهني: التعاون العربي في مكافحة الإرهاب، ندوة مكافحة الإرهاب التي عقدت في الرياض من ١٦ـ ١٤٢٠/٢/٨هـ الموافق ٥ـ١٩٩٩/٦/٢م، ص١٨١.

(٣) وزارة الإعلام: موقف السعودية من الإرهاب، ص٢٣.

(٤) عبد المجيد الشرفي: الإسلام والعنف، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٢، مارس ١٩٨٢م، تونس، ص١٧.

الإسلامية فقد وجدت نفسها تنكر على الإسلام هذه الظاهرة، كما أنها تندد بهذه العمليات التي ترتكب ضد الإنسانية، وتعمل على تدمير المجتمعات الآمنة، كما أنها تعمل على طمس الحقائق الواقعة على القطر الفلسطيني وغيره من الأقطار التي تدافع عن حقوقها المغتصبة والمسلوبة.

وقد ارتبطت المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها بالإسلام دينًا ودولة، واتخذت من الشريعة الإسلامية دستورًا ونظامًا للحكم فيها، عدا أنها حامية للمقدسات الإسلامية، ولذلك نجد قادتها يعملون على تنقية الشوائب المنتسبة للإسلام في خطباتهم السياسية ويرفضون ربط الإرهاب بالإسلام مؤكدين على أن الدين الإسلامي دين قام على نبذ التعصب والتطرف وعلى السلام والمحبة وفي ذلك يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز:

> «إن روح التعصب أبعد شيء عن الإسلام إذ يثير البغضاء والعداوة بين المسلمين، والحقيقة أن التعصب لا معنى له في الإسلام»(١).

كما أكد صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ـ وزير الداخلية ـ عن نبذ الإسلام للإرهاب قائلاً:

> «الإرهاب نقيض الإسلام تمامًا حيث أن الإسلام يعظم من حياة الإنسان، والإرهاب يسترخصها ويبيحها... والإسلام يؤسس أمن المجتمعات وطمأنينتها، والإرهاب يقوض ركائز الأمن وطمأنينة النفوس، ولهذا كان من المهم الإقرار بأن الإرهاب لا وطن ولا عقيدة له... إن الإرهاب بكل صوره وأشكاله يعد حربًا خطيرة على المجتمعات وخطورته تشتد من واقع كونه حربًا يتحرك مجرموها في الظلام ويهدمون أمن الناس من حيث لا يتوقعون، ويستبيحون أرواحهم وأموالهم دون ذنب

(١) وزارة الإعلام: موقف السعودية من الإرهاب، ص١١٣.

اقترفوه»(١).

وقد عمد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على ضرورة التأكيد في الفصل بين الإرهاب وبين الجهاد النضالي، حيث قال:

«لابد من أن نؤكد على ضرورة عدم الخلط بين ظاهرة الإرهاب الذي يهدف إلى تخريب المجتمع من أساسه، وبين حقوق الشعوب في الدفاع عن وجودها والنضال من أجل حريتها وسيادتها عندما تتعرض هذه الشعوب للاحتلال والسيطرة والتعسف والتنكيل بصورة تتنكر لجميع المبادئ والقواعد الدولية»(٢).

وبعد أحداث ٢٣ من جماد الآخرة/ ١١ سبتمبر قامت إحدى القنوات الأمريكية التلفزيونية بإجراء مقابلة مع ولي العهد السعودي آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وقد أجاب سموه حول موضوع دعم بلاده للرئيس الأمريكي جورج بوش في حربه ضد الإرهاب فأجاب قائلاً:

«كل شخص يدعم محاربة الإرهاب، فالأمر يتعلق بالإنسانية فتقاليدينا وإيماننا يرفضان الإرهاب، فالقرآن يعلمنا أن قتل روح بريئة هو كمن قتل الناس جميعًا، نحن نرفض الإرهاب، فقد فاجأنا الإعلام الأمريكي في بداية الأزمة لانتقاده المملكة العربية السعودية، فكانت الهجمات الإرهابية صدمة وجريمة مروعة هزت الولايات المتحدة الأمريكية وهزت المملكة العربية السعودية، وبقية العالم، نحن نعلم أن طبيعتنا مختلفة فنحن نتعامل مع الأزمات بطرق مختلفة»(٣).

وعلى أثر هذا الحادث المروع أدانت المملكة العربية السعودية هذا العمل الإرهابي

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٢.

(٢) عبد الفتاح أبو عليه: مواقف خادم الحرمين الشريفين تجاه قضية فلسطين، ص٣٧.

(٣) خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود «خطب وكلمات»، قامت إدارة الملك عبد العزيز بطباعة هذا الكتاب بمناسبة مرور عامين على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز مقاليد الحكم، ص٣١٢.

الـذي ضرب العمـق الأمريكـي في رسـالة واضـحة للأمـم المتحـدة في دورتهـا السادسـة والخمسين عن طريـق ممثـل المملكـة الـدائم لـدى الأمـم المتحـدة السيد فـوزي عبـد الحميـد شبكشي وقد جاء في هذه الرسالة:

«مـن الممثـل الـدائم للمملكـة العربيـة السـعودية لـدى الأمـم المتحـدة أتشرـف بإفـادة معاليكم بأن المملكة العربيـة السـعودية ملكًـا وحكومـة وشـعبًا أدانـت مـا حـدث في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ من أعمال إرهابية شائنة استهدفت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ونجمت عنها خسائر فادحة في الأرواح ودمار هائـل وأضرار بالغـة في الممتلكـات، فقـد أصدرت حكومة المملكة العربية السعودية بيانًا نددت فيه بهـذا العمـل الإجرامـي الـذي يتعارض مع جميع القيم الدينية والمفاهيم الحضارية الإنسـانية، وفي رسـالة وجههـا خـادم الحـرمين الشرـيفين إلى الـرئيس الأمريكـي أكـد فيهـا عـن اسـتنكاره الشـديد وتنديـده وشـجبه لمثـل هـذه الأعـمال، وأعـرب عـن خـالص التعـازي والمواسـاة لأسر الضـحايا وللشعب الأمريكي الصديق وعن تكاتف المملكة مع المجتمع الدولي للوقـوف في وجـه الإرهاب ومحاربته بجميع أشكاله وصوره، وفي اتصال هاتفي بـالرئيس الأمريكـي، قـدم صاحب السمو الملكي ولي العهد، نائب رئيس مجلس الـوزراء ورئـيس الحـرس الـوطني مواساته لفخامته وللشعب الأمريكي على ضحايا الحـادث الألـيم الـذي نـتج عـن عمـل إرهـابي ترفضـه الـديانات السـماوية وتزدريـه، وأبـدى سـموه اسـتعداد المملكـة العربيـة السعودية التـام للتعـاون مـع الحكومـة الأمريكيـة في كـل أمـر يسـاعد عـلى الكشـف عـن هوية المرتكبين للحادث الإجرامي ومتابعتهم»[(١)].

وكما كان واضحًا الموقف السعودي إزاء تلك الأحـداث الإرهابيـة والتنديـد بهـا كـان ذلـك أيضًـا موقـف الجمهوريـة التونسـية التـي اسـتنكرت هـذه الأعـمال الإرهابيـة مناشـدة المجموعة الدولية على العمل بشكل جماعي لتضـييق الخنـاق عـلى هـذه المنظمات، ومـن هـذا المنطلق أكد وزير الخارجية التونسي السيد الحبيب بن يحيى هذه التوجهات بقوله:

---

(١) وزارة الإعلام: موقف السعودية من الإرهاب، ص١٢٨.

«من هذا المنطلق رحبت تونس التي انضمت إلى كافة الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بمكافحة ظاهرة الإرهاب بتوجه الأسرة الدولية نحو معالجة هذه الظاهرة معالجة جماعية... وإن تونس تعتقد أنه من الضروري مواصلة العمل على تكريس هذا التوجه وتعميقه بما يساعد على التصدي لظاهرة التطرف والإرهاب في كنف تعاون دولي محدد الوسائل والأهداف...»(١).

وقد كانت القيادة في تونس قبل أحداث ٢٣ جماد الآخرة ١٤٢٢هـ/ ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تؤكد على خطورة هذه الظاهرة وضرورة التصدي لها، وعندما وقعت هذه الأحداث الإرهابية وهي تفجير مبنى مركز التجارة العالمي بنيويورك، أثبتت وجهة النظر التونسية، بعدما تفتحت عيون العالم على خطورة الوضع الجديد، وفي هذا السياق يقول وزير الخارجية التونسي السيد الحبيب بن يحيى:

«بالرغم من أن ظاهرة التطرف والإرهاب سابقة لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فإن هذه الأحداث جاءت لتحرك سواكن العالم وتفتح عيون الأسرة الدولية على خطورة هذه الظاهرة العابرة لكافة الحدود، وقد أثبتت هذه الأحداث وجاهة النظرة التونسية إلى ظاهرة التطرف والإرهاب حيث أن تونس أدركت مبكرًا خطورتها ونبهت المجموعة الدولية إلى ما تمثله من تهديد لاستقرار الشعوب وأمنها وسلامها، وقد تجلى ذلك في الدعوات التي وجهها سيادة الرئيس زين العابدين بن علي على امتداد العقد الأخير من القرن الماضي ومن أعلى العديد من المنابر الإقليمية والدولية إلى ضرورة الوعي بخطورة هذه الظاهرة، ويكفي أن أشير في هذا السياق إلى أن سيادة الرئيس زين العابدين بن علي أكد في عدة مناسبات أن ظاهرة التطرف والإرهاب تهدد كافة بلدان العالم دون استثناء وتمثل خطرًا على الإنسانية جمعاء...»(٢).

---

(١) وزارة الشؤون الخارجية «إدارة الإعلام»: السياسة الخارجية التونسية (كلمات، مداخلات، محاضرات السيد الحبيب بن يحيى وزير الشؤون الخارجية وبيانات صحفية صادرة عن الوزارة) ص٥٦.

(٢) وزارة الشؤون الخارجية «إدارة الإعلام» السياسة الخارجية التونسية، ص٥٦.

وقد أكد السيد وزير الخارجية بأن تونس حكومة وشعبًا ومن منطلق عقيدتها الإسلامية التي تدين بها ترفض بشدة ربط الإرهاب بالإسلام حيث قال في حديثه:

«تعتقد تونس أنه من الضروري في كل معالجة سلمية لهذه الظاهرة أن يقع تحاشي الخلط بينها وبين الدين الإسلامي، وتفادي الانزلاق نحو إلصاقها بالعرب والمسلمين حصرًا، ذلك أن مثل هذا الخلط من شأنه أن يفضي إلى تأجيج أسباب الصراع بين الحضارات وتصادم الثقافات...»(١).

وفيما يتعلق بموضوع الخلط بين الإرهاب وبين نضال الشعوب المغلوبة على أمرها، صرح السيد الحبيب بن يحيى وزير الخارجية التونسي قائلاً:

«إنه من الضروري تجنب الخلط بين الإرهاب وحق الشعوب في تقرير المصير والتحرر، كما نؤكد من جديد رفضنا المطلق للمحاولات الرامية إلى تشويه القضية الفلسطينية العادلة، كما نؤكد من جديد رفضنا المطلق لمحاولات دعاة التطرف ركوب القضية الفلسطينية كمبرر لأعمالهم الإرهابية...»(٢).

وقد توحدت الجهود السعودية والتونسية في إدانة الإرهاب والتطرف، وعلى بذل الجهود والمساعي للحد من هذه الظواهر، وقد وقعت كل من السعودية وتونس معاهدات أمنية في سبيل تحقيق هذا التعاون ضد الإرهابيين(٣)، كما عمل قادة البلدين في تدعيم هذه القضية ومكافحتها من خلال مشاركتها في مؤتمرات القمم سواء الإسلامية أو العربية مؤكدة تعاونها مع الأسرة الدولية في منظمة الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب.

فقد شاركت الدولتان في مؤتمر القمة الإسلامي الخامس المنعقد في دولة الكويت عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م حيث أصدر بيانًا في هذا الموضوع:

---

(١) المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) وزارة الثقافة والإعلام: موقف السعودية من الإرهاب، ص١٢٧.

«... أعرب مؤتمر القمة عن قلقه وانزعاجه البالغين إزاء ظهور وتفاقم ظاهرة الإرهاب الدولي بكافة أشكالها في مختلف ربوع العالم، وأعلن رفضه للمحاولات المغرضة التي تبذلها القوى المعادية للإسلام، للربط بين الإرهاب وتصعيده وبين المسلمين، وأدان المؤتمر إدانة قاطعة كل أعمال الإرهاب الدولي الإجرامية، وأعلن استعداد الدول الإسلامية للتعاون فيما بينها ومع المجتمع الدولي للقضاء على الإرهاب الدولي وأدان المؤتمر في قرار آخر محاولات طمس الفارق بين الإرهاب والكفاح التحريري المشروع للشعوب، وأيد فكرة عقد مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة لوضع تعريف للإرهاب الدولي»(١).

وقد شاركت المملكة العربية السعودية مع الجمهورية التونسية ومع بقية أعضاء جامعة الدول العربية على تصديق الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي أطلقتها جامعة الدول العربية في القاهرة سنة ٢٥ ذي الحجة ١٤١٨هـ/ ٢٢ أبريل ١٩٩٨م(٢).

وفي عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م عقدت جامعة الدول العربية قمتها في الدورة السادسة عشر العادية بمدينة تونس في فترة ٣ـ ٤ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/ ٢٢ـ ٢٣ مايو ٢٠٠٤م، وأصدرت بيانًا متعلق بمسألة الإرهاب جاء فيه:

«تعلن القمة مواصلة العمل في إطار الشرعية الدولية وبشراكة بين الدول العربية والمجتمع الدولي، مكافحة الإرهاب بكافة أشكاله واقتلاعه من جذوره، وتفكيك شبكاته، ومعالجة أسبابه، ومكافحة غسيل الأموال، وتجارة المخدرات، والجريمة المنظمة، مع التمييز بين الإرهاب المدان والحق المشروع للشعوب في مقاومة الاحتلال...»(٣).

---

(١) مركز التوثيق الوطني القومي: ملف خاص بتونس ومنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم الموضوع 142/050/79.

(٢) مجلة الدراسات الدولية، العدد ٧٣، ١٩٩٩/٤، تونس، ص٨١ـ ٩٣.

(٣) مجلة الدراسات الدولية، العدد ٩١، يوليو/٢٠٠٤، تونس، ص٨٥ـ ٨٧.

الفصل الثالث

العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية السعودية التونسية
خلال الفترة ١٣٦٥- ١٤٢٦هـ/ ١٩٤٥- ٢٠٠٥م

وفيه:

المبحث الأول: العلاقات الثقافية بين السعودية وتونس.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية بين السعودية وتونس.

المبحث الثالث: الصلات الاجتماعية بين السعودية وتونس.

المبحث الأول

العلاقات الثقافية بين السعودية وتونس

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـــــب الأول: الأوضاع الثقافية في تونس في ظل التطورات السياسية.

المطلـــب الثـــاني: جذور التبادل الثقافي بين البلدين.

المطلـــب الثالـــث: مظاهر التعاون العلمي والثقافي بين البلدين.

المطلب الأول

الأوضاع الثقافية في تونس في ظل التطورات السياسية

حتى نستطيع أن نقرأ عن التعاون الثقافي بين السعودية وتونس، وعن أشكال التبادل العلمي والثقافي بينهما، ينبغي علينا أن نلقي الضوء على الأوضاع الثقافية في تونس، وذلك نتيجة للأوضاع السياسية التي عاشتها في عهد الاستعمار وما بعد الاستقلال.

وتعتبر تونس دولة عربية مسلمة، تتشارك مع بقية الدول العربية في عناصر الثقافة العربية، وهي: اللغة والدين والقِيَم والعادات والطابع العام في التراث العربي الإسلامي(١)، إلى أن جاءت فرنسا لتفرض حمايتها على البلاد التونسية عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م، كما عمدت بكافة الوسائل إلى طمس الهوية العربية والإسلامية لتونس، ومحاولتها بشتى الطرق تطبيق سياسة الاندماج مع فرنسا، إلا أنها لم تستطع تحقيق تلك الأهداف التي كانت تصبو إليها، فعلى الرغم من فشل المقاومة المسلمة التونسية في مواجهة العدو المستعمر، إلا أنها استطاعت مواجهته عن طريق الفئة المثقفة في البلاد، التي سعت إلى تثقيف الشعب وتوعيته، فعمدت إلى إنشاء الصحف والاهتمام بقضية التعليم، فأنشأت مدرسة الخلدونية عام ١٣١٤هـ، ١٨٩٦م، وقد انتهجت هذه المدرسة في تعليم أبنائها الطلبة العلوم العصرية، كما جرى تطوير التعليم في جامع الزيتونة الذي عرف بطابعه الديني، وإلقاء المحاضرات العلمية وتدريس اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية بها، وقد أدى هذا الاتجاه الثقافي التوعوي، إلى خلق قوة فكرية وثقافية

---

(١) عبد المالك التميمي: إشكالية العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب العربيين، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ٣٩١.

يرجع إليها الفضل في ظهور الأحزاب السياسية التي شارك فيها فئات المجتمع التونسي، وناهض من خلالها الاستعمار وأساليبه الرامية إلى فرض الثقافة الفرنسية على البلاد التونسية(١).

وعندما أعلنت تونس استقلالها، وإلغاء الملكية وقيام النظام الجمهوري كأساس للحكم؛ فقد نص دستورها على أنها دولة عربية مسلمة، لغتها الرسمية اللغة العربية، كما يعتنق غالبية سكانها الدين الإسلامي بنسبة ٩٨٪، وقد اتبع زعماء الحكومة التونسية الجديدة نظام الاعتماد على تطبيق سياسة تعليمية وتثقيفية في البلاد(٢)، وقد كان هذا الاتجاه واضحًا في سياسة الرئيس الحبيب بورقيبة، الذي عمد إلى تخصيص حوالي ثلث الميزانية لهذا القطاع؛ إيمانًا منه بوجوب خلق بنية أساسية صلبة في مجال التعليم، والتعليم العالي ودعم البحث العلمي(٣)، كما اعتمد على النموذج الفرنسي كرمز للحداثة والتقدم على المستوى السياسي والإداري والثقافي، ولذلك كانت الثقافة والتاريخ الفرنسي حاضرًا بقوة في نظام التعليم التونسي، حيث درست اللغة الفرنسية منذ العام الأول في المدرسة الابتدائية إلى جانب العربية، وبذلك فإن القيم الاجتماعية والثقافية وأسلوب الحياة في المجتمع التونسي عبارة عن مزيج من الثقافة العربية والفرنسية(٤).

---

(١) نورة الحامد: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦ – ١٣٢٦ هـ/ ١٨٤٠ – ١٩٠٨م)، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥)، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) هادية المقدم وآخرون: مدخل إلى السياسات الثقافية في العالم العربي، (ط١، القاهرة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص ٦٥.

(٣) أعليه علاني: العلاقات العلمية والبحثية بين تونس ودول الخليج من خلال بعض النماذج، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الخامس، قيد النشر، ص١.

(٤) هادية مقدم وآخرون، المرجع السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثاني

جذور التبادل الثقافي بين البلدين

يمكن تعريف التبادل الثقافي بين الأمم بأنه عبارة عن مجموعة من النشاطات الثقافية التي تقوم بها دولة على أرض دولة أخرى، بغرض التعريف بثقافتها وحضارتها، سواء كان ذلك عن طريق نشر المؤلفات العلمية، أو إلقاء محاضرات ثقافية، أو غير ذلك من أشكال التظاهرات الثقافية، ويعود أهمية هذا التبادل إلى تعزيز العلاقات الثقافية بين الدول، وخاصة الدول العربية فيما بينها، حيث يعمل على تقوية الموقف العربي من حيث الحفاظ على تراثه، وتاريخه، وحضارته، وصون لغته العربية التي تعتبر البوابة الرئيسة للحضارة الإسلامية والعربية، أمام التطورات والمتغيرات العلمية والتكنولوجية(١).

وتعتبر المملكة العربية السعودية ودولة تونس من الدول التي آمنت بأهمية التبادل الثقافي، فقامت كلاهما بجهود حميدة لتدعيم هذا الاتجاه لما يعود بالنفع على بلديهما وعلى أمتهما الإسلامية والعربية.

وقد رأينا قبل التحدث عن العلاقات الثقافية بين البلدين في العصر الحديث أن نشير إلى جذور هذه الصلات الثقافية بين المنطقتين، فالمملكة العربية السعودية تمثل القطب المشرقي، بينما تونس تمثل القطب المغربي، وبما أن الدولتين تتشاركان في الهوية الإسلامية والعربية، فكان من الطبيعي أن يحدث اتصال ثقافي وتجاري بين المنطقتين، ويعود الفضل في تقوية هذه الصلات الثقافية إلى الرحالة، سواء أكانوا من العلماء أم من

(١) ناصر محمد الجهيمي: واقع التبادل الثقافي بين دول مجلس التعاون الخليجي ودول المغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

الحجيج الذين يغدون كل عام لأداء مناسك الحج(١).

وقد أقام في الحجاز عدد من العلماء التونسيين الذين جاءوا إما بدافع أداء فريضة الحج أو المجاورة في المدينة المنورة، وكان هؤلاء العلماء قد تلقوا العلم في جامع الزيتونة الذي قام بدور في تنمية الحياة الثقافية بتونس.

ومن هؤلاء العلماء: محمد بن علي التميمي التونسي(٢)، والشيخ التارزي بن عزوز المبرجي الذي هاجر مع أبنائه وأحفاده إلى المدينة المنورة بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، والشيخ محمد العزيز بن الوزير(٣) الذي كان مدرسًا بالحرم النبوي الشريف(٤).

ومن ناحية أخرى قدم إلى تونس عدد من علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة، تدفعهم الرغبة بالاتصال مع العلماء التونسيين والتباحث معهم في النواحي العلمية. ويمكن ذكر بعض هؤلاء العلماء الحجازيين: الشيخ محمد بن ظاهر المدني(٥)، والشيخ محمد صالح

---

(١) عبد المالك بن خلف التميمي: إشكالية العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب العربيين في التاريخ الحديث، ص ٣٩٣.

(٢) فقيه مالكي، ينحدر من عائلة قيروانية مستقرة بالعاصمة، درس في جامع الزيتونة، ثم توجه إلى القاهرة، وعين إمامًا بجامع محمد بن أبي الذهب، وناظرًا على أوقافه إلى جانب عمله مدرسًا بالأزهر، قام الخديوي عباس بنفيه من مصر، فرحل إلى الحجاز، وبقي بها مدة ثم توجه إلى إستانبول وتوفي فيها سنة ١٢٨٦ هـ/١٨٦٩م.
انظر: محمد محفوظ؛ تراجم المؤلفين التونسيين، (د. ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) جـ٥، ص ٢٠٣.

(٣) هو من أعلام الفقهاء، رحل إلى الحجاز وجاور المدينة، ونال فيها مكانة جيدة وبقي هناك إلى أن توفي في حدود عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، نوره بن معجب الحامد: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، ص ١١٠.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) هو من قبيلة الظوفر من غرب الحجاز، ولد في ليبيا واستقر بالمدينة المنورة، وكان عالمًا فاضلاً متواضعًا، عين عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م وكيلاً للتونسيين في المدينة المنورة... المرجع السابق، ص ١١٣.

الرضوي(١) وغيرهم(٢).

كما أنه ينبغي علينا أن نشير في ضوء الصلات الثقافية بين الدولة السعودية والبلاد التونسية إلى انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في البلاد التونسية، وذلك عن طريق رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الباي حمودة باشا، التي كانت تعبر في فحواها عن مبادئ الشريعة الإسلامية الصحيحة.

وعلى الرغم من تفاوت صدى الدعوة السلفية في تونس بين مؤيد ومعارض إلا أنها تسجل نتيجة واقعية ألا وهي مدى انتشار الدعوة السلفية في البلاد التونسية(٣).

وعندما بدأ بزوغ نجم الدولة السعودية في الأفق قدم على تونس شخصيات نجدية وحجازية، تبشر بقيام الدولة السعودية وتبين العقيدة السلفية المصاحبة لها بالظهور، منهم الشيخ إبراهيم بن معمر، والشيخ عمر البري المدني(٤).

وعندما قامت الدولة السعودية على يد مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وإيمانًا منها بأهمية إنشاء بنية تعليمية فى الدولة الناشئة، والاستفادة من الخبرات العلمية من الدول الصديقة، فقد عمدت إلى طلب إرسال بعثة تونسية بغرض العمل والتعليم في البلاد السعودية في عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، وعلى الرغم من أن هذه الرسالة الموجهة من ديوان نائب جلالة الملك ورئيس مجلس الوكلاء، فلم تعثر الباحثة على مرفقات لهذا

(١) رحالة أصله من سمرقند، رحل إلى الهند واليمن ومصر وتونس والجزائر وغيرها، واستقر بالمدينة المنورة، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) وقد ذكرنا تلك المعلومات سابقًا في الفصل الأول، انظر ص

(٤) وقد أشرنا ذلك في الفصل الأول، انظر ص

الخطاب ـ قد تكون فُقِدَت نتيجة طول المدة[١] ـ إلا أن في ذلك إشارة قوية على أن التبادل الثقافي بين البلدين قد بدأ في فترة متقدمة قبل استقلال تونس.

(١) مركز الوثائق والمحفوظات، وثيقة بموضوع البعثة التونسية المقترح إرسالها إلى البلاد السعودية، رقم الوثيقة ٢٢٢، مصدرها النيابة العامة، بتاريخ ١٣٦٤/٤/١٦هـ.

المطلب الثالث

مظاهر التعاون العلمي والثقافي بين البلدين

يَتَجَسَّد البُعد الحضاري للعلاقات السعودية التونسية من خلال جسور التبادل الثقافي الممدودة بين البلدين؛ فمنذ استقلال تونس سادت العلاقات الحميمة بين حكامها وحكام المملكة العربية السعودية، مما أدى إلى أن آفاق التعاون الثقافي والبحثي يترسخ(١)، ويتمثل هذا التعاون الثقافي في عدة أشكال وهي:

أ. الاتفاقيات:

- تم الإمضاء على مشروع معاهدة الصداقة والتعاون بين الجانب السعودي والتونسي عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م، وتضمن ثمان مواد جاء في مادتها الثالثة: «يتعهد الطرفان بتشجيع التعاون الثقافي والعلمي والفني والإعلامي بين البلدين الشقيقين، ويعملان على إنماء التبادل في تلك الميادين المختلفة»(٢).

- مشروع اتفاقية إعلامية بين البلدين بتاريخ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، وقد احتوت هذه الاتفاقية على عشر مواد، جاء فيها التأكيد على تسهيل كافة النشاطات الإعلامية، وتبادل الخبرات الفنية والمنح الدراسية في مجال الإعلام، وتبادل البرامج الإذاعية ونشرات الأنباء. وفي خِضَمّ دعم الجانب الحضاري والثقافي على المستوى الشعبي بين البلدين جاءت المادة السابعة تؤكد على «يعمل الطرفان المتعاقدان على إذاعة وعرض

---

(١) أعلية علاني: العلاقات العلمية والبحثية بين تونس ودول الخليج من خلال بعض النماذج، ص٥.

(٢) مركز الوثائق والمحفوظات، مشروع معاهدة الصداقة مع تونس، وثيقة رقم ٣٣٢، الرياض، مصدرها مجلس الوزراء، بتاريخ ١٣٩١/٥/١٣هـ.

برامج خاصة، تعرّف مواطني الدولتين بمظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لشعب الدولة الأخرى، وخاصة في المناسبات الوطنية لكل منهما»[١].

- إمضاء محضر اتفاق بين تونس والمملكة العربية السعودية عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م في مجال تبادل الخبرات الثقافية والتربوية والتقنية[٢].

- اتفاقية تعاون بين حكومة المملكة العربية السعودية وتونس في المجالات الثقافية، تتضمن كذلك خمس عشرة مادة وهي بتاريخ ٢٠ من شوال ١٤١٧هـ/ ٢٧ من فبراير ١٩٩٧م[٣].

- وفي مجال التعليم العالي عقدت اللجنة السعودية التونسية المشتركة دورتها السادسة بالرياض في الثالث عشر والرابع عشر من شوال ١٤٢٣هـ، الموافق ١٧- ١٨ من ديسمبر ٢٠٠٢م. وقد وردت ضمن التوصيات فيما يتعلق بمجال التعليم العالي النقاط التالية:

١- تبادل الزيارات بين مسئولي التعليم العالي وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والزيارات الطلابية.

٢- تشجيع تبادل المِنَح والتنسيق والتعاون في المجالات الدراسية.

٣- معادلة الشهادات الجامعية.

---

(١) مركز الوثائق والمحفوظات، مشروع اتفاقية إعلامية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية، رقم الوثيقة ١٠٣، مصدرها مجلس الوزراء، بتاريخ ١٣٩٦/١/١٧هـ.

(٢) مذكرة من وزارة الثقافة التونسية «إدارة التعاون الدولي والعلاقات الخارجية»، أيضًا بحث أعلية علاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا، الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥م.

(٣) أعلية علاني: العلاقات العلمية والبحثية بين تونس ودول الخليج من خلال بعض النماذج، ص٩.

٤- التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والتنسيق بين الجامعات في البلدين.

٥- تبادل المعلومات والخبرات في المجالات العلمية، والمشاركة في ورش العمل والندوات والمؤتمرات وتبادل الكتب والمطبوعات.

٦- إتاحة المجال لدراسة الطب والعلوم الطبية المساعدة في تونس للطلبة السعوديين.

٧- تعزيز التعاون في مجال التعليم العالي والبحث العلمي والتقني.

٨- دعم العلاقات والتعاون في مجال البحث العلمي المشترك(١).

ب) الزيارات العلمية والثقافية:

في شهر شوال من عام ١٣٨٠هـ - إبريل ١٩٦١م دعت الحكومة التونسية وفدًا يمثل جميع وسائل الإعلام السعودية لزيارة الجمهورية التونسية، وقد نشرت الصحف السعودية العديد من المقالات عن انطباعات الوفد عن تونس، كما انفرد أحد رؤساء تحرير الصحف بنشر مقابلة طويلة مع رئيس الجمهورية التونسية «الحبيب بورقيبة»، كما أجرى مندوب الإذاعة السعودية عباس فائق غزاوي عددًا من اللقاءات مع المسئولين ومثقفي تونس(٢).

- زيارة السيد ناصر الطريقي مدير الجامعة الإسلامية «محمد بن سعود» بالرياض إلى تونس في ربيع الآخر عام ١٣٩٦هـ/ إبريل ١٩٧٦م، واتصاله بعدد من الرموز

---

(١) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس: لمحة عن العلاقات السعودية التونسية، ص ١١٣ – ١١٥.

(٢) عبد العزيز بن صالح بن سلمة: مجالات التعاون الإعلامي بين الخليج والمغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٣٧٩.

العلمية من مديري وعمداء الكليات للنظر في سبل التعاون التربوي بين البلدين[١].

– زيارة مفتي تونس الشيخ الحبيب بلخوجة إلى الرياض في ١٨ من المحرم ١٣٩٧ هـ/ ٨ من يناير ١٩٧٧م للمشاركة في الاجتماع الدوري للجنة التنفيذية لرابطة الجامعات الإسلامية[٢].

– زيارة الشيخ محمد عبده يماني الوزير السعودي للثقافة والإعلام إلى تونس في ١٤ من شعبان ١٣٩٧هـ/ ٣٠ من يوليو ١٩٧٧م، لتطوير التعاون الإعلامي والثقافي بين البلدين، والمشاركة في الدورة الثالثة عشر لوزراء الإعلام العرب[٣].

– زيارة السيد غالب حمزة أبو الفرج المدير العام للصحافة بوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية إلى تونس في موسم ١٣٩٨هـ الموافق يناير ١٩٧٨م[٤].

– زيارة وزير الحج والأوقاف السعودي عبد الوهاب عبد الواسع في ١٣ من صفر ١٤٠١هـ، الموافق ١٠ من ديسمبر ١٩٨١م لإدارة الشعائر الدينية التونسية، وقد أطلع على أهم أنشطتها في دعم المبادئ الإسلامية والحفاظ على المعالم الأثرية الإسلامية. وقد أكد الوزير السعودي على ضرورة تدعيم العمل المشترك بين كل الدول الإسلامية، من أجل حماية الإسلام من أعدائه المتربصين به في كل مكان، والحاجة إلى ضرورة تكوين الشباب دينيًا[٥].

(١) أعلية علاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا: الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥ – ١٩٨٢م، ص ٢٧.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٥) المرجع السابق ص ٢٩.

- زيارة وزير المعارف السعودي إلى تونس في ١٦ من ربيع الآخر ١٤٠٢هـ الموافق ١٠ من فبراير ١٩٨٢م، للتعرف على التجارب التربوية بتونس، واستقدام عدد من التربويين من خبراء التدريس للقيام بمهام التعليم بالمملكة(١).

- زيارة عبد الله الوصيف عميد كلية الشريعة الزيتونية بتونس إلى المملكة العربية السعودية في ١ من جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ/ ٢٤ من فبراير ١٩٨٢م، لتمثيل تونس في اللجنة الموسعة المكلفة بإعداد النظام الأساسي للمجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والتقى هناك بمدير جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ومدير جامعة أم القرى بمكة المكرمة(٢).

- زيارة عميد كلية التربية بجامعة الملك سعود الأستاذ الدكتور أحمد التويجري بالرياض إلى تونس في شعبان ١٤٠٩هـ/ الموافق إبريل ١٩٨٩م، وقد أجرت معه جريدة الحرية التونسية لقاءً صحفيًا عن أسباب زيارته ونتائجها؛ حيث أكد على أن زيارته هذه تدخل في إطار التعاون الدائم والمستمر بين الحكومة السعودية والحكومة التونسية في مجال التعاون الفني، الذي يمتد إلى المجالات العلمية والثقافية وتبادل الكفاءات والخدمات العامة(٣).

- زيارة السيد عبد الله العصيمي المدير المساعد لإدارة حقوق المؤلفين بوزارة الإعلام السعودية لتونس من ٨ – ١٢ من ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق ٢٩ من يونيو إلى ٤ يوليو ٢٠٠١ م، بناءً على دعوة وجهت له من قِبَل المؤسسة التونسية لحماية حقوق المؤلفين؛ قصد الاطلاع على التجربة التونسية في مجال التصرف الجماعي في حقوق

(١) أعليه علاني: العلاقات السعودية التونسية وتطورها رسميًا وشعبيًا، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني، «لقاء مع عميد كلية التربية بجامعة الملك سعود بتاريخ ٧ من أبريل ١٩٨٩م »، الملف الخاص بالعلاقات التونسية السعودية.

المؤلفين. وقد أوصت اللجنة بمواصلة التعاون في هذا المجال[١].

- زيارة معالي وزير التعليم العالي الدكتور/ خالد بن محمد العنقري إلى تونس، على رأس وفد مكون من عدد من معالي مديري الجامعات السعودية خلال الفترة من ٢٤ – ٢٨ من المحرم ١٤٢٥هـ الموافق ١٥- ١٩ من مارس ٢٠٠٤م، لتوطيد التعاون في مجال التعليم العالي والبحث العلمي والتقني بين البلدين الشقيقتين[٢].

- زيارة وزير الثقافة والإعلام السعودي الدكتور إياد بن أمين مدني إلى تونس من ٢٥ إلى ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ٣ إلى ٧ يونيو ٢٠٠٥م، وذلك لافتتاح الأيام الثقافية السعودية بتونس، وقد تم خلال هذه الزيارة التدارس حول السبل الكفيلة بالارتقاء بالتعاون الثقافي إلى مستوى الشراكة[٣].

جـ) مشاركات البلدين في التظاهرات الثقافية:

مشاركة تونس في المعرض الدولي للكتاب بجدة في ١٧ من ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ/ ٤ من مارس ١٩٨٠م بحضور سفير تونس بالمملكة السيد قاسم بوسنينه، ومدير الدار التونسية للنشر عزوز الأصرحه[٤].

وفي ٢٧ من رجب ١٤٠٠هـ الموافق ١٠ من يونيو ١٩٨٠م تم افتتاح الأسبوع الثقافي التونسي بالمملكة العربية السعودية حيث دشن الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة. بحضور السفير التونسي بالمملكة السيد قاسم بوسنينه بتدشين جناح

(١) مذكرة من وزارة الثقافة «إدارة التعاون الدولي والعلاقات الخارجية» بعنوان التعاون الثقافي التونسي السعودي.

(٢) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس، لمحة عن العلاقة السعودية التونسية، ص ١١٦.

(٣) مذكرة من وزارة الثقافة التونسية «إدارة التعاون الدولي والعلاقات الخارجية»، بموضوع التعاون الثقافي التونسي السعودي.

(٤) أعليه علاني: العلاقات السعودية التونسية وتطورها رسميًا، ص٢٨.

تونس في المعرض الذي تنظمه الجمعية الخيرية النسائية بجدة، في ٢٢ من جمادى الأولى ١٤٠١هـ الموافق ٢٧ من مارس ١٩٨١م، وقد اشتمل الجناح التونسي على منتجات من الصناعات التقليدية وكتب تونسية للأطفال[(١)].

وفي ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠١هـ الموافق ٢٠ أبريل ١٩٨١م قام وزير الثقافة التونسي البشير بن سلامة بافتتاح المعرض السعودي بتونس، بحضور سفير المملكة بتونس السيد عبد الرحمن العمران، وقد اشتمل المعرض على العديد من الكتب والمؤلفات في جميع المجالات والتخصصات العلمية والإنسانية، ويهدف المعرض إلى اطلاع الناشر التونسي على الحركة الثقافية والفكرية والعلمية وإعطاء صورة عن قطاع النشر في المملكة العربية السعودية[(٢)].

نظمت وزارة الثقافة بتونس حفل في ٨ من شعبان ١٤٠١هـ الموافق ١٠ من يونيو ١٩٨١م، تسلم فيه السيد البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي- من سعادة الشيخ عبد الرحمن العمران سفير المملكة في تونس صكًا بمبلغ مليون ريال سعودي مساهمة من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في ترميم جامع عقبة بن نافع بالقيروان؛ أقدم مسجد في شمال إفريقيا، يعود بناؤه إلى عام خمسين من الهجرة، كما استلم صكًا بمبلغ ٥٠ ألف دولار لمشروع بناء مسجد سيدي عاشور بنابل[(٣)].

وتم افتتاح أسبوع الكتاب التونسي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بتاريخ ١٤ من جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ الموافق ٨ من أبريل ١٩٨٢م، وقد اشتمل المعرض على عدد

(١) أعليه علاني: العلاقات السعودية التونسية وتطورها رسميًا، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩.

كبير من الكتب والدراسات والتحقيقات في مجالات الأدب الحديث وكافة المواد العلمية والثقافية؛ بقصد تغذية الرابطة والصلة بين البلدين وتدعيم الحركة الفكرية فيما بينهما(١).

كما رصدت جريدة العمل التونسية بتاريخ ٢٧ من ذي القعدة ١٤٠٧هـ الموافق ٢٣ من يوليو ١٩٨٧م خبر إهداء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ١١٢,٠٠٠ نسخة من القرآن الكريم إلى المساجد التونسية، وذلك في نطاق دعم علاقات الإخاء والتعاون بين البلدين الشقيقين، وقد طبعت هذه المصاحف في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الذي يزود بالمصاحف القرآنية العديد من المساجد والمراكز الإسلامية في مختلف أنحاء العالم(٢).

وافتتحت السفارة السعودية في تونس برئاسة سفيرها إبراهيم السعد إبراهيم معرض الحرمين الشريفين الذي أقيم بقصر المؤتمرات بتونس في ٣٠ من رجب ١٤٠٩هـ الموافق ٧ من مارس ١٩٨٩م، وقد استعرض أعمال المعرض باب الكعبة القديم وكسوتها، وعدة مجسمات ضخمة للمسجد الحرام والمسجد النبوي، كما تضمن المعرض توزيع آلاف النسخ من المصاحف وماء زمزم والهدايا التذكارية، وقد كان الدخول للمعرض مجانًا حيث امتد افتتاحه إلى ثلاثة أسابيع(٣).

مشاركة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في أيام قرطاج المسرحية بفرقة

---

(١) أعليه علاني: العلاقات السعودية التونسية وتطورها رسميًا، ص ٣٠.

(٢) مركز التوثيق القومي الوطني، خبر صحفي في جريدة العمل التونسية، الملك فهد بن عبد العزيز يهدي ١١٢٠٠٠ نسخة من القرآن الكريم إلى المساجد التونسية، الملف الخاص بالعلاقات التونسية السعودية، ١٤٢/٢٢٤.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني، خبر صحفي في جريدة الصباح التونسية، معرض الحرمين الشريفين في تونس، الملف الخاص بالعلاقات التونسية السعودية، ١٤٢/٢٢٤.

الطائف المسرحية في رجب ١٤٢٢هـ، أكتوبر ٢٠٠١م(١).

مشاركة المملكة العربية السعودية في المعرض الدولي للكتاب بتونس الذي أقيم خلال أعوام ١٤٢١ – ١٤٢٣ – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠١ – ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤م(٢).

مشاركة المملكة العربية السعودية في مهرجان الحرس الدولي للفنون التشكيلية الذي أقيم في تونس خلال عامي ١٤٢٣- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣م(٣).

تنظيم اليوم الوطني السعودي بتونس يوم ٦ من شعبان ١٤٢٣هـ، الموافق ١٢ من أكتوبر ٢٠٠٢م بالمركز الثقافي والرياضي بالمنزة(٤).

المشاركة التونسية في ندوة حول «حقوق الملكية الفكرية» التي تنظمها مؤسسة نايف للعلوم العربية بتاريخ ٢٨ – ٣٠ من المحرم ١٤٢٤هـ الموافق ٣١ من مارس – ٢ أبريل ٢٠٠٣م(٥).

وفي خلال عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م تم تنظيم الأسبوع الثقافي السعودي في تونس، كما تم تنظيم الأيام الثقافية السعودية بتونس في نفس العام بتاريخ ٢٥ – ٣٠ من ربيع الآخر الموافق ٣ – ٧ من يونيو، والتي تم افتتاحها من قبل الدكتور إياد مدني وزير الثقافة والإعلام السعودي(٦).

---

(١) مذكرة من وزارة الثقافة التونسية، إدارة التعاون الدولي والعلاقات الخارجية، بعنوان التعاون الثقافي التونسي السعودي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

مشاركة رئيس جامعة الزيتونة السابق الأستاذ بوبكر الأخزوري في مهرجان الجنادرية الثقافي بالمملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م[١].

مشاركة رئيس جامعة الزيتونة الأستاذ سالم بو يحيى في حفل تسليم جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية بالمدينة المنورة لسنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م[٢].

د) التعاون على مستوى المراكز الثقافية ودورها في تعزيز العلاقات بين البلدين:

عقدت جامعة الأمير نايف للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض بالتعاون مع جامعة الزيتونة بتونس اتفاقية تعاون علمي مبرمة في تاريخ ٦ من صفر ١٤٠٩هـ/ ١٧ من سبتمبر ١٩٨٨م، وقد احتوت هذه الاتفاقية على ٦ مواد جاءت على النحو الآتي:

١- يستخدم كل من الطرفين الإمكانيات المادية والتجهيزات المتاحة لإلقاء المحاضرات أو عقد ندوات أو مناقشة رسائل علمية لأحد الطرفين في مقر الآخر، كلما استدعت الظروف ذلك.

٢- يقدم كل من الطرفين الإمكانيات العلمية المتاحة في المكتبة ومركز المعلومات والحاسب الآلي... إلخ للباحثين الذين تقتضي- أبحاثهم إعداد دراسات مقارنة تنتقي بعض البيانات المتوفرة لدى الطرف الآخر.

٣- تقوم كل من الجهتين في النطاق العلمي بتوفير الأساتذة والباحثين لإعانة الجهة الأخرى، سواء عن طريق المحاضرة أو البحث أو الاستشارة، فيما لا يتعارض مع العمل الرسمي لعضو هيئة التدريس.

٤- يوافق كل من الطرفين على تقديم التسهيلات لنظام الإشراف العلمي المشترك

---

(١) مذكرة من جامعة الزيتونة بموضوع التعاون العلمي والثقافي بين جامعة الزيتونة والجامعات السعودية.

(٢) المصدر السابق.

على الرسائل العلمية والأبحاث، بما يؤدي إلى إثراء البحوث عن طريق مساهمة واحد أو أكثر من أعضاء هيئة التدريس من أحد الطرفين.

٥- تبادل الزيارات العلمية بين أعضاء هيئات التدريس من الطرفين وتبادل الزيارات بين الطلبة والباحثين، كذلك تبادل المعلومات والرسائل العلمية والنشرات والأبحاث التي يصدرها كل من الطرفين.

٦- تقدم جامعة الزيتونة كافة التسهيلات لتسجيل الحاصلين على ماجستير المعهد العالي للعلوم الأمنية للحصول على درجة دكتوراة في مجالات التشريع الجنائي الإسلامي.

وقد قام بتوقيع الاتفاقية من الجانب السعودي الدكتور فاروق مراد ومن الجانب التونسي الدكتور تهامي نقرة[١].

وقد بلغ عدد الطلبة السعوديين المتحصلين على شهادات دراسات عليا من المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة إلى ٦٨ طالبًا موزعين كالآتى[٢]:

نوع الشهادة	العدد
دكتوراه دولة	٢٩ طالبًا
دكتوراه المرحلة الثالثة	١٢ طالبًا

(١) جامعة الزيتونة، رئاسة الجامعة، اتفاق تعاون علمي بين جامعة الزيتونة بتونس والمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، بتاريخ ٦ من صفر ١٤٠٩هـ - ١٧ من سبتمبر ١٩٨٨م.

(٢) مذكرة من جامعة الزيتونة بموضوع التعاون العلمي والثقافي بين جامعة الزيتونة والجامعات السعودية.

الدكتوراه	١٦ طالبًا
الدراسات المعتمدة	٩ طلاب
الماجستير	طالبان

وفي عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م تم إقامة تعاون مثمر بين المعهد الوطني للتراث بتونس والهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في مجال المحافظة وصيانة التراث، وتمت التوصية بضبط مشروع [١].

أيضًا عقدت اتفاقيات في إطار التعاون العلمي بين بعض الجامعات السعودية ونظيرتها التونسية، ونذكر في هذا الإطار اتفاقية جامعة الملك فهد للبترول والمعادن مع جامعة صفاقس التونسية، بالإضافة إلى اتفاقيات جامعات سعودية مع جامعة المنار وجامعة تونس[٢].

أيضًا من مظاهر التعاون العلمي على مستوى المراكز الثقافية، ذلك التعاون الذي تم بين دارة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية ومؤسسة التميمي للبحث العلمي بتونس، وقد تعاونت المؤسستان في عقد مؤتمر علمي خليجي مغاربي الأول في العاصمة التونسية في المدة من ٢-٤ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ ٢-٤ من يونيو ٢٠٠٣م، وتعد هذه المبادرة العلمية نحو تحقيق تبادل ثقافي مميز ما هي إلا خطوة جادة وفعلية لتحقيق تقارب وتبادل ثقافي بين دول الخليج العربي والمغرب العربي.

وفي هذا المضمار يقول سعادة الدكتور عبد الجليل التميمي صاحب مؤسسة التميمي

---

(١) مذكرة من وزارة الثقافة التونسية «إدارة التعاون الدولي والعلاقات الخارجية» بموضوع التعاون الثقافي التونسي السعودي.

(٢) أعلية علاني: العلاقات العلمية والبحثية بين تونس ودول الخليج من خلال بعض النماذج، ص٩.

للبحث العلمي:

«جاءت الفكرة لعقد مؤتمر خليجي مغاربي من خلال خبرتي وتجاربي العلمية السابقة في تنظيم وعقد مؤتمرات علمية حوارية، منها ما بين المغرب العربي وبريطانيا، والمغرب العربي وأسبانيا، كما عقدت المؤسسة أربعة مؤتمرات علمية يختص بالحوار الإسلامي المسيحي، وأربعة مؤتمرات للحوار العربي التركي، وبما أن الخليج العربي به كوكبة من العلماء لا يعرفون جيدًا المغرب العربي بتأرجحاته الفكرية، فقد ارتأينا إلى التعاون مع دارة الملك عبد العزيز لتنظيم هذا المؤتمر، وقد تفاعلت من جانبها دارة الملك عبد العزيز لهذه الفكرة وتنفيذها على أرض الواقع، وبذلك كان الهدف من هذه المؤتمرات هو إرساء نموذج جديد للعلاقات العلمية الخليجية المغاربية»(١).

وفي حديث عن مدى نجاح هذه المؤتمرات في تحقيق هدفها في خلق جسر تواصل بين المشرق والمغرب العربيين تحدث قائلاً:

«قد استطاعت هذه المؤتمرات أن تحقق نجاحًا في خلق جسور التواصل العلمي؛ حيث أحدثت هزة فكرية جديدة لاهتمام المغاربة بالخليج العربي، واهتمام الخليجيين بالمغرب العربي، وقد عرضت المؤتمرات التي عقدت بحوثًا علمية في غاية الأهمية، حيث أنتجت هذه المؤتمرات ثراءً معرفيًا كبيرًا، خلق من جانبه اهتمامًا جديدًا وتطلعًا جديدًا، لتعميق التوجهات المستقبلية للبحث بين المغرب والخليج»(٢).

---

(١) حوار أجرته الباحثة مع سعادة الدكتور عبد الجليل التميمي في تونس في مقر مكتبه في مؤسسة التميمي للبحث العلمي يوم الخميس بتاريخ ١٤٣٣/٣/٢٤هـ، الموافق ١٦من فبراير ٢٠١٢م.

(٢) المصدر السابق.

المبحث الثاني

العلاقات الاقتصادية بين السعودية وتونس

وفيه أربعة مطالب:

المطلـــــب الأول: قوة ومكانة الاقتصاد السعودي والتونسي.

المطلـــب الثـــاني: نبذه عن العمق التاريخي للصلات الاقتصادية بين البلدين.

المطلـــب الثالـــث: مظاهر التعاون الاقتصادي بين البلدين.

المطلـــب الرابـــع: المبادلات التجارية بين البلدين.

المطلب الأول

قوة ومكانة الاقتصاد السعودي والتونسي

تمثل المكانة الاقتصادية لأي دولة من دول العالم أهم العناصر الأساسية في دعم سياساتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، ولذلك يجدر بنا أن نتعرف على مكامن القوة الاقتصادية في البلدين حتى يتضح لنا أهمية التعاون الاقتصادي السعودي والتونسي.

فأما ما يتعلق بالاقتصاد السعودي، فكان في بداية تأسيس الدولة عبارة عن اقتصاد بدائي وبسيط؛ حيث كان يعتمد في اقتصاده بدرجة كبيرة على مورد الحج والعمرة، والذي يحدده سواء في التصاعده أو الانخفاض في عدد الحجيج، الذى كان متأثرًا بالأحوال السياسية ـ نتيجة الحروب والاستعمار ــ والاقتصاد ــ نتيجة موجة الكساد العالمي ـ عدا ذلك من نشاطات السكان الاقتصادية مثل الزراعة والتجارة والصناعة التي لم تتجاوز مرحلة الإنتاج اليدوي(١).

ومنذ توحيد المملكة على يد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حدث تطور هائل في جميع المجالات الاقتصادية والصناعية والزراعية، خاصة بعد اكتشاف النفط الذي يعتبر العمود الفقري الاقتصادي للمملكة، حيث رفع الاقتصاد السعودي من مصاف الدول الأقل دخلاً إلى مصاف الدول الأعلى دخلاً في العالم(٢)، حيث تعد المملكة العربية السعودية أكبر منتج للنفط بين دول الأعضاء في الأوبك،

(١) عيد بن مسعود الجهني: البترول السعودي وأثره على الاقتصاد الوطني والدولي ومستقبل منظمة الأوبك وبدائل الطاقة، «ط١، الرياض، مطابع جاد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م»، ص ١٤.

(٢) السيد خالد المطري: الجغرافية الاقتصادية للمملكة العربية السعودية، «ط١، الرياض، دار الشواف، ١٤١٦هـ/ ١٩٦٦م»، ص٩.

وكذلك أكبر مصدر له في العالم، كما تمتلك المملكة العربية السعودية مخزونًا كبيرًا من الخامات والمعادن بما فيها والنحاس، والذهب، والحديد، والرصاص، والفضة، والرخام[(١)].

كما تعتبر المملكة العربية السعودية أحد أكبر عشر دول في العام في استخدام الغاز الطبيعي، حيث وصل ترتيبها عالميًا إلى رابع دولة غنية باحتياطي الغاز الطبيعي، وتعتبر من أهم البلدان المنتجة للمواد الكيماوية المصنعة بالنفط والمعروفة بالبتروكيماويات[(٢)].

أما فيما يتعلق بالقطاع الزراعي، فعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية تتميز بالمساحة الكبيرة في شبه الجزيرة إلا أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة تمثل ٢٣,٤ ٪ من أجمالي أراضي المملكة، ومع ذلك فقد انتهجت الحكومة السعودية سياسة حكيمة لصالح تطوير الزراعة، تعتمد على تحفيز المزارعين واستغلال المساحات الشاسعة للزراعة، حيث أمر جلالة الملك عبد العزيز باستيراد بعض الآلات والمعدات الزراعية لتوزيعها على المواطنين بأسعار مخفضة، كما أمر بإعفاء المعدات الزراعية من الرسوم الجمركية، كما عملت الدولة على تأجير وبيع الأراضي الحكومية بأسعار مخفضة على المزارعين وحفرت الآبار، كما ساهمت في تقديم القروض للمزارعين[(٣)].

وتطلعت الحكومة السعودية إلى تأسيس عدد من المؤسسات الحكومية لخدمة القطاع الزراعي، مثال: وزارة الزراعة والمياه، البنك الزراعي للتنمية، المؤسسة العامة

---

(١) عبد الرحمن حميدة: جغرافية الوطن العربي، «ط١، دمشق، دار الفكر، ١٣١٨هـ/١٩٩٠م»، ص ٣٤٣.

(٢) عبد العزيز عبد الله لعبون: صناعة النفط في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، «ط١، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٣٣هـ/٢٠٠٣م»، ص ٥٧.

(٣) عبد الله بن عبد الله العبيد، عبد القادر محمد عطية؛ اقتصاد المملكة العربية السعودية «نظرة تحليلية»، «ط١، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م»، ص ١٧٤ – ١٨١.

لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق(١).

وأهم المحاصيل التي تنتجها المملكة: القمح، الذرة، التمور، والبعض من المحاصيل الصمغية(٢).

أيضًا أولت الحكومة السعودية اهتمامًا بالقطاع الصناعي وسبل تنميته، فقامت بتشجيع القطاع الخاص لإنشاء المصانع تحقيقًا لأهداف التنمية الاقتصادية البعيدة المدى، ولتنويع القاعدة الإنتاجية للاقتصاد السعودي، وتقليل الاعتماد على النفط كمصدر أساسي للدخل. ولتحقيق تلك الأهداف التنموية الصناعية تعهدت الدولة بتقديم الحوافز والأنظمة اللازمة لنمو هذا القطاع وتطوره؛ حيث أسهمت في تقديم القروض الصناعية بإنشاء صندوق التنمية الصناعية السعودي عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، وإعفاء جميع السلع التي تحتاجها المصانع الوطنية كعناصر إنتاج من آلات وأدوات ومواد خام وقطع غيار من الرسوم الجمركية، كما قامت الدولة بإنشاء عدد من المدن الصناعية ذات التجهيزات والخدمات المتكاملة مثال: الجبيل وينبع(٣).

ومن أهم الصناعات التي تقدم بها المملكة العربية السعودية، صناعة الأسمنت(٤)،

---

(١) عبد الله بن عبد الله العبيد وآخرون: اقتصاد المملكة العربية السعودية «نظرة تحليلية»، ص١٧٤ ـ ١٨١.

(٢) حسين علي الشرع: التطور الاقتصادي في المملكة العربية السعودية ومستقبل التنمية، «ط١، جدة، دار العلوم للنشر والطباعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م»، ص ١٢٥ـ ١٢٨.

(٣) عبد الله بن عبد الله العبيد وآخرون: اقتصاد المملكة العربية السعودية «نظرة تحليلية»، ص ١٢٥ ـ ١٢٩.

(٤) من أهم شركات الأسمنت في السعودية شركة الأسمنت العربية المحدودة، وشركة الأسمنت السعودية، وشركة أسمنت القصيم، وشركة أسمنت ينبع وغيرها. انظر: أحمد الصباب: التكامل الاقتصادي وأثره على التنمية الاقتصادية في مجلس التعاون، (ط١، جدة، مركز البحوث والتنمية بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٦٨.

والأسمدة(١)، والحديد والصلب. والصناعات الغذائية من أهمها منتجات الألبان وتعبئة اللحوم وتعليب التمور وغيرها(٢).

وبعد الاطلاع على مكانة الاقتصاد السعودي، ستتطرق الدراسة للاقتصاد التونسي- وعلى أهم الموارد التي يعتمد عليها في تنمية اقتصاد البلاد.

شهد الاقتصاد التونسي تحولاً وتطورًا ملحوظًا بعد إعلان الاستقلال، حيث قام القطاع الخاص دورًا نشيطًا في التنمية الاقتصادية، مما ساعد على إرساء اقتصاد سوق عصري ومتنوع يقوم على قطاع فلاحي ناجح، وصناعات معملية وسياحة نشيطة. وجميع المؤشرات الاقتصادية تحسنت بعد الاستقلال، وحققت تونس منذ عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م نموًا بمعدل ٥٪ سنويًا، على الرغم من تفاقم مشكلة المديونية على المستوى العالمي، إلا أنها نجحت في التخفيف من عبء الدين(٣).

وقد تحدث الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي عن وضع اقتصاد بلاده قبل الاستقلال وما آل إليه حيث قال:

> «إن اقتصادنا قبل الاحتلال الفرنسي- كان بدائيًا، وجاء الاحتلال الفرنسي- فجعل الاقتصاد التونسي مسيرًا لفائدة فرنسا أولاً، وما ينال تونس من ذلك يكون عرضيًا، وكان اقتصادنا مجعولاً ليفيد فرنسا ومصانعها وصنائعها، وكانت الطاقة الصناعية التونسية معطلة لأن من فائدة الاحتلال الفرنسي- أن يستحوذ على خاماتنا ويحولها إلى

---

(١) محمد محمود سيف: جغرافية المملكة العربية السعودية، (ط١، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٠م)، ص ٣٦٧.

(٢) عبد الرحمن صادق الشريف: التنمية الصناعية في المملكة العربية السعودية، (ط١، الرياض، بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، ١٩٩٩م)، ج١/ص٢٢٣ – ٢٢٦.

(٣) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس، العلاقات السعودية التونسية، ص ٧٣، ٧٤.

بضاعة ويبيعها إلينا، فتدهورت الصناعات المحلية وكسدت أسواقنا»[١].

تعتمد تونس في دعم كيانها الاقتصادي على الإنتاج الزراعي، حيث تبلغ مساحة الأراضي الصالحة للاستثمار الزراعي أكثر من ٧٢٪ من المساحة الكلية لأراضي الجمهورية التونسية، كما تساهم الزراعة التونسية بأكثر من ٤٠٪ من الدخل القومي للبلاد، وأهم الغلات الزراعية التي تنتجها تونس الحبوب بأنواعها: القمح والشعير والذرة، وأيضًا زراعة الزيتون، حيث تعتبر تونس من أهم بلاد العالم التي تشتهر بانتشار أشجار الزيتون، حيث يشتغل في زراعته نحو ٧٪ من مجموع سكان الجمهورية، وتحتل تونس الترتيب السادس عالميًا في إنتاج الزيتون ويسبقها في ذلك أسبانيا وإيطاليا واليونان والبرتغال وتركيا، إلا أنها تحتل المركز الثالث في التجارة العالمية للزيتون، وذلك نظرًا لقلة عدد سكانها مما يترتب عليه قلة الاستهلاك المحلي، ولذلك تشترك بنحو ٣٠٪ من التجارة العالمية، وتولي الحكومة التونسية عناية فائقة بزراعته وتحسين أنواعه، كما أنها تفرض رقابة شديدة على منتجاته وتنظم تجارته الداخلية والخارجية على السواء[٢].

يأتي بعد القطاع الزراعي في المكانة الاقتصادية من حيث الإنتاج والتصدير، الثروة المعدنية؛ حيث تعتبر تونس بعد استقلالها من الدول المصدرة للبترول الخام[٣]، كما تزخر أراضيها بالعديد من المعادن المستخرجة مثل الفوسفات، والحديد والرصاص والزنك وغيرها[٤].

---

(١) الحبيب بورقيبة: الخطب الأسبوعية للحبيب بورقيبة (٣)، ص٣١.

(٢) محمد عبد المنعم الشرقاوي، محمد محمود الصياد: ملامح المغرب العربي، (ط١، الإسكندرية، المعارف، ١٩٥٩م)، ص ١٢٧، ١٣١ ـ ١٣٣.

(٣) السفارة السعودية بتونس: العلاقات السعودية التونسية، ص ٧٤.

(٤) محمد عبد المنعم الشرقاوي وآخرون: المرجع السابق، ص١٤٢: ١٤٣.

وتقوم الصناعة دورًا في الاقتصاد التونسي، حيث ترتكز الصناعات في تونس على الصناعات التحويلية وتهتم هذه الصناعة بالمنتجات الزرعية، وتكثر المعاصر الخاصة بزيت الزيتون، والزيوت العطرية، وصناعة الصابون، أيضًا الصناعات التي تهتم بالبناء إذ تعتبر تونس من الدول المنتجة للأسمنت، وصناعة القراميد والبلاط وصناعة الأخشاب، أيضًا من الصناعات الموجودة في تونس الصناعات الكيماوية مثل صناعة الفوسفات، وسلفات النحاس، وبعض المواد الكيماوية اللازمة للصناعة وصناعة الورق والكرتون، وتوجد أيضًا الصناعات المعدنية التي تهتم بصهر الرصاص والحديد(١).

أيضًا يعتمد الاقتصاد التونسي بدرجة كبيرة على السياحة، حيث تعتبر مصدرًا مهمًا للثروة، وقد أوجد الاقتصاد التونسي- مناخًا مشجعًا للمستثمرين لا سيما من بلدان الاتحاد الأوربي، وبلدان الخليج العربي، واليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، وقامت حوالي ٢٣٠٠ مؤسسة أجنبية باستثمارات مباشرة أو بإنجاز مشاريع في نطاق الشراكة مع أطراف تونسية، وأغلب هذه الشركات جذبها موقع تونس القريب من أوروبا والعلاقات التجارية التفاضيلة التي تربطها بالاتحاد الأوروبي واتحاد المغرب العربي، وكذلك التشريع التونسي- المتمثل في نظام يشجع الاستثمارات، ويوفر الامتيازات، والإعفاءات الجمركية للمستثمرين الأجانب، إضافة إلى تخفيف الإجراءات الإدارية للحصول على التراخيص الضرورية بأيسر السبل(٢).

هذه المكانة والقوة الاقتصادية في كلا البلدين، المملكة العربية السعودية وتونس، أسهمت في توطيد العلاقة بينهما سواء فيما يتعلق بالتبادل التجاري أو السياحة أو تحقيق الاستثمار الناجح لمن يرغب من المواطنين مما يعود نفعه على سكان البلدين ويقوي

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٩: ١٥٠.

(٢) السفارة السعودية بتونس: العلاقات السعودية التونسية، ص ٧٥.

الروابط الأخوية بين الشعبين الشقيقين، وقد تمثلت هذه المكانة فيما تحقق بين الدولتين من تطور في العلاقات الاقتصادية كما هو موضع في المطلبين الثالث والرابع الخاصين بمظاهر التعاون الاقتصادي والمبادلات التجارية بين البلدين كما سنرى في الصفحات التالية.

المطلب الثاني

نبذة عن العمق التاريخي للصلات الاقتصادية بين البلدين

تعود الصلات الاقتصادية بين البلدين لسابق عهدها، والسبب الرئيسي في وجود هذا النوع من الصلات الحضارية هو أداء فريضة الحج، الذي قام بدور مهم في ربط الأمة الإسلامية فيما بينهم دينيًا ودنيويًا، حيث تزداد في موسم الحج الحركة والنشاط التجاري بين وفود الحجيج وأهل البلاد.

وكما ذكرنا آنفًا فقد كانت الدولة السعودية في بداية عهدها تعتمد في مواردها الاقتصادية على موسم الحج وما يذخر به من نشاط في الإنتاج سواء أكان الصناعي أم التجاري أم الزراعي.

وكانت الحكومة السعودية مع بداية موسم الحج تصدر بيانًا مكتوبًا يرسل إلى حكومات الدول الإسلامية ومنها تونس، يعرف بـ (تعريفة الحج)، صادر من وزارة المالية والاقتصاد الوطني شعبة إدارة الحج، وهو عبارة عن تعريف الحاج إلى بيت الله بتكاليف الحج المادية لكل عام. مثال على ذلك تعريفة الحج لعام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، حيث أوضح فيه جميع العوائد المالية التي تخص النقل بين جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وأجرة السكن في هذه المدن، وأجرة النقل بين المشاعر المقدسة، وأجرة الخيام، كما أوضح فيه ما هو مسموح دخوله من أمتعة داخل البلاد وتحديد الوزن المسموح بدخوله[(١)]، وهذه الوثيقة تبين لنا اهتمام هذه الإدارة بتنظيم الحج في البلاد السعودية.

أيضًا من ناحية أخرى تقوم البلاد التونسية بتعريف الحاج التونسي بتكلفة سفره برًا

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel 6276/Bis/0001/0016/date1951:1961

وبحرًا، وما يلزمه من أموال خلال تنقله في الحجاز، حيث يصدر هذا التعريف من الوزارة الكبرى في الحكومة التونسية، مثال ذلك البيان المكتوب عن نظام الحج لعام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م(١).

وعند التقاء الحجيج في البقاع المقدسة، يزداد حجم التبادل التجاري، وذلك لأن بعض الحجاج القادمين سواء من تونس أو من أي قطر في العالم يأتون بمقاصد تجارية بجانب المقاصد الدينية، فيبيعون ويشترون، حيث أثبتت البحوث التاريخية هذا التبادل التجاري، وأهم الموارد التي يحرص الحجاج التونسيون على شرائها من الحجاز: مثل البن والتمر والسِّبَح والسجاد(٢).

وقد كان هناك صور غير مباشرة من التبادل التجاري عدا وسيلة الحج عرفت منذ قرون بين بلاد المشرق العربي ولا سيما الجزيرة العربية وبين بلاد المغرب العربي ولا سيما تونس التي تعتبر أقرب هذه البلاد إلى المشرق، وهي عن طريق ميناء الإسكندرية في مصر، حيث وردت إشارات بأن الحجاز كانت تستورد الزيتون من مصر عبر السويس، وكانت تونس تشتهر بإنتاجه وتصديره إلى البلاد المصرية التي لم يعرف عنها إنتاجها للزيتون وزيته، وبذلك قامت أيضًا مصر دورًا وسيطًا في ربط الصلات الاقتصادية بين البلاد العربية(٣).

أيضًا كان هناك صلات اقتصادية من نوع آخر، كانت موجودة منذ قرون وشهدتها المملكة العربية السعودية بعد توحيدها للمنطقة الحجازية، وهي مسألة الأوقاف(٤) أو ما

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel 0276/Bis/0003/0047/date1951:1961

(٢) نورة الحامد: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، ص ١٨٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٥، ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٤) الوقف كما عرفه ابن منظور لغة: الحبس، وشرعًا هو كل شيء وقفه صاحبه وقفًا محرمًا، لا يورث ولا يباع، يحبس أصله وقفًا مؤبدًا، وتسبل ثمرته تقربًا إلى الله عز وجل.محمد بن =

تعرف في بلاد المغرب العربي بالأحباس.

وقد عرفت البلاد الإسلامية هذا النوع من أفعال الخير والبر فأوقفت العديد من عقاراتها للحرمين الشريفين، ومنها البلاد التونسية، التي كانت تقدر وتعظم أهمية هذه الأوقاف في الدين الإسلامي؛ فوقفت عليها الحكومة التونسية معتنية بمنشآته، ومحافظة وأمينة على خراجها.

وقد خصص أصحاب هذه الأوقاف بأن يذهب ريعها لخدمة الحرمين الشريفين والقائمين عليهما والتصدق على فقرائهما ومجاوريهما(١)، كما يذهب جزء من ريع هذه الأوقاف إلى أهالي الحرمين الشريفين المقيمين في تونس(٢).

ولم تقتصر هذه الأوقاف في إقامتها على تونس فقط، بل قام أهالي تونس بوقف عدد من الأملاك في الحجاز نفسها، حيث وردت إشارات في الوثائق التونسية عن وجود أوقاف في مكة، منها مثلاً وقف مدرسة في مكة بناها الحاج علي دقروق وهو تونسي- من جزيرة جربة، حيث أوقفها على المجاورين التونسيين، أيضًا وقف عبارة عن سبيل ماء قرب الحرم المكي اشترته أميرة تونسية وهي والدة الباي الناصر بن محمد (١٣٢٤ـ ١٣٤٠هـ/ ١٩٠٦ـ ١٩٢٢م) وأوقفته على المحتاجين التونسيين وغيرهم(٣).

وفي عهد الدولة السعودية أرادت الحكومة أن تعمل على توسعة الحرمين الشريفين،

=

مكرم بن على بن منظور: لسان العرب، (ب. ط، بيروت، دار بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، جـ٦، ص ٤٤، ٤٥.

(١) نورة الحامد: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، ص٢٠٥.

(٢) وردت وثيقة في الأرشيف الوطني التونسي عن رجل من أهل المدينة المنورة أقام في تونس مع عائلته وطلب من الحكومة التونسية أن تصرف له وزارة الأوقاف مبلغًا من المال من أوقاف الحرمين الشريفين. D-0181-0002-0007- 1913-1933

(٣) نورة الحامد: المرجع السابق، ص٢٢٦.

مما يعني إزالة بعض العقارات لتحقيق هذا الهدف، وكانت هذه الأوقاف من ضمن هـذه العقارات، فقد أشارت إحدى الوثـائق التونسـية بـأن مفوضـية تـونس في جـدة، أرسـلت للحكومـة التونسـية بخـبر هـذا الإجـراء مما سـيعود بـالنفع المـالي لتـونس المترتـب عـلى التعويضات المالية التي ستدفعها الحكومة السعودية[١].

وهذه وثيقة أخرى تؤكد لنا وجود هذه الأوقاف التونسية في بلاد الحـرمين، والـدور الذي قامت به في الصلات الاقتصادية بين البلدين.

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي .A/0276/Bis/0001/0018/1957-1958

المطلب الثالث

مظاهر التعاون الاقتصادي بين البلدين

في إطار العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية ومدى ما وصلت إليه تلك العلاقات إلى مستوى طيب ومرموق، مطبوعًا بأواصر الأخوة والمحبة بين البلدين قيادة وشعبًا، جاء تعزيز وتحفيز التعاون الاقتصادي بين البلدين، الذي اتخذ قنوات عديدة منها:

أ- الاتفاقيات الاقتصادية:

تم توقيع أول اتفاقية اقتصادية تجارية بين البلدين في يوم السبت ١٤ من رمضان ١٣٨٤هـ الموافق ١٦ من يناير ١٩٦٥م، وكان ذلك بمقر وزارة المالية بالرياض، وقد وقع على هذه الاتفاقية من الجانب السعودي وزير المالية والاقتصاد الوطني سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن، وعن الجانب التونسي سعادة سفير تونس بالمملكة الأستاذ محمد موسى الروميسي، وتقتضي هذه الاتفاقية تسهيل وتشجيع التبادل التجاري بين البلدين، وقد أعرب سعادة السفير عن سروره واغتباطه لتوقيع هذه الاتفاقية؛ حيث صرح بأن هذه الاتفاقية سوف يكون لها أثر في تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين[١] تجسيدًا للعلاقات الأخوية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية.

تجسيدًا للعلاقات الأخوية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية تم توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين في يوم ١٣ من جمادى الأولى ١٣٩١هـ

(١) جريدة أم القرى، العدد ٢٠٥٦ (مكة المكرمة، مطبعة حكومية، ٢٠ من رمضان ١٣٨٤هـ الموافق ٢٣ من يناير ١٩٦٥م)، ص١.

الموافق ٦ من يوليو ١٩٧١م، وهي تحتوي على ثماني مواد رئيسة، وجاءت المادة الرابعة فيها ما يخص توطيد التعاون الاقتصادي، حيث نصت على «يعمل الطرفان على مضاعفة الجهود لتوطيد التعاون الاقتصادي بين البلدين، وتنظيم علاقاتهما التجارية لإنماء التبادل في المواد الأولية، وسائر المنتجات الزراعية والصناعية»(١).

انطلاقًا من مبدأ الأخوة الإسلامية العربية، وتوثيقًا لروابط الصداقة والتعاون، تم توقيع اتفاقية بين البلدين وهي تمويل بعض المشاريع الإنمائية في تونس بناء على طلب تقدمت به الحكومة التونسية، وتحتوي الاتفاقية على ست مواد، توضح فيها المشاريع الإنمائية من مستشفيات، ومعاهد علمية ومهنية، وأيضًا تطوير ميناء المنستير، وقد بلغت تكلفة هذه المشاريع التي تساعد المملكة في تمويلها إلى (١٣٠, ٥٢٨, ٠٠٠) ريال سعودي.

تم تحرير هذه الاتفاقية في العاصمة السعودية بتاريخ ٩/ ٤/ ١٣٩٤هـ الموافق ١/ ٥/ ١٩٧٤م(٢).

وفي يوم ١٦ من ذي القعدة ١٣٩٩هـ الموافق ٧ أكتوبر ١٩٧٩م تم الإمضاء على اتفاقية قرض بقيمة ٧٥ مليون ريال سعودي ما يساوي (٩ مليون دينار تونسي) أسندت إلى الحكومة التونسية لتمويل مشاريع سياحية وعقارية ذات صبغة تجارية(٣).

في أشغال اللجنة المشتركة السعودية التونسية في دورتها الأولى بتونس بإشراف وزير

---

(١) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الرياض، رقم الوثيقة ٣٣٢، تاريخها ١٣٩١/٥/١٣هـ، مصدرها مجلس الوزراء.

(٢) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الرياض، رقم الوثيقة ٦٥٨، تاريخها ١٣/ ٥/ ١٣٩٤هـ، مصدرها مجلس الوزراء.

(٣) أعلية علاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا «الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥- ١٩٨٢م»، (مؤتمر الندوة العلمية عن الملك خالد بن عبد العزيز، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، البحث قيد النشر) ص ٢٤.

التخطيط والمالية التونسي- السيد إسماعيل خليل ووزير المالية والاقتصاد الوطني السعودي محمد أبا الخيل، تم خلال الجلسة الختامية لهذه اللجنة، توقيع اتفاقية تجارية واتفاقية لتجنب الازدواج الضريبي بالإعفاء المتبادل لمؤسسة الطيران في البلدين. وذلك في عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وكان ذلك في حضور سفير تونس لدى المملكة العربية السعودية السيد قاسم بو سنينة وسفير المملكة لدى تونس السيد إبراهيم السعد الإبراهيم، وقد عبر الشيخ محمد أبا الخيل وزير المالية السعودي عن سروره في أن ينوب بلاده في توقيعه على محضر- الدورة الأولى للجنة المشتركة التي ستكون بداية مرحلة جديدة أوسع نطاقًا ونشاطًا(١).

تم إمضاء اتفاقية قرض بمبلغ ١٠٠ مليون ريال سعودي أي ما يعادل (٢٠ مليون دينار تونسي) في تحويل مشاريع مدرجة ضمن برنامج التنمية الريفية المندمجة، وقد أمضى- هذه الاتفاقية عن الجانب السعودي نائب الرئيس والعضو المنتدب للصندوق السعودي للتنمية الشيخ محمد عبد الله الصقير، وعن الجانب التونسي- وزير التخطيط السيد إسماعيل خليل وذلك في مدينة تونس عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م(٢).

وقد عبر الشيخ محمد الصقير عن ارتياحه وزملائه في الصندوق السعودي للتنمية بأسلوب التعامل الإيجابي القائم بين تونس والصندوق على جميع المستويات في تنفيذ الاتفاقيات السابقة، مما أرسى أسس التعاون والعمل المشترك على قواعد ناجحة، وقد حضر الاتفاقية سفير المملكة بتونس السيد عباس فائق غزاوي الذي أشاد بعلاقات

---

(١) مركز التوثيق القومي الوطني، جريدة العمل التونسية، تاريخ ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/ ٢٨ من فبراير ١٩٨٤م، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، رقم ١٤٢/٢٢٤.

(٢) مركز التوثيق القومي الوطني، جريدة الصباح التونسية، تاريخ ٢٦ من فبراير ١٩٨٦م، الملف الخاص بالعلاقات التونسية السعودية، رقم ٢٢.

التقارب والمحبة والأخوة بين البلدين، معبرًا عن سروره لتوقيع هذا الاتفاق الذي يتوج فترة عمله بالجمهورية التونسية[١].

اجتمع وزير التخطيط التونسي- السيد إسماعيل خليل ومساعد نائب الصندوق السعودي للتنمية الدكتور صالح الحميدان في مقر وزارة التخطيط بتونس حيث تم توقيع اتفاقية قرض خاص بمشروع سد الهوارب، وبموجب هذه الاتفاقية يضع الصندوق السعودي للتنمية على ذمة الحكومة التونسية اعتمادات تبلغ قيمتها ٥ , ١١ مليون دينار تونسي مساهمة منه في تمويل جانب من تكاليف هذا المشروع والتي قدرت بـ ٦٥ مليون دينار، وكان ذلك في يوم ١ من ذي القعدة ١٤٠٥هـ الموافق ١٨ من يوليو ١٩٨٥م[٢].

وقد عبر السيد إسماعيل خليل وزير التخطيط بهذه المناسبة عن أن مساهمة الصندوق السعودي للتنمية في تمويل مشروع سد الهوارب يؤكد حرص المملكة العربية السعودية على حماية مدينة القيروان أول عاصمة للإسلام في شمال إفريقيا من الفيضانات، كما أعرب الدكتور صالح الحميدان مساعد نائب رئيس الصندوق عن ارتياحه لتوقيع هذه الاتفاقية وقال:

> «إن التزام الصندوق بتدعيم مجهودات التنمية المبذولة في تونس نابع أساسًا من إدراك مسئولي الصندوق بجدوى العمل التنموي بتونس التي هي أيضًا أحد أعضاء الأسرة العربية»، كما جدد حرص الصندوق السعودي للتنمية على زيادة توطيد علاقات التعاون مع تونس وتوسيعه إلى مختلف الأوجه الاقتصادية والاجتماعية خلال المخطط

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مركز التوثيق القومي الوطني، جريدة العمل التونسية، تاريخ ١٩ من يوليو ١٩٨٥م، ملف العلاقات التونسية السعودية رقم ٢٢.

الحالي والمقبل[(١)].

رغبة من المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية في تجنب الازدواج الضريبي على أعمال مؤسسة الملاحة الجوية في بلديهما، فقد تم عقد اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي بتبادل الإعفاء من الضرائب والرسوم على نشاطات مؤسسات الملاحة الجوية، والهدف من ذلك إزالة التعقيدات والصعوبات التي تواجهها هاتان المؤسستان، وقد حوت الاتفاقية خمس مواد، جاء في مادتها الأولى التعريفات بالعبارات المعنية في هذه الاتفاقية، أما المادة الثانية فقد تطرقت إلى الإعفاءات من جميع الضرائب والرسوم، وتقديم التسهيلات الضريبية والجمركية، واختصت المادة الثالثة بموضوع مدة سريان الاتفاقية، واختصت المادة الرابعة بمسألة تسوية الخلافات بين الطرفين، وجاءت المادة الخامسة والأخيرة التي تتعلق بإنهاء الاتفاق.

وقد قام بتوقيع الاتفاقية من الجانب السعودي وزير المالية والاقتصاد الوطني محمد أبا الخيل، ومن الجانب التونسي وزير التخطيط محمد الغنوشي، وحررت هذه الاتفاقية في مدينة الرياض يوم الأحد ٢٨ من صفر ١٤٠٩هـ الموافق ٩ من أكتوبر ١٩٨٨م[(٢)].

جاء انعقاد اللجنة السعودية التونسية في دورتها السادسة بالرياض بتاريخ ١٣، ١٤ من شوال ١٤٢٣هـ الموافق ١٧، ١٨ من ديسمبر ٢٠٠٢م بعد فترة انقطاع لتعطي دفعًا جديدًا للعلاقات الاقتصادية بين البلدين، حيث تم التوصل إلى:

أ- الاتفاق على برنامج تعاون فني بين مركز النهوض بالصادرات التونسية ومركز تنمية الصادرات السعودية بمجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الرياض، رقم الوثيقة ١١١، تاريخ ١٤٠٩/٧/١٤هـ، مصدرها مجلس الوزراء.

ب- الاتفاق على برنامج تعاون فني بين المعهد الوطني التونسي للمواصفات والملكية الصناعية والهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس.

ج - مذكرة تفاهم حول إنشاء مجلس رجال الأعمال المشترك التونسي السعودي(١).

وقع الصندوق السعودي للتنمية وبنك الأمان التونسي في تونس العاصمة بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٤٢٣هـ الموافق ١٧ من سبتمبر ٢٠٠٢م اتفاقية خط ائتمان لتمويل الصادرات الوطنية غير النفطية من السلع والخدمات ذات المنشأ السعودي بمبلغ خمسة ملايين دولار أمريكي(٢).

ب- المشاريع المشتركة:

يعرف المشروع المشترك بأنه الاشتراك في إقامة مشروع اقتصادي أو شركة مستقلة أو قيام دول متعددة بالاشتراك في مشروع محدد، أو القيام بمهمات دائمة أو محدودة المدة(٣)، وتعد المشاريع المشتركة أداة من أدوات التكامل الاقتصادي حيث يعزز العلاقات الثنائية بين الأطراف المشاركة ويعمل على تحقيق المنافع المتبادلة بينهم سواء كانت هذه الشراكة على المستوى الحكومي أو القطاع الخاص.

وتعتبر المملكة العربية السعودية من أهم الدول العربية المستثمرة في تونس، وذلك نظرًا لما تتميز به العلاقات الثنائية بين البلدين من عمق في أواصر الأخوة والمحبة على المستوى القيادي والشعبي، فقد عرف التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدين خلال

(١) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس: العلاقات السعودية التونسية، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) المرجع السابق ص ١١٠ – ١١١.

(٣) Selim Karatash.«Apractical Approach to Joint Ventures between Islamic States Junyary, 1982, P36»

السنوات الأخيرة نسقًا تصاعديًا وتطورًا ملحوظًا في جميع الأصعدة[١]، فقد شمل التعاون والاستثمار السعودي التونسي مختلف المجالات، في القطاع السياحي، والقطاع الزراعي الفلاحي، والقطاع الاقتصادي، أيضًا تعداه إلى البنية التحتية من طرقات وموانئ وسدود[٢].

ومن أهم هذه المشاريع المشتركة:

بداية انطلاقة التعاون المالي بين تونس والصندوق السعودي للتنمية سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م تاريخ إبرام أول اتفاقية قرض، وقد تنوعت هذه القروض لعدة مشاريع منها:

أ- مشروع تزويد صفاقس بالمياه الصالحة للشرب.

ب- مشروع دراسة استغلال المياه الجوفية في أقصى الجنوب التونسي.

ج ـ مشروع توسعة موانئ الصيد البحري في قلبية وطبلبه وقابس.

د- مشروع تطوير واحات نغزواه[٣].

هـ- مشروع سد الهوارب الذي وقع بين الجمهورية التونسية والصندوق السعودي للتنمية عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م[٤].

و- مشروع سد وادي سجنان بمبلغ قدره ١٠٠ مليون ريال سعودي في عام

---

(١) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس: المرجع السابق، ص ٨٩- ٩٠.

(٢) أعلية علاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا «ندوة علمية عن الملك خالد بن عبد العزيز، والبحث قيد النشر، الرياض، دارة الملك عبد العزيز ١١- ١٣- مايو ٢٠١١»، ص١٠.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الصباح ١٩٨٨/٩/٢٣م بعنوان «التعاون التونسي السعودي»، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس ١٤٢/٢٤٤.

(٤) مركز التوثيق القومي الوطني؛ الرائد الرسمي ٦ من ديسمبر ١٩٨٥م، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس، ١٤٢/٢٢٤.

١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م(١).

ز- مشروع مركز الطب الاستعجالي الذي أُبرم في ٢٠/ ٩/ ١٤٢٢هـ ٥/ ١٢/ ٢٠٠١م بمبلغ قرض ٤٠ مليون ريال سعودي.

ح- مشروع التنمية الفلاحية المندمجة غزاله جوحين والتي عقدت في ٣٠/ ٧/ ١٤٢٥هـ/ ١٤/ ٩/ ٢٠٠٤م بمبلغ قرض ٤٠ مليون ريال سعودي.

ط- مشروع كلية العلوم الاقتصادية وبه معهد العلوم الملتميديا بجنوبه الذي وقع في ٣٠/ ٧/ ١٤٢٥هـ الموافق ١٤/ ٩/ ٢٠٠٤م بمبلغ قرض ٣٧ مليون ريال سعودي وخمسمائة ألف(٢).

أيضًا تعود بدايات التعاون الاستثماري بين البلدين إلى عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وهو تاريخ تأسيس الشركة التونسية السعودية للاستثمار الإنمائي التي أنشئت من أجل إقامة المشروعات المجدية اقتصاديًا ودعم استثمارات القطاع الخاص من البلدين في تونس، ويبلغ رأس مال الشركة مائة مليون دينار تونسي مناصفة بين الحكومتين، وتطورت الاستثمارات التي تمت من خلالها بشكل تصاعدي شمل مختلف القطاعات الصناعية والزراعية والسياحية وغيرها(٣).

ومن أهم الشركات التي انبعثت من هذه الشراكة هي:

أ- شركة المرجي لتربية الماشية وتنمية الزراعة.

(١) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الصباح ١٩٨٦/٣/١١م، بعنوان التعاون بين تونس والسعودية، تونس، BIII.22.

(٢) وزارة الاستثمار والتعاون الدولي: تقرير من الوزارة عن التعاون المالي مع الصندوق السعودي للتنمية، هـ يناير ٢٠١٢م.

(٣) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس: العلاقات السعودية التونسية ص ٨٩ – ٩٠.

ب- شركة تهيئة صفاقس الجديدة.

ج- شركة منتزه طبرقه.

د- الشركة العقارية التونسية السعودية.

هـ- الشركة التونسية للإيجار المالي(١).

بيت التمويل السعودي التونسي، حيث تأسست هذه الشركة يوم ٥ من رمضان ١٤٠٣هـ الموافق ١٥ من يونيو ١٩٨٣م، برأس مال قدره ٥٠ مليون دولار، ٢٠٪ مساهمة تونسية و٨٠٪ مساهمة سعودية(٢)، وقد تم تدشينه من قبل الوزير الأول التونسي- الأستاذ محمد مزالي(٣)، ويهدف بيت التمويل السعودي التونسي- إلى جلب الاستثمارات المربحة وتعبئة الموارد وتوظيفها لصالح الاقتصاد الوطني التونسي واقتصاد الدول الأخرى، فهو يعمل على تشجيع المبادلات التجارية وتحويل المشاريع التنموية، كما أنه يوفر الأرضية الملائمة لإحداث المؤسسات الاقتصادية المشتركة(٤).

الشركة العقارية التونسية السعودية، التي تأسست في ربيع الآخر ١٤٠٥هـ والموافق يناير ١٩٨٥م، برأس مال مبدئي قدره ٥ ملايين دينار تونسي، ثم رفع رأس المال ليصل إلى ٧,٥ مليون دينار تونسي، وقد تأسست هذه الشركة كإحدى ثمار التعاون بين المستثمرين في المملكة العربية السعودية وأشقائهم في الجمهورية التونسية، وتتويجًا للتعاون المشترك بين

---

(١) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الصباح ٢٩ من يولية ٢٠٠٤م، بعنوان «الشركة التونسية السعودية للاستثمار الإنمائي» ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٢) وزارة التنمية والتعاون الدولي: تقرير من الوزارة عن العلاقات التونسية السعودية في إطارها القانوني، تونس، يوليو ٢٠١٠م.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة شمس الجنوب التونسية ١٩٨٥/٨/١٧م بعنوان «بين تونس والسعودية» ملف خاص عن العلاقات التونسية السعودية، تونس، RIII22.

(٤) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الصحافة ٢٣ من سبتمبر ٢٠٠٣م، بعنوان «التعاون التونسي السعودي مثال رائد للتعاون والشراكة الناجحة»، تونس.

البلـدين في مجـال تطـوير العقـارات والمسـاهمة في إنجـاز الـبرامج السـكنية والعقاريـة التـي تضمنتها مخططات الحكومة التونسية، فقد حققت الشركة نجاحًا وتقدمًا كبيرين في سوق العقارات في تونس الشقيقة من حيث الخدمات والإنجازات، وتبادل الخبرات، وقد تمكنت في فترة قصيرة من إنجاز ثمانية مراكز تجارية ومجمعات سكنية بمساحة بناء إجمالية تزيد على ١٠٠,٠٠٠ متر مربع وبتكلفة إجمالية بلغت ٣٥ مليون دينار تونسي(١).

مشروع تهيئة ضفاف بحيرة تونس، حيث وقع على اتفاقية هذا المشروع الضخم في مقر وزارة التخطيط والمالية بين الجمهورية التونسية وشركة البركة للاستثمار والتنمية، وقد أمضى عن الجانب التونسي- وزير التخطيط والمالية السيد إسماعيل خليل، وعن شركة البركة الشيخ صالح عبد الله كامل رئيس مجموعة البركة الاستثمارية، وكان ذلك في ١٥ من ربيع الأول ١٤٠٧هـ، الموافق ١٩ من أغسطس ١٩٨٧م، وفي هذا الإطار التعاوني أشاد الشيخ صالح كامل بهذا التعاون الاستثماري قائلاً:

> «إن وقوف البنوك الإسلامية وراء هذا التمويل يعني أن الإسلام تنمية وأمان وسلام وليس تخريبًا، وهو يبرز ثانيًا ثقة المستثمرين العرب المسلمين في استقرار تونس في ظل حكم بورقيبة»(٢).

---

(١) مركز التوثيق القومي الوطني: مجلة الاقتصاد والأعمال، بتاريخ يونيو ١٩٩٧م، بعنوان «الشراكة العقارية التونسية السعودية»، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس، ١٤٢/٢٢٤.

(٢) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة العمل، ١٩ من أغسطس ١٩٨٧م، بعنوان «تونس – شركة البركة: توقيع اتفاقية تمويل مشروع تهيئة ضفاف بحيرة تونس»، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس، ٢٢٤- ١٤٢.

المطلب الرابع

المبادلات التجارية بين البلدين

تخضع المبادلات التجارية بين المملكة العربية السعودية ودولة تونس إلى اتفاقية موقعة بين البلدين عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، والتي تنص على الإعفاء من الرسوم الجمركية، وتقديم التسهيلات الضرائبية والجمركية[١].

وفي إطار سعي البلدين نحو تطوير التعاون التجاري بينهما، عقدت لجنة من الخبراء السعوديين والتونسيين اجتماعين الأول بالرياض خلال شهر صفر ١٤٢١هـ/ يونيو ٢٠٠٠م، والثاني بتونس خلال شهر ذي القعدة ١٤٢١هـ الموافق فبراير ٢٠٠١م، وقد توصل الاجتماعان إلى وضع صيغة مشروع اتفاقية منطقة تجارة حرة بين البلدين، وكذلك وضع الجداول السلعية المرفقة بها[٢]، ومن ناحية أخرى تم توقيع اتفاقية بين مركز تنمية الصادرات في المملكة وتونس بهدف السعي إلى تسهيل المبادرات التجارية وتعريف رجال الأعمال والشركات والمصدرين بالإمكانيات والفرص المتاحة وحاجة السوق في البلدين[٣].

وعلى مستوى المبادلات التجارية بين البلدين، تعتبر المملكة العربية السعودية من أهم المزودين العرب للأسواق التونسية، فقد احتلت عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م المرتبة

(١) انظر ص٢٤٦

(٢) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الحرية، ٦ من فبراير ٢٠٠٢م، بعنوان « علاقات ثنائية مرموقة ساهمت في تقريب مناهج العمل وآليات التحرك المشترك» ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٣) مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الصحافة، ٣١ من ديسمبر ٢٠٠٣م، بعنوان «تطور مرتقب في حجم التبادل التجاري»، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس.

الأولى ضمن البلدان المصدرة لتونس ضمن منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي[١]، وأهم صادرات السعودية لتونس هي: المواد الأولية البلاستيكية، والنفط، والكبريت، والأسمنت، والمواد الحديدية.

وتستورد المملكة من تونس: الحامض الفسفوري، وزيت الزيتون، والمواد الغذائية الزراعية، والفوسفات[٢].

---

(١) الجمهورية التونسية، مركز التوثيق القومي الوطني: جريدة الحرية، ٦ من فبراير ٢٠٠٢م، بعنوان «علاقات ثنائية مرموقة ساهمت في تقريب مناهج العمل وآليات التحرك المشترك»، ملف خاص بالعلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٢) سفارة المملكة العربية السعودية بتونس: العلاقات التونسية السعودية، تونس، ص ١٠٨.

السنة	صادرات السعودية لتونس	واردات السعودية من تونس
١٤١٨هـ ١٩٩٨ م	١٢٣, ٢٤٠, ٠٠٠ ريـــــال سعودي	٥٥, ٢٢١, ٠٠٠ ريال سعودي
١٤١٩هـ ١٩٩٩م	١٢٣, ٢٤٠, ٠٠٠ ريـــــال سعودي	٤١, ٢٣٨, ٠٠٠ ريال سعودي
١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م	١٩٤, ٨١٤, ٠٠٠ ريـــــال سعودي	٧٩, ١٥٨, ٠٠٠ ريال سعودي
١٤٢١هـ ٢٠٠١م		
١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢م	٢٧٣, ٥٦٤, ٣٦٠ ريـــــال سعودي	١٢٧, ٣٨٧, ٥٠٠ ريـــــال سعودي
١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م	٤٩٠, ٠٣٠, ٥٦٠ ريـــــال سعودي	٤٠, ١٦٤, ٣٩٠ ريال سعودي
١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م	٣٣٤, ١٧٠, ٠٠٠ ريـــــال سعودي	٧٠, ٦٢٦, ٠٠٠ ريال سعودي
١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م	٣٣٢, ٠٣٧, ٠٠٠ ريـــــال سعودي	١٥٧, ٦٠٥, ٠٠٠ ريـــــال سعودي

الميزان التجاري بين البلدين

(مركز النهوض بالصادرات والواردات بتونس، والمعهد القومي للإحصاء بتونس)

ومن خلال ما تقدم ذكره عن العلاقات الاقتصادية بين البلدين، نلاحظ أن مطلع الثمانينات شهد نموًا وتطورًا في هذه العلاقات وخاصة على مستوى المشاريع المشتركة، وقد ساهم تحول مقر جامعة الدول العربية من مصر إلى تونس في ضخ الاستثمار الاقتصادي بين البلدين، ومن ناحية أخرى كان تعيين السيد محمد مزالي على رأس الحكومة التونسية كوزير أول لعام ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م دورًا في دعم هذه العلاقات[١]، فقد كانت توجهاته نحو دعم علاقات تونس مع البلدان العربية والخليجية ولا سيما المملكة العربية السعودية، وهذا ما يعكس حجم المشاريع المشتركة بين البلدين سواء كان على مستوى القطاع الحكومي أو الخاص، فهذا يأتي في إطار تعزيز العلاقات في كافة نواحيها بين البلدين.

(١) محمد ضيف الله: انتقال الأموال والخبرات بين الخليج والمغرب العربيين، «بحوث مؤتمر التواصل الخليجي المغاربي الأول، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م»، ص ٢٢٠.

المبحث الثالث

الصلات الاجتماعية بين السعودية وتونس

إن الصلات الاجتماعية بين المملكة العربية السعودية وشقيقتها تونس تعود إلى خلفية تاريخية قديمة، لعبت عدة روابط اجتماعية في توثيق هذه الصلات، فشعوب كلا البلدين تدين بالإسلامي الذي له عظيم الأثر في تقوية تلك الصلات، فبأداء ركن من أركانه وهي فريضة الحج، يلتقون كل عام لتحقيق العديد من الغايات، منها التعارف أو تدارس أوضاع العالم الإسلامي، أو التبادل التجاري والمعرفي، كما ساعد في تعميق وتقوية هذا الجانب الاجتماعي وحدة اللغة بينهم.

ونظرًا لهذه الروابط العديدة تعود هذه الصلات إلى عهود قديمة تعددت في قنواتها من أهمها:

الحج، وأثره في تعميق الصلات الاجتماعية:

إن من مقاصد الحج الهامة اجتماع الحجيج الوافدين من مختلف أنحاء الأرض في صعيد واحد يؤدون فريضة واحدة، طاعة لربهم الواحد ملتمسين غفرانه ورحمته، ومعبرين عن قوتهم وتلاحمهم، وتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية وبحبل الله وصراطه المستقيم[(١)].

ولذلك فإن التونسيين كسائر المسلمين في أصقاع العالم يؤمنون بأهمية الحج كواجب ديني لمن استطاع إليه سبيلا، وغيرها من المقاصد سواء كانت اقتصادية أو علمية أو اجتماعية، ولذلك فإن رحلات الحج خلال فترة البحث عام ١٣٦٥-

(١) عبد الله محمد أحمد الطيار: الحج، (ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٤٤.

١٤٢٦هـ/ ١٩٤٥- ٢٠٠٦م، كان لها بالغ الأثر في تنمية التعاون وزيادة التقارب الاجتماعي بين المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية.

من أمثلة التقارب الاجتماعي تلك العلاقات الودية التي نشأت بين الحجاج والمطوفين[١]، حيث استمر التواصل عبر الرسائل حتى بعد أداء الفريضة ومن الأمثلة على ذلك: رسالة المطوف إبراهيم السقاط[٢] لطبيب بعثة الحج التونسية الدكتور بشير الدنكربي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م للإطمئنان على صحته وتهنئته بعيد الفطر المبارك[٣].

وقد أشارت إحدى الوثائق في الأرشيف التونسي- وهي صادرة من قائم بأعمال السفارة التونسية بجده إلى وزارة الخارجية التونسية يطلب خلالها إصدار أمر حكومي بمنع دخول المطوفين السعوديين إلى تونس نظرًا لعدم وجود فائدة من إقامتهم في البلاد وذلك ـ من وجهة نظره ـ أن هؤلاء المطوفين يقومون (... بزيارات للحجاج ليبتزوا منهم الأموال على جهة البركة والإعانة، وكيف لا يعين المواطن شخصًا قدم من بيت الله الحرام الذي يعتقد فيه كل البركة والخير ثم يرجعون إلى ديارهم مثقلين بالهدايا بدون أن يصرفوا ولو مليمًا واحدًا في أثناء إقامتهم...)[٤]، وأيا يكن مدى مصداقية هذه

(١) المطوف كما عرفه الأمير شكيب أرسلان بقوله: (هو الذي يكفل جميع حاج الحاج وأغراضه منذ يطأ رصيف جده إلى أن يطأ سلم الباخرة قافلًا فيحمله إلى مكة، ثم إلى عرفة ثم إلى مزدلفة ثم إلى منى، ثم يعود به إلى مكة، وإذا أراد الزيارة هيأ له جميع أسباب السفر إلى المدينة، وهناك سلمه إلى المزور الذي هو صاحب المصلحة في المدينة). شكيب أرسلان: الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج أي أقدس مطاف، تحقيق عبد الرازق محمد سعيد كمال، (ط٢، مكتبة المعارف، ب.م، ١٩٧٦م)، ص٧٤.

(٢) المطوف إبراهيم السقاط هو جد الباحثة، حيث عمل مطوفًا لحجاج الدول العربية ومرشدًا لحجاج بلاد المغرب العربي، وقد استمرت العائلة في هذا العمل حتى وقتنا الحاضر، عمل المطوف إبراهيم إلى جانب خدمته للحجيج موظفًا حكوميًا في وزارة المالية، توفي في يوم ٩-٩- ١٣٩٠هـ. هذه المعلومات نقلًا عن ابنته السيدة فاطمة إبراهيم السقاط.

(٣) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel A0276/0003/0024/date 1340H.

(٤) الأرشيف الوطني التونسي.

=

المعلومات، هذا يشير بقوة على أن هناك علاقات مودة وصداقة بين المطوفين والحجاج تستمر إلى بعد أداء فريضة الحج.

ومن أمثلة التقارب الاجتماعي بين البلدين ظاهرة المجاورين[١] التونسيين.

وتعود هذه الظاهرة (المجاورة) إلى زمن بعيد، حيث يستقر بعض الحجيج أو المهاجرين من أنحاء العالم الإسلامي، ومنهم التونسيين في البقاع المقدسة، إما لأهمية تلك البلاد من الناحية الدينية، أو لأسباب سياسية حيث يلجأ هؤلاء المجاوريين إلى الابتعاد عن دائرة الخلافات والفتن السياسية، خاصة بعد فرض الحماية الفرنسية على البلاد التونسية، وقد تعود أسباب المجاورة لدوافع اقتصادية تهدف إلى تحسين الأوضاع المعيشية، أو بدافع اللقاء العلمي والمعرفي التي تحظى به المدينتان المقدستان خاصة في موسم الحج، حيث يعتبرا أكبر تجمع للعلماء والمشايخ، ففيهما يتبادلون المناقشات العلمية، وإلقاء الدروس الدينية ويقدمون الإجازات العلمية[٢].

وقد أشارت الوثائق والمصادر لهؤلاء المجاوريين كنوع من الإندماج الاجتماعي، وعلى سبيل المثال هناك خطاب من محمد بن حسن بن سليمان يطلب فيه من الوزير

=

Decument: Fiel A0276/Bis/001/date 1951: 1961.

(١) المجاورة كما عرفها ابن منظور: (الاعتكاف في المسجد)، أما المقصود من المجاورة في هذا المقام هي مجاورة مكة والمدينة بصورة مطلقة غير ملزمة بتطبيق شروط الاعتكاف الشرعي (ولهذا فإن الجوار يعني أيضًا البقاء في مكة المكرمة والمدينة المنورة بجوار الحرمين حسبما يشاء المجاور، ويباشر حياته اليومية العادية دون مانع، ينتهي بخروجه من هاتين المدينتين أو بالوفاة). انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١٥٦. وانظر: منى حسن المشاري: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (٦٤٨- ٩٩٢هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م)، رسالة ماجستير، قسم تاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك سعود، الرياض: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٣٤- ٦٦.

(٢) نورة الحامد: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز (١٢٥٦- ١٣٢٦هـ/١٨٤٠- ١٩٠٨م)، ص٢٨٦- ٢٨٨.

التونسي مصطفى الكعاك بالسماح له بالخروج إلى المدينة المنورة لزيارة عمه المقيم بها[١]، أيضًا هناك خطاب الحاج الطاهر بن محمد الشابي يطلب فيها من الحكومة التونسية السماح له بالرجوع إلى المدينة المنورة عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م حيث يقول فيه: «أني من عائلة تونسية الأصل... ولدت بالمدينة المنورة وتزوجت بها ورزقت ببنت تدعى عزيزة... ولما علمت برجوع أقاربي بتاله (مدينة تونسية) تاقت نفسي- لرؤيتهم...»[٢]، وهذا الخطاب أيضًا يبين أن هناك أبناء تونسيين نشأوا وترعرعوا في المدينة المنورة وأقاموا بها. بل إن منهم من تحصل على الجنسية السعودية، كما أشارت إحدى الوثائق الصادرة من المفوضية التونسية بجدة حيث ذكرنا فيها: «... وتقابلنا مع السيد أحمد التونسي- الأصل المتحصل على التبعية السعودية وتحدثنا معه بصورة غير مباشرة...»[٣].

ومن ناحية أخرى فقد أقام بعض أهالي الحرمين الشريفين في تونس على اختلاف مقاصدهم، فمنهم من قصد تونس للسياحة، ومنهم من قصدها بهدف الحصول على الإعانة المالية المخصصة لأهالي الحرمين الشريفين من إدارة جمعية الأوقاف التي أُسست عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، مثال على ذلك طلب محمد مصطفى اسكندراني الشريف المدني عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م من الحكومة التونسية أن تعطيه منزلًا حيث جاء في الخطاب:

> «إن جمعية الأوقاف كانت أعطتني دار أسكنها مدة إقامتي بتونس وهي الدار الكائنة بنهج الأقواس... وبعد أن سكنت بها عامًا كاملًا سافرت إلى المدينة المنورة وطني ومسقط رأسي ثم بعد عامين من ذلك التاريخ أتيت على تونس على سبيل الزيارة فعاقتني الحرب عن الرجوع إلى تلك البقاع المقدسة... وبسبب عجزي عن القيام

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel A0276/Bis/004/005/date 1926: 1957.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel A0276/Bis/001/0018/date 1957: 1958.

بشؤون النفقة... فإني أرغب من مراحمكم السنيه صدور إذنكم السامي لجمعية الأوقاف بإعطاءِ الدار المذكورة أو ما يماثلها...»[١].

ومن الملاحظ أن الشخص نفسه قد أعاد نفس الطلب للحكومة التونسية بمنحة منزلًا للسكنى في عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م[٢].

أيضًا من أمثلة التقارب والتكافل الاجتماعي بين البلدين ما عُرف منذ القِدم، تقديم الصرة[٣] التونسية لفقراء مكة والمدينة، وعلى المجاورين التونسيين فيها، وقد عرف العالم الإسلامي الصرة حيث أنها لم تكن خاصة بالبلاد التونسية، بل قامت بإرسالها العديد من الدول الإسلامية مثال الدولة العثمانية ومصر[٤].

وقد عنيَّ بايات تونس بجمعها وإرسالها في كل موسم حج، وكان لخروج الصرة من البلاد التونسية طقوس متبعة، وذلك نظرًا لأهميتها وعظمتها، حيث يعقد للصرة موكبًا يحضره الباي وأهله ورجال دولته ويسلم فيها الباي صندوق الصرة لرسول المكلف بتلبيغ الأمانة مصحوبة بمكتوب خطي من سموه أو من الوزير الأكبر لملك البلاد العربية مثال ذلك خطاب موجه من الوزير التونسي محمد الهادي الأخوة إلى جلالة

(١) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel D0181/ 002/007/date 1913: 1933.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ومعنى الصرة لغويًا بأنها «شَرْجُ (كيس) الدراهم والدنانير، وصررت الصرة يعني شددتها،... والصرة صرة الدراهم وغيرها»، والصرة تعني في المشرق العربي «هذا المال المتجمع بين شريكين من التجارة ونحوها، أما في بلاد المغرب العربي يقصد بالصرة المال المتجمع من مختلف الأحباس الموقوفة في البلاد على الحرمين الشريفين والذي يرسل إلى أهاليهما بمناسبة موسم الحج». انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٤٥٢. وانظر: التليلي العجيلي: أوقاف الحرمين الشريفين بالبلاد التونسية ١٧٣١- ١٨٨١م، (ط١، زغوان، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ١٩٩٨م)، ص١١٩.

(٤) نوره الحامد: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز (١٢٥٦- ١٣٢٦هـ/١٨٤٠- ١٩٠١م)، ص٢٢٨.

الملك عبد العزيز يعلمه فيها بخروج الصرة التونسية مع وفود الحجيج ويتولى تسليمها الحاج عبد الرحمن ابن زاكور وذلك عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م[١].

أيضًا الرسالة الموجهة من الوزير التونسي- إلى الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، يبلغه فيها بخروج الصرة التونسية لهذا العام مع السيد أحمد المهدي النيفر مفتي الديار التونسية[٢].

وكان يتبع ذلك ردًا من جلالة الملك عبد العزيز في خطاب للباي والحكومة التونسية بوصول الصرة مثال خطاب عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م من جلالة الملك عبد العزيز إلى سمو الباي أحمد باشا وخطاب آخر إلى الوزير التونسي الهادي الأخوة جاء فيه:

> «... لقد تسلمنا ما أُرفق بكتابكم الكريم قيمة الصدقة التونسية التي أمر بإرسالها أخونا سمو باي تونس برفقة الرسول الأمين الحاج عبد الرحمن ابن زاكور مع المبلغ الذي تفضل به سموه من عنده على فقراء هذين البلدين الكريمين، وقد سلم المبلغان للجنة الصدقات لتوزيعهما على المستحقين في البلدين، ونسأل الله أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه وأن يتقبله ويجزي العاملين والساعين فيه خيرًا وسنرسل حجج التسليم لدولتكم حسب المعتاد»[٣].

أيضًا الخطاب الموجه من رئاسة ديوان جلالة الملك إلى الوزير التونسي- مصطفى الكعاك عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، يبلغه فيه تم تسليم المبلغ من السيد أحمد النيفر مفتي

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel A00276/Bis/003/0031/date 1936: 1937.

(٢) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel C0032/ 0001/0028/date 1947: 1948.

(٣) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel C0032/ 0001/0024/date 1946: 1947.

الديار التونسية[١].

ويتم توزيع هذه الصرة على فقراء مكة والمدينة على حسب أسمائهم المضبوطة في دفاتر توزيع الصرة حيث يكتب اسم المستلم وبجانبه المقدار المالي الذي ناله، ومن ثم يضع ختم المستلم كشهادة على الاستلام[٢]، وبنفس هذه الطريقة يوزع على المجاورين التونسيين في بلاد الحرمين الشريفين[٣].

وبذلك فإن الصرة التونسية تعتبر صورة من صور التكافل الاجتماعي بين البلدين، فقد اعتبرت البلاد التونسية أن الدور الذي تقوم به هذه الصرة في بالغ الأهمية في دعم ومساعدة المجتمع المكي والمدني، لما لهما من حظوة دينية في نفوس المسلمين عامة والتونسيين خاصة.

ولم تستطيع الباحثة التوصل لمعلومات عن إيقاف الصرة رسميًا إلا أن علاقات المحبة والود بين مسؤليّ وشعبي البلدين لم تتوقف ولم تنقطع، فقد كان الملك عبد العزيز يلتقي بالحجاج التونسيين، بل أنه في سنة من السنين قام بتوزيع الهدايا عليهم[٤]، أيضًا جلالة الملك سعود استقبل وفد من الحجيج التونسيين عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م[٥]، أيضًا كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يلتقي بوفود الحجيج التونسيين،

---

(١) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel C0032/ 0001/0025/date 1947: 1948.

(٢) التليلي العجيلي: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٣٦.

(٣) الأرشيف الوطني التونسي.

Decument: Fiel A0276/Bis/0001/0016/date 1951: 1961.

(٤) انظر صفحة

(٥) Decument: Fiel A0276/Bis/0001/0016/date 1951: 1961

ويبدي إعجابه واحترامه للمجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبه[١].

ومن خلال ما تقدم ذكره من خلال الوثائق والرسائل والمصادر يتضح لنا عمق العلاقات والصلات الاجتماعية بين شعبي البلدين، وذلك نتيجة للروابط الدينية والأخوية التي نسقت هذه العلاقات بكل محبة ومودة وأخوة، على مدى استمرار تاريخها.

ففي عهد نهضة البلدين، شهد اهتمام المسؤولين في المملكة العربية السعودية وتونس بتطوير التعاون الاجتماعي في كافة مجالاته سواء المهني أو الصحي أو الرياضي، ونذكر في هذه الإيطار بعض الأمثلة.

- اجتماع وزير العمل والشؤون الاجتماعية السعودي الوزير إبراهيم العنقري بنظيره التونسي في ربيع الأول ١٤٠١هـ/ فبراير ١٩٨١م، وذلك من أجل دعم التعاون المهني والشؤون الاجتماعية[٢].
- زيارة وزير الصحة السعودي ١- محرم - ١٣٩٧هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩٧٦ لتونس بهدف تطوير التعاون الثنائي بين البلدين[٣].
- زيارة وكيل وزارة الصحة السعودي الدكتور أنور الجبرتي لتونس ولقاءه بالوزير الأول الهادي البكوش ٤ ربيع الآخر ١٤٠٨هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٩٨٧م،

(١) مركز التوثيق الوطني القومي: عنوان «الملك فهد يعبر للوفد الرسمي للحجيج التونسيين عن تقديره واعجابه بشخصية الحبيب بورقيبة الفذه» جريدة العمل ٦- أغسطس ١٩٨٧م، ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٢) أعلية العلاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا «الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥- ١٩٨٢، (ندوة علمية عن الملك خالد بن عبد العزيز، البحث قيد النشر، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١١- ١٣ ماي ٢٠١١) ص١١- ٢٨.

(٣) المرجع السابق.

والبحث معه في آفاق التعاون بين البلدين في القطاع الصحي، وفي لقاء صحفي أجرته معه جريدة العمل التونسية أشار الدكتور الجبرتي نحو المتعاونين التونسيين في المملكة قائلًا:

«عندنا الآن في القطاع الصحي حوالي ٢٧٠٠ متعاون تونسي- بين أطباء وممرضين وفنيين سامين في الصيدلة والمخابر، هذا العدد كان ٤ فقط في عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨١م، وخلال السنوات الماضية تضاعف كثيرًا»(١).

- وفي الجانب الرياضي زار وفد من المسؤولين الرياضيين السعوديين الوزير التونسي- للشباب والرياضة الهادي الزغل في ١٩ صفر ١٤٠٠هـ/ ٧يناير ١٩٨٠م، لإطلاعهم على التجربة التونسية في الميدان الرياضي، وكانت التجربة التونسية في الرياضة محل اهتمام ودراية من عديد الدول الخليجية بعد النتائج الباهرة التي حققها الفريق الوطني التونسي- في كرة القدم في مباريات كأس العالم بالأرجنتين سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م(٢).

- زيارة سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب بالمملكة العربية السعودية ورئيس الاتحاد العربي للألعاب الرياضية لتونس ولقاءه بوزير الشباب والرياضة التونسي الدكتور الهادي بوريشه حيث بحث الجانبان حول دعم التعاون الرياضي بين البلدين(٣).

(١) مركز التوثيق الوطني القومي: لقاء صحفي مع وكيل وزارة الصحة السعودي بعنوان «وكيل وزارة الصحة العمومية السعودي للعمل: نتطلع إلى دعم التعاون مع تونس وتكثيفه»، جريدة العمل ٢٦ نوفمبر ١٩٨٧م، ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٢) أعلية علاني: العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا «الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥/ ١٩٨٢م» (ندوة علمية عن الملك خالد بن عبد العزيز، البحث قيد النشر، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١١- ١٣ ماي ٢٠١١)، ص١١- ٢٨.

(٣) مركز التوثيق الوطني القومي: لقاء صحفي بعنوان «الأمير فيصل بن فهد يؤكد عمق الروابط والعلاقات القائمة بين تونس والسعودية، جريدة العمل، ٢٣ فبراير ١٩٨٦م، ملف العلاقات =

- وفي قطاع المكفوفين في تونس تبرع جلالة الملك خالد بن عبد العزيز لاتحاد المكفوفين التونسيين مبلغ مالي لإقامة أكاديمية تجمعهم، وفي إيطار هذه اللفتة الإنسانية قام أيضًا خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز في عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، بتكفل علاج الطفل التونسي نجيب الحبيبي وزرع كلية له في إحدى المستشفيات الأوروبية[١].

وقد شهد التعاون الفني تطورًا نوعيًا باعتبار الإنتدابات المتزايدة من الإطارات والخبرات العليا التونسية في المملكة العربية السعودية، وشمل العديد من القطاعات خاصة في التعليم، والصحة، والكهرباء، والطيران[٢]، وقد كان عدد المتعاونيين الفنيين في عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، اللذين يعملون في المملكة ٤٣٧٣[٣]، وقد تضاعف عددهم حتى عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ليصل إلى ٧٤٤٠ عامل تونسي[٤].

الاتفاقيات الاجتماعية بين البلدين:

- جاءت الإتفاقية الأولى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م وهي عبارة عن مشروع صداقة وتعاون بين البلدين، وقد حوت على ثمانية مواد، ركزت فيها المادة

=
التونسية السعودية، تونس.

(١) مركز التوثيق الوطني القومي: خبر صحفي بعنوان «موقف إنساني رائع: جلالة الملك فهد يتكفل بعلاج الطفل نجيب وزرع كلية له»، جريدة الصباح، ١٦ فبراير ١٩٨٦، ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٢) مركز التوثيق الوطني القومي: مقال صحفي بعنوان «بين تونس والسعودية»، جريدة شمس الجنوب التونسية، ١٧- ٨- ١٩٨٥م، ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٣) مركز التوثيق الوطني القومي: خبر صحفي بعنوان «عدد المتعاقدين الفنيين في السعودية ٤٣٧٣ وعدد جاليتنا ١٥٠٠٠»، جريدة العمل ١٩٨٨/٣/٨م، ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس.

(٤) مركز التوثيق الوطني القومي: خبر صحفي عن الدورة السابعة للجنة المشتركة التونسية السعودية، جريدة الحرية، ٢٠٠٤/٦/٦، ملف العلاقات التونسية السعودية، تونس.

الخامسة على الجانب الاجتماعي حيث نصت على «أن يحرص الطرفان على توثيق التعاون في الميادين الاجتماعية والصحية بإجراء المداولات المناسبة وتبادل الخبرات الفنية»[١].

- جاءت الاتفاقية الثانية تختص بفتح خط جوي بين المملكة العربية السعودية وكل من الجمهورية التونسية والمملكة المغربية، وذلك بتاريخ ١١- ١٢/ ٩/ ١٣٨٨هـ/ ١- ٢/ ١٢/ ١٩٨٦م، وتفويض وزير الدفاع والطيران ومعالي وزير الدولة للشؤون الخارجية بالتوقيع عليها[٢].
- الإتفاقية الثالثة جاءت في موضوع تنظيم النقل الجوي بين المملكة وتونس حيث تم الاجتماع يوم الأربعاء ٢٣ ذي الحجة ١٣٨٨ هـ الموافق ١٢ مارس ١٩٦٩م، في مقر وزارة الخارجية بين كل من وكيل وزارة الخارجية السعودي الشيخ محمد إبراهيم مسعود، وسفير الجمهورية التونسية بالمملكة السيد محمد موسى الرويسي، حيث وقعا الطرفان الإتفاقية في تنظيم النقل الجوي الدولي، وتبادلا الوثائق بينهما[٣].
- الإتفاقية الرابعة عبارة عن مشروع إتفاق تعاون بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة الجمهورية التونسية في مجال النقل البحري والموانئ الموقعة في تونس يوم الخميس ٤/ ٢/ ١٤٢٥هـ الموافق ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٤م، وقد حوت

(١) مركز الوثائق والمحفوظات: مشروع معاهدة صداقة مع تونس، رقم الوثيقة ٣٣٢، مصدرها مجلس الوزراء، تاريخ ١٣٩١/٥/١٣هـ.

(٢) مركز الوثائق والمحفوظات: إتفاقية ثنائية مع تونس لفتح خط جوي، رقم الوثيقة ١٢٢٥، مصدرها مجلس الوزراء، تاريخ ١٣٨٨/٩/١١هـ.

(٣) جريدة أم القرى: العدد ٢٢٦٢، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ٢٥ ذي الحجة ١٣٨٨ الموافق ١٤ مارس ١٩٦٩م)، ص٤.

الإتفاقية على سبعة عشر بندًا جميعها ركزت على تنظيم النقل البحري وتسهيل نقل البضائع والأشخاص، وتشجيع التبادل التجاري بين البلدين، تنمية التعاون الفني والتدريب وتبادل المعلومات والخبرات في مجال النقل البحري والموانيء، وقد وقَّع هذه الإتفاقية عن الجانب السعودي وزير النقل جبارة بن عيد الصريصري، وعن الجانب التونسي وزير التكنولوجيات الإتصال والنقل الصادق رابح[١].

(١) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات: إتفاقية تعاون مع تونس في مجال النقل البحري، رقم الوثيقة ٦٤، مصدرها مجلس الوزراء، تاريخ ١٤٢٧/٣/٩هـ.

الخاتمة

على الرغم من البعد الجغرافي بين المملكة العربية السعودية وشقيقتها الجمهورية التونسية، إلا أن العلاقات بين البلدين كانت علاقات أخوة ومحبة، وطدتها الأخوة الدينية الإسلامية، فكلا البلدين يؤمنان بعقيدة واحدة ولغة واحدة، وعلى ذلك تمت هذه الدراسة ـ بعون من الله وتوفيقه ـ التي تضمنت العلاقات السعودية التونسية خلال الفترة ١٣٦٥ – ١٤٢٦هـ الموافق ١٩٤٥م– ٢٠٠٦م، ومن خلال الفصول التي حوتها هذه الدراسة أمكن الوصول إلى نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

إن التقارب السياسي بين المملكة العربية السعودية ودولة تونس كانت منذ أن دخل الحجاز ضمن توحيد الأراضي السعودية، ولما لهذه المنطقة من أهمية دينية، ففيها قبلة المسلمين، التفت العالم بأسره إلى تلك الدولة الفتية الناشئة، التي بدأت تتزعم العالم الإسلامي والعربي، فكان ذلك التقارب، خاصة وأن تونس كانت ترزخ تحت نير الإستعمار الفرنسي، فوجدت في إخوانها في المملكة العربية السعودية خير معين لقضيتها، وذلك ما يفسره لنا لقاء الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بزعماء الحركة الوطنية التونسية وتقديم المساعدة أدبيًا وماديًا، وأيضًا زيارة الأميرين فيصل وخالد رحمهما الله لتونس وترحيب الشعب التونسي- بهما، كأول أميرين عربيين قدما لزيارة هذا الشطر العربي الشقيق، ووقف الأميران بأنفسهما على الأوضاع في تونس في ظل الحماية الفرنسية، وقد استطاع الأمير فيصل ـ في ذلك الوقت ـ إخراج القضية التونسية من محيطها الضيق إلى الفضاء العربي والدولي، وأصبح صوت الحق التونسي يصدع في المنظمات الدولية.

وبعد أن أعلنت تونس استقلالها، ما لبثت هذه العلاقات أن أخذت شكلها الدبلوماسي، فأصبح هناك سفارات متبادلة بين الدولتين، وأصبح هناك زيارات رسمية على مستوى القيادي ورجال الدولة، وقد بلغت زيارات حكام المملكة العربية السعودية

إلى تونس ست زيارات خلال فترة البحث، بينما زيارات رؤساء تونس كانت ثلاثة، فعلى الرغم من أن فترة الدراسة تعد طويلة إلا أن عدد الزيارات الرسمية لقيادتي البلدين تعتبر قليلة نوعًا ما، إلا أن لها آثارًا في تعزيز العلاقات بين البلدين، كما ظهرت خلال هذه اللقاءات وفي الخطابات السياسية مشاعر الحب والإخاء، فقد كشفت الدراسة عن عمق علاقات الصداقة والمحبة خاصة بين الملك فيصل والرئيس الحبيب بورقيبه حتى قبل توليه رئاسة الجمهورية، وأيام الكفاح والجهاد، ومن ناحية أخرى عكست هذه الزيارات عن رغبة البلدين في تنمية العلاقات بينهما في كافة المجالات الإقتصادية والسياسية والاجتماعية، هذا ما تعكسه الإتفاقيات والزيارات التي تتضاعف بعد كل زيارة رسمية.

وقد كشفت الدراسة عن توافق جهود الدولتين السعودية والتونسية حول القضايا العالمية، وقُرب وجهات النظر بينهما حول العديد من القضايا الرئيسة التي تهتم بها الدولتان سواء كانت عربية أم إسلامية أو عالمية، فالدولتان تؤمنان بأهمية الإلتزام بالتعاليم الإسلامية، واحترام المواثيق والعهود الدولية، ويظهر ذلك جليًا من خلال المواقف التي تبنتها الدولتان، والمساعي التي سارت نحو تحقيق الوفاق العربي وكذلك التضامن الإسلامي، بالإضافة إلى تحقيق السلام العالمي.

وقد أوضحت الدراسة بوجود تعاون سعودي تونسي- في الميادين الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، فعلى الصعيد الثقافي كشفت لنا الدراسة عن وجود تعاون ثقافي بين البلدين من قبل استقلال تونس من خلال الوثيقة المحفوظة في المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، وهي تشير إلى طلب إرسال بعثة تعليمية تونسية إلى المملكة في سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، وهذا يشير إلى التعاون والصلات القوية بين البلدين حتى من قبل استقلال تونس، وقد استمرت التظاهرات الثقافية متخذة عدة أشكال منها على سبيل المثال: زيارات رجال الثقافة في البلدين، وإتفاقيات وقيام معارض وأيام ثقافية مما

يعكس تاريخ وحضارة البلدين وصولًا إلى تعاون على مستوى المؤسسات الثقافية والعلمية، وتعاون دارة الملك عبد العزيز مع مؤسسة التميمي للبحث العلمي خير دليل على التواصل المعرفي ومد الجسور بين البلدين في المجالات العلمية والبحثة.

أما عن التعاون الاقتصادي بين البلدين، فقد أشارت الدراسة إلى مدى آفاق التعاون الاقتصادي وذلك ما تعكسه حجم الاستثمارات السعودية في تونس، وقيام العديد من المشاريع الإنمائية بتمويل صندوق التنمية السعودي، أيضًا جذبت تونس بموقعها ومميزاتها الطبيعية التي حباها الله بها، العديد من رجال الأعمال السعوديين لتنفيذ مشاريعهم الإنمائية على الأراضي التونسية، أيضًا من جانب آخر فقد كان هناك تبادل تجاري تضاعف على مدى سنوات متعاقبة، وهذا ما تعكسه قائمة الصادرات والواردات بين البلدين.

أما عن الجانب الاجتماعي، فقد كشفت الدراسة عن عمق الصلات الاجتماعية بين البلدين، خاصة بعد ضم بلاد الحجاز إلى المملكة العربية السعودية، فقد أسهم الحج في توثيق هذه العلاقات التي استمرت حتى بعد أداء الفريضة الدينية، والتي تظهر في علاقات الود والمحبة بين الحجيج التونسيين ومطوفيهم أو مزوريهم في المدينة المنورة.

كما أوضحت الدراسة ما يتعلق بإقامة العديد من التونسيين في المملكة العربية السعودية وخاصة في بلاد الحرمين الشريفين كمجاورين، وإقامة العديد من السعوديين في تونس إما للسياحة أو التجارة وغير ذلك.

أيضًا كشفت الدراسة عن إقامة تونسيين تحصلوا على الجنسية السعودية، وأصبحوا بعد ذلك من العوائل المندمجة في هذا البلد.

وفي عهد نهضة البلدين استمر التعاون الاجتماعي عبر العديد من القنوات الاجتماعية، منها ما هو على سبيل المثال رياضي وصحي ومهني، ويلحظ عن زيادة

التعاون الفني بين البلدين، وعمل العديد من التونسيين في المملكة العربية السعودية والاستفادة من خبراتهم في العمل في كافة الميادين وخاصة الصحة والتعليم والكهرباء.

وبذلك نستنتج أن جميع النواحي التي ربطت بين المملكة العربية السعودية ودولة تونس هي روابط دينية وأخوية، جمعت بينهم على رغم من الانقطاع الجغرافي الذي فصل بينهما إلا أن تاريخهما السياسي والحضاري العريق، جعلهما يتجاوزا الأبعاد الجغرافية، والفوارق السياسية.

الملاحـــــق

وفيه:

أولا : ملحق الخرائـــط.

ثانيًا : ملحق الوثـائـــق.

ثالثًا : ملحق الصـــور.

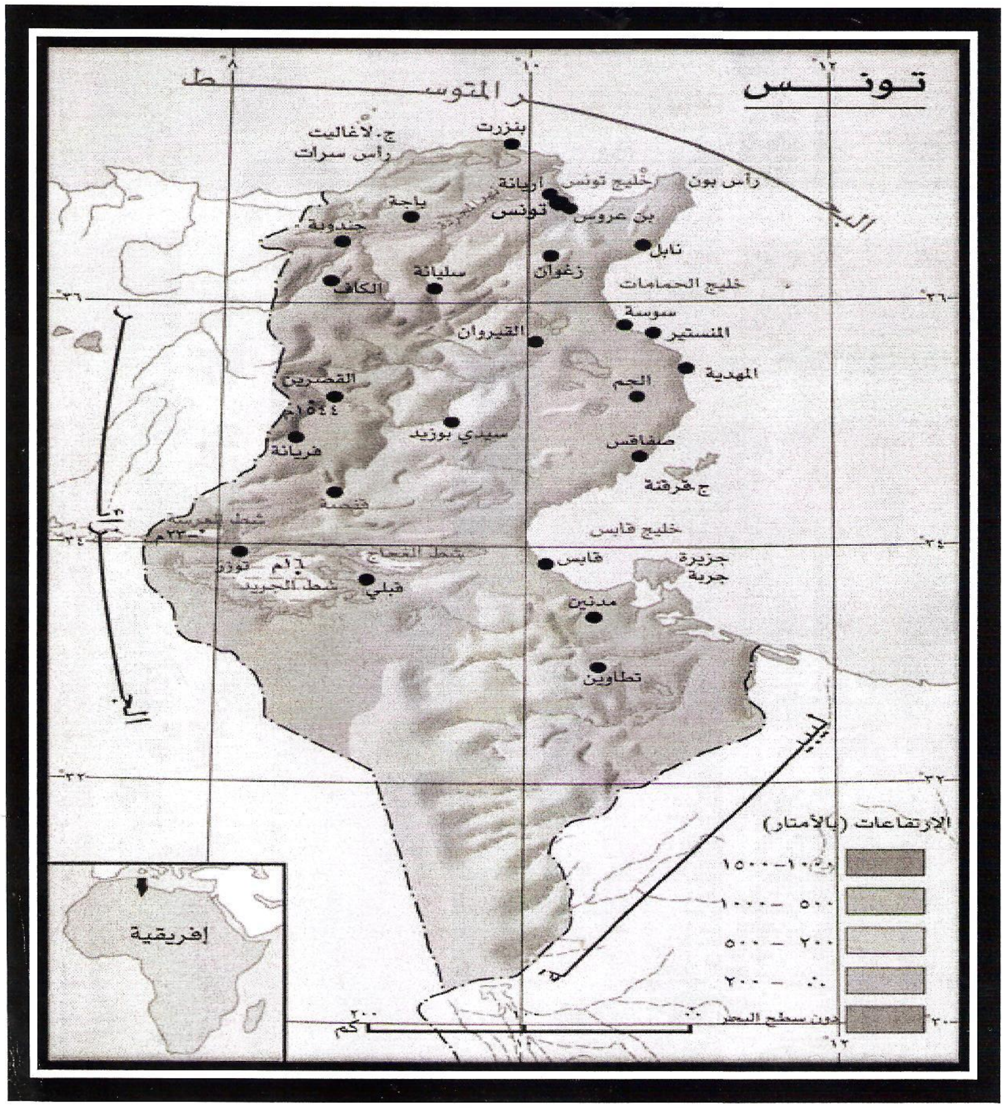
أولا : ملحق الخرائط

أ) المملكة العربية السعودية :



خريطة توضح مواقع المدن السعودية

ب) تونس:



خريطة توضح مواقع المدن التونسية

ثانيًا : ملحق الوثائق

ثالثًا: ملحق الصور[1]

(١) الصور من كتاب الرحلة المظفرة من إصدار كتابة الدولة والإرشاد التونسية.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: الوثائق:

١ـ الوثائق السعودية:

أ ـ دارة الملك عبد العزيز:

- وثيقة رقم ٧٧، رسالة من الملك عبد العزيز إلى ملك تونس أحمد باي، سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.

ب ـ المركز الوطني للوثائق والمحفوظات:

- وثيقة رقم (٢٢٢)، طلب تكوين بعثة تونسية واستقدامها للعمل في التعليم في السعودية، تاريخ ١٩/ ٤/ ١٣٦٤هـ.
- وثيقة رقم (٢٨/ ١٨/ ١/ ١٥٥٦)، إنشاء مفوضية للسعودية بتونس، تاريخ ١/ ٨/ ١٣٧٦هـ.
- وثيقة رقم (٦٥٨)، اتفاقية تحويل بعض المشاريع الإغاثية بتونس، تاريخ ١٣/ ٥/ ١٣٩٤هـ.
- وثيقة رقم (١١١)، اتفاقية ثنائية تبادل الإعفاء من الضرائب، تاريخ ١٤/ ٧/ ١٤٠٩هـ.
- وثيقة رقم (١٠٣)، اتفاقية تأمين مع تونس في مجال الإعلام، تاريخ ١٧/ ١/ ١٣٩٦هـ.
- وثيقة رقم (١٨٧)، معاهدة صداقة مع تونس، تاريخ ٢٤/ ٢/ ١٣٨٦هـ.
- وثيقة رقم (٦٤)، اتفاقية تعاون مع تونس في مجال النقل البحري، تاريخ ٩/ ٣/ ١٤٢٦هـ.

- وثيقــة رقــم (١٢٢٥)، اتفاقيــة ثنائيــة مــع تــونس لفــتح خــط جــوي، تــاريخ ١١/ ٩/ ١٣٨٨هـ.

- وثيقة رقم (٣٣٢)، مشروع مشعاهدة صداقة مع تونس، تاريخ ١٣/ ٥/ ١٣٩١هـ.

٢ـ الوثائق التونسية:

أ ـ الأرشيف الوطني التونسي:

- رسالة من باي تونس إلى ملك المملكة العربية السعودية يعلمه فيها بتعيين وفد للحج
A – 0276 – 0004 – 0003 - 1956

- صك موجه من الباي إلى اللجنة العليا لتوزيع الصدقات بالسعودية
A – 0276 – 000٣ – 0049 - 1954

- مراسلات تتعلق بإسناد الصنف الأكبر من نيشان الافتخار لملك السعودية
A – 0276 – 0001 – 0012 – 1929: 1931

- مراسلات تتعلق بمحمد المدني شخصية دينية من السعودية
D – 0181 – 0002 – 0007 – 1913: 1933

- مراسلات تتعلق بتوجيه الصرة من تونس إلى الحرمين الشريفين في موسم الحج عن طريق الشيخ الشاذلي النيغر
C – 0032 – 0001 – 0024 – 1946: 1947

- مراسلات تتعلق بتوجه الصرة من تونس إلى الحرمين الشريفين في موسم الحج عن طريق عبد الرحمن بن زاكور
C – 0032 – 0001 – 002٣ – 1938: 1939

- رسالة من المطوف إبراهيم السقاط إلى طبيب بعثة الحج التونسية الدكتور بشير الدنكربي.

A – 00276 – 0003 – 0024 – 1930

ب ـ مركز التوثيق الوطني القومي:

١ـ ملف العلاقات التونسية السعودية.

٢ـ ملف تونس ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

٣ـ ملف تونس ومنظمة الأمم المتحدة.

٤ـ ملف تونس وجامعة الدول العربية.

ثانيًا: المطبوعات الحكومية:

١ـ وزارة الثقافة والإعلام السعودي.

٢ـ سفارة المملكة العربية السعودية بتونس.

٣ـ كتابة الدولة للأخبار والإرشاد التونسي.

٤ـ وزارة الاقتصاد التونسي.

٥ـ وزارة الثقافة التونسي.

٦ـ مركز النهوض بالصادرات والواردات التونسي.

ثالثًا: المصادر العربية:

١ـ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، (د.ط، بيروت، دار بيروت، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

٢ـ أبو حجر، آمنة: الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، (ط١، عمّان، دار أسامة للنشر، ٢٠٠١م).

٣ـ أبو علية، عبد الفتاح حسن: مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود تجاه القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (ط١، بيروت، د.ن، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

٤ـ أبو علية، عبد الفتاح حسن وآخرون: المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين، (ط١، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٥ـ أرسلان، شكيب: الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، تحقيق عبد الرازق كمال، (ط٢، مكتبة المعارف، د.م، ١٩٧٦م).

٦ـ إدريس، الرشيد: الطريق إلى الجمهورية «مذكرات الرشيد إدريس»،(د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م).

٧ـ الأشعل، عبد الله:

- المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، (ط١، جدة، دار الأصفهاني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
- تطور العلاقات الدولية لمجلس التعاون الخليجي في ضوء المتغيرات الإقليمية والعالمية، (ط١، الرياض، مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٨ـ بورقيبة، الحبيب:

- تونس وقضية فلسطين، (د.ط، تونس، كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، د.ت).
- الخطب الأسبوعية ٣، (د.ط، تونس، كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، د.ت).

٩ـ البلهوان، علي: تونس الثائرة، (د.ط، د.م، لجنة تحرير المغرب العربي، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

١٠ـ ثامر، الحبيب: هذه تونس، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١١ـ الثعالبي، عبد العزيز:

- الرحلة اليمانية، تقديم حمادي الساحلي، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت).

- تونس الشهيدة، تعريب حمادي الساحلي، مراجعة محمد العروشي، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت).

١٢ـ جار الله، تركية حمد: موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى، (ط١، القاهرة، دار القاهرة، ٢٠٠٦م).

١٣ـ جوليان، شارل أندري: إفريقيا الشمالية تسير «القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية»، ترجمة المنجي سليم وآخرون، مراجعة فريد السوداني، (د.ط، الجزائر، الحركة الوطنية للنشر، د.ت).

١٤ـ الجهني، مانع بن حماد: التضامن الإسلامي الفكرة والتاريخ ودور المملكة العربية السعودية، (ط١، د.م، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩م).

١٥ـ الجهني، عيد بن مسعود: البترول السعودي وأثره على الاقتصاد الوطني والدولي ومستقبل منظمة الأوبك وبدائل الطاقة، (ط١، الرياض، مطابع جاد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

١٦ـ حماد، خيري: قضايانا في الأمم المتحدة، (ط١، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ١٩٦٢م).

١٧ـ حجي، محسن وآخرون: بنزرت أرض البطولات، (د.ط، د.م، د.ن، ١٩٦٤م).

١٨ـ حمزة، فؤاد: قلب جزيرة العرب، (ط٣، د.م، د.ن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

١٩ـ حلمي، رجب يحيى: مجلس التعاون لدول الخليج العربية، (ط٢، الكويت، مكتبة دار العروبة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م).

٢٠ـ حميدي، جعفر عباس: تاريخ إفريقيا المعاصر، (ط١، عمّان، دار الفكر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٢١ـ حميدة، عبد الرحمن: جغرافية الوطن العربي، (ط١، دمشق، دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٠م).

٢٢ـ الحاج يحيى، الجيلاني بن: الزعيم الكبير صالح بن يوسف حياته ونضاله، (ط١، تونس، الشركة التونسية للنشر، ٢٠٠٩م).

٢٣ـ الحامد، نوره: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز «دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ١٢٥٦ـ ١٣٢٦هـ/ ١٨٤٠ـ ١٩٠٨م»، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٢٤ـ الحمودي، عبد الرحمن محمد موسى: الدبلوماسية والمراسم السعودية، ثلاثة أجزاء، (ط٢، الرياض، الوطنية للنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٥ـ درويش، مديحة: تاريخ المملكة العربية السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (ط٨، جدة، دار الشروق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٢٦ـ دورزه، محمد عزه: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (ط١، بيروت، د.ن، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

٢٧ـ الرويشد، عبد الله بن سعد: أيام في تونس، (د.ط، القاهرة، رابطة الأدب الحديث، د.ت).

٢٨ـ الرويشد، عبد الرحمن سليمان: توثيق ووثائق كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، (د.ط، الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٢٩ـ الريحاني، أمين: تاريخ نجد الحديث، (ط٦، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م).

٣٠ـ زركلي، خير الدين:

- الأعلام، (ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ثلاثة أجزاء، (د.ط، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت).
- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، (ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٨هـ/ ١٩٩٧م).

٣١ـ الزمرلي، صادق: أعلام التونسيون، تعريف حمادي الساحلي، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م).

٣٢ـ الزيدي، علي: الزيتونيون ودورهم في الحركة التونسية من ١٩٠٤ إلى ١٩٤٥م، (ط١، صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م).

٣٣ـ سامح، عزيز: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، (د.ط، بيروت، دار لبنان، ١٩٦٩م).

٣٤ـ سعيد، أمين:

- الدولة السعودية، جزءان، (د.ط، بيروت، د.ن، ١٣٨٥هـ).
- ملوك المسلمون المعاصرون ودولهم، (د.ط، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت).

٣٥ـ سيف، محمد محمود: جغرافية المملكة العربية السعودية، (ط١، الأسكندرية، دار

المعرفة، ٢٠٠٠م).

٣٦ـ الساحلي، حمادي: فصول في تاريخ الحضارة، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م).

٣٧ـ شاكر، فؤاد: الملك عبد العزيز «سيرة لا تاريخ»، (د.ط، د.م، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٣٨ـ الشريح، حسين علي: التطور الاقتصادي في المملكة العربية السعودية ومستقبل التنمية، (ط١، جدة، دار العلوم للنشر والطباعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٣٩ـ الشرقاوي، محمد عبد المنعم وآخرون: ملامح المغرب العربي، (ط١، الإسكندرية، المعارف، ١٩٥٩م).

٤٠ـ الشريف، عبد الرحمن صادق: التنمية الصناعية في المملكة العربية السعودية، (ط١، الرياض، بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، ١٩٩٩م).

٤١ـ الشريف، محمد الهادي: ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاويش ومحمد عجينة، (د.ط، د.م، دار سراس، د.ت).

٤٢ـ الصباب، أحمد: التكامل الاقتصادي وأثره على التنمية الاقتصادية في مجلس التعاون، (ط١، جدة، مركز البحوث والتنمية بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٤٣ـ الصمد، رياض: العلاقات الدولية في القرن العشرين، (د.ط، د.م، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٤٤ـ الصويغ، عبد العزيز حسين: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، (ط١،

الرياض، أوراق للنشر والأبحاث، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م).

٤٥- الصوفي، وهيب عبد الفتاح وآخرون: المملكة العربية السعودية وأزمة الخليج، (ط١، د.م، دار الساقي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٤٦- الطحاوي، عبد الكريم: الملك فيصل والعلاقات الخارجية، (ط١، القاهرة، د.ن، ٢٠٠٢م).

٤٧- الطيار، عبد الله محمد أحمد: الحج، (ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٤٨- عبد الوهاب، حسن حسني:

- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، جزءان، (ط٢، تونس، مكتبة المنار، ١٩٧٢م).
- خلاصة تاريخ تونس، (د.ط، د.م، الدار التونسية، ١٩٨٣م).

٤٩- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (ط٥، القاهرة، دار الكتب الجامعي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٥٠- عطار، أحمد عبد الغفور: صقر الجزيرة، (د.ط، بيروت، د.ن، ١٩٧٢م).

٥١- عنان، محمد: السعودية وهموم العرب، (د.ط، بيروت، المكتب العالمي للنشر، د.ت).

٥٢- عوض، محمد محيي الدين: واقع الإرهاب واتجاهاته، (د.ط، الرياض، د.ن، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٩م).

٥٣- العبيد، عبد الله بن عبد الله، وعبد القادر بن عطية: اقتصاد المملكة العربية السعودية «نظرة تحليلية»، (ط١، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٥٤- العثيمين، عبد الله صالح:

- تاريخ المملكة العربية السعودية، جزءان، (ط٦، الرياض، العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
- معارك الملك عبد العزيز لتوحيد البلاد، (ط٢، د.م، د.ن، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٥٥- العجيلي، التليلي:

- صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، (ط١، تونس، دار الجنوب للنشر، ٢٠٠٥م).
- صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز، (ط١، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣١م).
- أوقاف الحرمين الشريفين بالبلاد التونسية ١٧٣١ـ ١٨٨١م، (ط١، زغوان، مؤسسة التميميم للبحث العلمي والمعلومات، ١٩٩٨م).

٥٦- العقاد، صلاح:

- التيارات السياسية في الخليج العربي من بداية العصور الحديثة حتى أزمة ١٩٩٠ـ ١٩٩١م، (د.ط، د.م، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت).
- المغرب العربي في تاريخ الحديث والمعاصر، (ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م).

٥٧- غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، (د.ط، القاهرة، دار الشعب، د.ت).

٥٨- الفاسي، علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، (ط٦، الدار البيضاء، مطبعة نجاح الجديدة، ٢٠٠٣م).

٥٩- الفاسي، حسن محمد: وصف أفريقيا، ترجمة محمد الحجي ومحمد الأخضر، (ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م).

٦٠ـ قصاب، عبد المجيد: رحلة إلى تونس (عتبة السلام)، (د.ط، د.م، مطبعة الباني، ١٩٦٥م).

٦١ـ القباع، عبد الله: السياسة الخارجية السعودية، (ط١، الرياض، مطابع الفرزدق، د.ت).

٦٢ـ كحالة، عمر رضا: جغرافية جزيرة العرب، (ط٢، د.م، مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

٦٣ـ لغبون، عبد العزيز عبد الله: صناعة النفط في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، (ط١، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٣م).

٦٤ـ محفوظ، محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م).

٦٥ـ مدني، محمد عمر: تطور العلاقات الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية، (ط٤، الرياض، معهد الدراسات الدبلوماسية، ١٩٩٣م).

٦٦ـ مقدم، هادية وآخرون: مدخل إلى السياسات الثقافية في العالم العربي، (ط١، القاهرة، شرقيات للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م).

٦٧ـ مناصرية، يوسف: الحزب الدستوري الحر التونسي ـ ١٩١٩ـ ١٩٣٤م، (د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ت).

٦٨ـ محمد، وهيم طالب: تاريخ الحجاز السياسي ١٩١٦ـ ١٩٢٥م، (د.ط، د.م، الدار العربية للموسوعات، د.ت).

٦٩ـ المحجوبي، علي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر قرقوري وعلي المحجوبي، (د.ط، د.م، سراس، د.ت).

٧٠ـ المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جزءان، (د.ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت).

٧١ـ المطري، السيد خالد: الجغرافية الاقتصادية للمملكة العربية السعودية، (ط١، الرياض، دار الشواف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٧٢ـ هذلول، سعود بن: تاريخ ملوك آل سعود، (د.ط، الرياض، د.ن، ١٣٨٠هـ).

٧٣ـ هاليداي، فريد: ساعتان هزتا العالم «١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م: الأسباب والنتائج»، ترجمة عبد الإله النعيمي، (ط١، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٢م).

٧٤ـ الهاني، التهامي: تونس والعرب بين ضرورة المستقبل وواقعية المسار، (د.ط، د.م، الأطلسية للنسر، د.ت).

٧٥ـ الهميل، خالد: العلاقات بين الملك عبد العزيز آل سعود والأشراف وضم الحجاز، (ط١، د.م، د.ت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٧٦ـ وهبة، حافظ: خمسون عامًا في جزيرة العرب، (ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠م).

٧٧ـ يحيى، جلال:

- المغرب الكبير، (د.ط، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م).
- العالم العربي الحديث والمعاصر، (د.ط، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م).

٧٨ـ الياغي، إسماعيل وآخرون: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، (ط٣، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

رابعًا: المراجع باللغات الأجنبية:

1- Gnovis Philips, The fife of sin peruy cox, London, 1951.
2- H.J.Philby, Apilgrin in Arabia Robert Hale Limited, London, 1964.

3- Leir "Mohmed Salah", L'Evulation du movement national Tunisin de origins al deuxieme gurre mondide, vol. M.T.E, Tunis, 1974.
4- Selim Karatash, Apracical Approach to joint ventures between Islamic states, Junyary, 1982.

خامساً: الرسائل العلمية:

١- شاهين، عزة: العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودويعة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ما بين عامي ١٩٢٤ـ ١٩٤٥م. رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس. القاهرة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢- المالكي، فهد بن عتيق: العلاقات السعودية الجزائرية من عام ١٣٨٢ـ ١٤٢٦هـ/ ١٩٦٢ـ ٢٠٠٥م، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣- المشاري، منى حسن: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (٦٤٨ـ ٩٩٢هـ/ ١٢٥٠ـ ١٥١٧م)، رسالة ماجستير، قسم تاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك سعود. الرياض: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

سادساً: بحوث المؤتمرات والندوات:

١- تميمي، عبد المالك: إشكالية العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب العربيين، (بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٢- الجهني، علي فايز: التعاون العربي في مكافحة الإرهاب، (ندوة مكافحة الإرهاب التي عقدت في الرياض من ٨ـ ١٦/ ١٢/ ١٤٢٢هـ الموافق ٢ـ ٥/ ٦/ ١٩٩٩م).

٣- الجهني، ناصر محمد: واقع التبادل الثقافي بين دول مجلس التعاون الخليجي ودول المغرب العربي، (بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث، الرياض، دارة الملك

عبد العزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٤- الحجيلان، جميل إبراهيم: نظرات في علاقات المملكة العربية السعودية في المحيط العربي، (بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

٥- رواف، عثمان ياسين: العروبة والإسلام وموقف المملكة في قضايا التضامن العربي الإسلامي، (بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

٦- سلمة، عبد العزيز بن صالح: مجالات التعاون الإسلامي بين الخليج والمغرب العربي، (بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

٧- ضيف الله، محمد: انتقال الأموال والخبرات بين الخليج والمغرب العربيين، (بحوث مؤتمر التواصل الخليجي المغاربي الأول، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م).

٨- علاني، أعليه:

- العلاقات التونسية السعودية وتطورها رسميًا وشعبيًا «الملك خالد في عيون التونسيين ١٩٧٥ ــ ١٩٨٢م»، (مؤتمر الندوة العلمية عن الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ٢٠١٠م).
- العلاقات العلمية والبحثية بين تونس ودول الخليج من خلال بعض النماذج، (بحوث المؤتمر الخليجي المغاربي الخامس، قيد النشر).

٩- محمد، عبد الله بن موسى: القضايا الإسلامية في كلمات المملكة العربية السعودية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، (بحث مقدم للندوة العالمية عن جهود خادم الحرمين

الشريفين في خدمة الإسلام والمسلمين، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٧ـ ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١ـ ١٣/ ٣/ ٢٠٠٢م).

١٠- مرداد، جميل محمود: العلاقات السعودية المغاربية انقطاع جغرافي واتصال تاريخي سياسي، (بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

سابعًا: الدوريات (المجلات والصحف):

أ ـ المجلات:

١- مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٢، ١٤٢٢ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ـ ٢٠٠٤م.

٢- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة (٨)، العدد (٣٠)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣- مجلة الدارة، السنة (٢٦)، العدد (٤)، ١٤٢١هـ.

٤- مجلة الدارة، السنة (٣٣)، العدد (٤)، ١٤٢٨هـ.

٥- مجلة الدبلوماسي، العدد (١٢)، جماد الأول ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م.

٦- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٢)، مارس ١٩٨٢م.

٧- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٥)، نوفمبر ١٩٨٢م.

٨- مجلة الدراسات الدولية، العدد (١٩)، يوليو ١٩٨٦م.

٩- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٢٧)، جماد الأول ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م.

١٠- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٧٣)، إبريل ١٩٩٩م.

١١- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٨٧)، ٢٠٠٣م.

١٢- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٩١)، يونيو ٢٠٠٤م.

١٣- مجلة الدراسات الدولية، العدد (٩٢)، أكتوبر ٢٠٠٤م.

١٤- مجلة العالم العربي، السنة (٢)، العدد (٢٣)، شعبان ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

١٥- مجلة اليمامة، العدد (١٥٤)، السبت ٦/ ١٠/ ١٤١٩هـ.

١٦- مجلة اليمامة، السنة (٣٠)، العدد (٦٩١) ١٦/ ٥/ ١٤٠٢هـ، الموافق ٥/ ١١/ ١٩٨٢م.

١٧- مجلة اليمامة، العدد (١٣٧٨)، ١/ ٦/ ١٤١٦هـ.

ب ـ الصحف:

١- جريدة أم القرى، العدد (١٥٣١)، ١٦/ ١/ ١٣٧٤هـ الموافق ١٧/ ٩/ ١٩٥٤م.

٢- جريدة أم القرى، العدد (١٦١٢)، ٣/ ٩/ ١٣٧٥هـ الموافق ١٣/ ٥/ ١٩٥٦م.

٣- جريدة أم القرى، العدد (١٦٢٤)، ٥/ ١٢/ ١٣٧٥هـ الموافق ١٣/ ٧/ ١٩٥٦م.

٤- جريدة أم القرى، العدد (١٦٥٤)، ١٥/ ٧/ ١٣٧٦هـ الموافق ١٥/ ٢/ ١٩٥٧م.

٥- جريدة أم القرى، العدد (١٦٥٦)، ٢٩/ ٧/ ١٣٧٦هـ الموافق ١/ ٣/ ١٩٥٧م.

٦- جريدة أم القرى، العدد (١٦٥٩)، ٢٠/ ٨/ ١٣٧٦هـ الموافق ٢٢/ ٣/ ١٩٥٧م.

٧- جريدة أم القرى، العدد (١٦٨٢)، ١٨/ ٢/ ١٣٧٧هـ الموافق ٦/ ٩/ ١٩٥٨م.

٨- جريدة أم القرى، العدد (١٨٧٩)، ١٥/ ٢/ ١٣٨١هـ الموافق ٢٨/ ٧/ ١٩٦١م.

٩- جريدة أم القرى، العدد (١٨٨٠)، ٢٢/ ٢/ ١٣٨١هـ الموافق ٤/ ٨/ ١٩٦١م.

١٠- جريدة أم القرى، العدد (١٨٨٥)، ٢٨/ ٥/ ١٣٨١هـ الموافق ٨/ ٩/ ١٩٦١م.

١١- جريدة أم القرى، العدد (١٩٩٣)، ٧/ ٦/ ١٣٨٣هـ الموافق ٢٥/ ١٠/ ١٩٦٢م.

١٢- جريدة أم القرى، العدد (٢٠٥٦)، ٢٠/ ٩/ ١٣٨٤هـ الموافق ٢٣/ ١/ ١٩٦٥.

١٣- جريدة أم القرى، العدد (٢٠٦٠)، ٢٥/ ١٠/ ١٣٨٤هـ الموافق ٢٦/ ٢/ ١٩٦٥م.

١٤- جريدة أم القرى، العدد (٢٠٦١)، ٣/ ١١/ ١٣٨٤هـ الموافق ٥/ ٣/ ١٩٦٤م.

١٥- جريدة أم القرى، العدد (٢١٣٩)، ٨/ ٦/ ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣/ ٩/ ١٩٦٦م.

١٦- جريدة أم القرى، العدد (٢١٤٠)، ١٥/ ٦/ ١٣٨٦هـ الموافق ٣٠/ ٩/ ١٩٦٦م.

١٧- جريدة أم القرى، العدد (٢٢٦٢)، ٢٥/ ١٢/ ١٣٨٨هـ الموافق ١٤/ ٣/ ١٩٦٩م.

١٨- جريدة أم القرى، العدد (٢٣١٤)، ١٩/ ١/ ١٣٩٠هـ الموافق ٢٧/ ٣/ ١٩٧٠م.

١٩- جريدة أم القرى، العدد (٢٣٨٣)، ١٤/ ٦/ ١٣٩١هـ الموافق ٦/ ٨/ ١٩٧١م.

٢٠- جريدة أم القرى، العدد (٢٤٣٦)، ١٦/ ٧/ ١٣٩٢هـ الموافق ٢٥/ ٨/ ١٩٧٢م.

٢١- جريدة أم القرى، العدد (٢٤٧٦)، ١٤/ ٥/ ١٣٩٣هـ الموافق ١٥/ ٦/ ١٩٧٣م.

٢٢- جريدة أم القرى، العدد (٢٥٧١)، ٣/ ٥/ ١٣٩٥هـ الموافق ٣/ ٥/ ١٩٧٥م.

٢٣- جريدة أم القرى، العدد (٢٩٣٥)، ٢١/ ١١/ ١٤٠٢هـ الموافق ٨/ ١٠/ ١٩٨٢م.

٢٤- جريدة أم القرى، العدد (٣٢٠٢)، ٢٧/ ٧/ ١٤٠٨هـ الموافق ١١/ ٣/ ١٩٨٨م.

٢٥- جريدة الصباح التونسية، العدد (١٦٣٦١)، ٢/ ٧/ ١٤٢٠هـ الموافق ١٢/ ١٠/ ١٩٩٠م.

٢٦- جريدة الصباح التونسية، العدد (١٦٣٦٢)، ٣/ ٧/ ١٤٢٠هـ الموافق ١٣/ ١٠/ ١٩٩٠م.

٢٧- جريدة الصباح التونسية، العدد (١٦٣٦٣)، ٤/ ٧/ ١٤٢٠هـ الموافق ١٤/ ١٠/ ١٩٩٠م.

٢٨- جريدة الوزير التونسية، العدد (٢٥٧)، ٥/ ٤/ ١٣٤٧هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٢٨م.

٢٩- جريـــدة الصـــواب التونســـية، العـــدد (٤٧٨)، ٨/ ٨/ ١٣٤٤هـــ الموافـــق ٢٠/ ٢/ ١٩٢٦م.

٣٠- جريـــدة النهـــار اللبنانيـــة، العـــدد (٢٨٠٧)، ٦/ ٦/ ١٣٩٣هـــ الموافـــق ١٠/ ١/ ١٩٧٣م.

فهرس الموضوعات